تَـأَمُلات

لأجل الاكليروس والعلمانيين

لكل يوم من أيام السنة

وضع أصلها الفرنسي م. هامون خوري سان سولييس

وعربها ملخصة احد المرسلين البولسين

المجلد الأول

من أحد المجيء الأول الى أحد الآلام - 2a Parte

الأحد السابع بعد الغطاس

الانجيل من القديس متى (20 : 1 – 17)

((يشبه ملكوت السماوات رجلاً رب بيت خرج بالغداة يستأجر عملة لكرمه. فشارط العملة على دينار في اليوم وأرسلهم الى كرمه. ثم خرج في الساعة الثالثة فرأى آخرين واقفين في السوق بطالين. فقال لهم: امضوا أنتم أيضاً الى كرمي وأنا أعطيكم ما يحق لكم. فمضوا. وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة ونحو التاسعة فصنع كذلك. وخرج أيضاً نحو الحادية عشرة فوجد آخرين واقفين. فقال لهم: ما بالكم واقفين ههنا النهار كله بطالين. فقالوا له: انه لم يستأجرنا أحد. فقال لهم: امضوا أنتم أيضاً الى كرمي. فلما كان المساء قال رب الكرم لوكيله: أُدعُ العملة وأعطهم الأجرة مبتدئاً من الآخرين الى الأولين. فجاءَ أصحاب الساعة الحادية عشرة فأخذوا كل واحد ديناراً. فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر، فأخذوا هم أيضاً كل واحد ديناراً. وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت قائلين : ان هؤلاء الآخرين عملوا ساعة واحدة فجعلتهم مساوين لنا، ونحن حملنا ثقل النهار وحره. فأجاب وقال لواحد منهم: يا صاح ما ظلمتك. ألم أكن على دينار شارطتك؟ خذ ما لك وامضِ. فاني أريد أن أعطي هذا الآخر مثلك. أليس ليس أن أفعل بما لي ما أريد؟ أم عينك شريرة لأني أنا صالح؟ فعلى هذا المثال يكون الآخرون أولين والأولون آخرين. لأن المدعوّين كثيرون والمختارين قليلون)).

الخلاصة للعشية

نخصص تأملات هذا الأسبوع بإنجيل هذا الأحد. فنرى غداً أن الآية الأولى منه ((امضوا الى كرمي)) تعلمنا : 1 أن الله يأمرنا بخدمته. 2 كيف يريد أن نخدمه تعالى.

ونقصد 1 أن نستعمل أوقاتنا كلها في ارضاء الله كما يرشدنا ضميرنا 2 أن نفحص ضميرنا مراراً هل نعمل لأجل الله ولأجل محبته قراءتنا وأكلنا وزياراتنا وسائر أعمالنا؟

العاطفة الروحية هي عبارة الرسول بولس : ((أذا أكلتم أو شربتم أو عملتم شيئاً فاعملوا كل شيء لمجد الله)) (1 كور 10 : 31).

التأمل للصباح

لنسجد لله تعالى فارضاً علينا العمل بخدمته قائلاً: ((امضوا الى كرمي)) ولنقبل هذا الأمر بالطاعة والمحبة. ونقدم ذاتنا لله كعبيد أمناء مدى عمرنا. ولنؤدِّ اليه السجود والاحترام والاكرام لكونه مولانا وربنا.

القسم الأول

في أنه تعالى يأمرنا بخدمته

ان خدمته تعالى قائمة في أن نعمل ما يرضيه مدة حياتنا كلها، لكوننا خاصته وملكه، وهو خالقنا. فهو وحده مولانا ونحن خاصته وقد خلقنا له لا لنا. فان كان الله سيدنا ومالكنا وجب أن تكون حركاتنا وأعمالنا لها متجهة اليه، لأن ثمرة الملك راجعة لصاحب الأرض. قال الحكيم : ((الرب صنع الجميع لأجله)) (ا أمثال 16 : 4) فاذا ابتغينا ارادتنا أو خدمنا الخلائق بأي طريقة كانت كنا كمن يرتكب سرقة من ملك الله الخاص به. فيتحتم علينا أن نحيا ونعمل ونتكلم ونفتكر لأجل الله وبالله. لأن نفسنا وجسدنا وقوانا كلها وأوقاتنا بأسرها هي لأجله ولخدمته، فلا يمكن أن نستخدمها الا لهُ. فسواء كنَّا في الرفاهية أو الضنك، في العافية أو المرض، في الغنى أو الفقر، لا يحق لنا أن نعترض على الحالة التي أرادها لنا اله سبحانه لأنهُ هو المولى المطلق ((وهو الرب فما حسن في عينيه فليفعل)) (1 ملوك 3 : 18). لعمري كم هذه الحقيقة تؤنبني وتعنفني أنا الذي أفتكر في ذاتي أكثر من افتكاري في الله وأشتغل لذاتي أكثر من اشتغالي بأمر الله. وأحب نفسي أكثر منه تعالى، ناسياً انه غايتي ويجب عليَّ أن لا أحيا الا لأجله. فأعمل بحسب رغبتي وذوقي وطبعي كأني المتسلط على نفسي مع كوني ملكاً لله وخاصته وعائداً اليه. فيلزمني اذن أن أغيّر سلوكي وسيرتي وأوجه أفكاري برمتها اليه تعالى.

القسم الثاني

في كيف يريد الله أن نخدمه

أولاً : يريد الله أن نقدم له ذاتنا كلها. لأننا منه أخذنا كل شـــيء. فنفســنا وجســدنا وقوانا العقلية والعملية ووجودنا مع أوقاتنا قد اسـتمددناها منه. فمن الضـرورة اذن أن نقدمها كلها له. فبذلك نقدم له ما هو له وملكه.

ثـانياً : يريد الله منا أن نقدم ذاتنا له وحده فقط لأنه هو الذي أبدعنا ووهب لنا كل شـــيء من عنده. واذا أعطانا البشــر شــيئاً فما كانوا الا آلة بين يديه. اذن لا تحق خدمتنا الا لله وحده. فأفكارنا ونياتنا يجب أن تتوجه اليه وتنشأ لأجله وتناط به دون سواه.

ثالثاً : يريد الله ســبحانه أن نخدمه دائماً. لأن أوقاتنا بأســرها راجعة اليه طبعاً. فاذ كفّ عز وجل عن مســـاعدتي في عملي وكلامي وفكري تعذّر عليَّ العمل والتكلم والتفكر. واذا غمض عن حراســـتي دقيقة واحدة عدتُ الى العدم بلا ريب. اذن يترتب عليّ أن أكون لله ليل نهار في جميع الفرص والأوقات.

رابعاً : يجب عليّ أن أكون لله بمحبةً واكرام. أعني يجب ان أخصـص له ذاتي ولو كنت لا أتوقع منه مكافأة. وذلك لأنه خلقني ولا يزال يحفظني بحبّ مجاني لا لمنفعة له مني بل أنه أحياناً يحبني مع اهانتي له. فيجب عليّ اذن أن أنسى ذاتي وأن لا أفتكر الا فيه ولا أعمل الا له ولأجله وحباً له وحده. وهذا أول درس من التعليم المســـيحي حيث يقول : ان الله خلقنا لكي نعرفه ونحبه ونعبده. وعلى هذا المبدأ يتأسس الايمان والكمال كله. فلنستفد اذن من هذه التعاليم ولنحذر كل الحذر من السلوك بخلافها.

الهي اني أقصد من الآن قصداً ثابتاً صحيحاً كاملاً ان أخدمك خدمة نصوحاً، أخصص ذاتي لك وحدك بكل قوتي وارادتي وحريتي بلا خوف ولا طمع في شيء ولا حياء بشري. اني أهب لك قلبي وكل شـــيء لي حباً لك ومرضـــاةً لجلالك. مســـتودعاً كل ما يخصـــني لأمرك وتدبيرك. اني متأهب لأعمل كل شيء حباً لك بلا فتور ولا ضجر ولا تذمر بل ببهجة وسرور. ولست أتركك الى آخر نسمة من حياتي. اني أريدك وأبتغيك دائماً وأبداً. آمين

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 238).

الاثنين السابع بعد الغطاس

الخلاصة للعشية

نواصـــل غداً تأملنا في موضـــوع أمس فنرى : 1 أن الله الذي دعانا لخدمته يحق له أن يقتضـــي منا كل خدمة من غير أن يعدنا بمكافأة. 2 الله تعالى مع كونه غير ملتزم بمكافأتنا قد وعدنا بمجازاة عظيمة اذا أحسنا خدمته.

ونقصـد 1 أن نخدمه تعالى خدمة تامة كاملة بلا اسـتثناء شـيء وأن نتبع حركات النعمة في كل ما يطلبه الله منا 2 أن نكرّر له مراراً في النهار عواطف روحية كقولنا، اني كلي لك يا الهي. أريد أن أخدمك يا ربي. وما شاكل ذلك.

العاطفة الروحية هي أول الوصايا : أحب الرب الهك بكل نفسك وكل قدرتك.

التأمل للصباح

لنســجد لله تعالى مبدأنا وغايتنا طالباً أن نخدمه لأننا جبلته وصــنع يديه، ولأن كل ما لنا هو له وعائد اليه. فلنقدم له الاحترام والسجود والمحبة.

القسم الأول

في انه تعالى يحق له أن يقتضي منا كل خدمة بغير أن يعدنا بمكافأة

بما أننا قد أخذنا منه تعالى كل شـيء فاذا أعطيناه شـيئاً نعيد اليه ما يخصـه. ثم ان المنح والعطايا التي يمنحها البشـر تقتضـي من قابلها أن يبذل للمانح ما يليق بها من الخدمة والمروءة بلا أمل الحصـــول على تعويض أو مكـافأة. فكذلك بل بـالأحرى يجب علينا أن نكون كلنا له تعالى بغير أن نطلب منه مكافأة؟ فلو سلمنا بأن كل عمل يستوجب أجرة، لكان يحق لله سبحانه أن لا يعدنـا الا بـأجر وقتي فقط نظير خدمتنـا الوقتيـة، ولمـا كـان ملتزمـاً بـأن يمنحنـا ثوابـاً أبـدياً ســرمديًّا. فاذا وهب لنا هذا الثواب الأبدي كان ذلك كرماً وفضـــلاً من جودته فقط. وبناءً عليه ليس لنا عذر البتة إن أبينا أن نخدمه، وإن لم نكن كلنا له تعالى في كل شـيء وكل حال حتى في الأمور الطفيفة، إن لم نكن كلنا له على الدوام حبًّا له واجلالاً.

القسم الثاني

في انه تعالى يجازي الذين يخدمونه ويقدمون له كل شيء مجازاةً عظيمة

ان الله عزّ شـــأنـه يقدم لنا ذاته على قدر ما نقدم له ذاتنا. فكما أنه يروم أن نكون كلنا له ونزهد في كل شـــيء حبًّا له ولخدمته، كذلك يقابلنا هو بتقديمه ذاته كلها لنا. فان خصـــصـــنا له ذاتنـا بتمـامهـا كـان هو ســـبحانه أيضـــاً بتمامه لنا، كأنه ليس في الدنيا غيره وغيرنا. وما عدا المجازاة الأبدية فانه يغمر بالنعم والخيرات في الحياة الحاضرة جميع الذين يضحون بذاتهم له، ويسكن في قلوبهم ويعزيهم ويريحهم ويبهجهم بسلام لا يذوقه الا أنقياء القلب والأصفياء. وهذه لذة الفردوس السابقة تُعد كعيد دائم وفرح متواصل.

فيا ما أســعد من يخدم الله ويحبه بكل قلبه. ويا ما أتعس من يغفل عن خدمته ويتوانى في أدائها لجلاله، فانه يتعذب كثيراً. يتعذب ويعيش على الأرض عيشـة جهنمية بمشـقات متواصـلة دائمة. واهاً يا الهي ما أحسن خدمتك! فلنحثّ ذواتنا بهذه الاعتبارات المقدسـة على أن نفعل كل شـيء لأجل الله وأن نحسن صـنيعه قدر استطاعتنا. فلنتذكر الآن كل ما يجب علينا أن نفعله في هذا النهار. ولنقصـــد بنعمته تعالى قصـــداً ثابتاً أن نصـــنعه لأجل الله وحده وبكل ما يمكننا من الاتقان.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 241).

الثلاثاء السابعة بعد الغطاس

الخلاصة للعشية

اننا تباعاً لطقس الكنيسة الرومانية التي تحتفل في مثل هذا النهار يذكر يسوع في بستان الزيتون، نتأمل غداً : 1 في أنه يجب علينا أن نحيد عن الخطيئة. 2 أن نقدس ما يدهمنا في هذه الحياة الدنيا من التجارب.

فنقصد 1 أن نتذكر يسوع في بستان الزيتون لكي نحثّ ذواتنا على الندامة على خطايانا وذلك وقت فحص الضمير مساء أو حين استعدادنا للاعتراف السرّي. 2 أن نسبق في كل صباح وننظر الى مصائب النهار لنتشجع على احتمالها بصبر وتجلد بلا تذمر ولا تشكٍّ.

العاطفة الروحية هي قول المخلص في بستان الزيتون : ((يا أبتِ لا تكن مشيئتي بل مشيئتك)) (لوقا 22 : 42).

التأمل للصباح

لننتقل بالروح الى بستان الزيتون، ونشاهد المخلص جاثياً على الأرض، يصلي باخبات أمام عظمة الله أبيه، والعرق الدموي يقطر من جسمه الطاهر من شدة حزنه ووافر حبه لنا. فلنخرّ أمامه ونلتقط شيئاً من تلك القطرات الدموية الخلاصية القاطرة لأجل خلاصنا. ولنمزج دموعنا بدمه الالهي.

القسم الأول

ان يسوع في بستان الزيتون يعلمنا أن نحيد عن الخطيئة

ان ارتكابنا الخطيئة دليل على عدم خوفنا منها. واقترافنا اياها بسهولة برهان على عدم بغضنا وكرهنا لها كما يجب، وعلى كون ندامتنا عليها ليست كافية. فلو كنا نحارب الخطيئة كما يلزم لما عدنا الى ارتكابها مراراً وبتلك السهولة. لكن السيد المسيح في بستان الزيتون يقدم الدواء الناجع لمعالجة هذا الداء.

أولاً : يعلمنا أن نخاف الخطيئة، فان نفسه القدوسة ترى شناعة الخطيئة حتى العرضية بخلاف ما نراها نحن. اذ تدرك ما هو الله وما هي محبته غير المحدودة وما أفظع اهانته. وما هي جهنم وما أرهب السقوط فيها. وما هي السماء وما أعظم خسارتها. وما هي النفس وما أثمن قيمتها. وما هي النعمة وما أمرّ عدم الاستفادة منها. فلو اعتبرنا مثله جميع الخطايا التي قلما نكترث لها، أفكار الكبرياء والشهوة والطمع وأقوال النميمة والافتراء والأعمال القبيحة واللذات والأطايب وسائر النقائص العديدة لازداد خوفنا جداً من الخطيئة.

ثانياً : بعدما فهمنا جسامة الخطيئة وضررها وشناعتها يعلمنا يسوع أن نبكي عليها دماً ونمقتها مقتاً متواصلاً حتى الموت. فلمزيد حزنه خرّ على الأرض واقتضى أن ينحدر ملاك من السماء ليشدده. ما أعظم هذا المثال للندامة الحقيقية!

ثالثاً : يعلمنا يسوع في بستان الزيتون أن نحارب الخطيئة. فقد شعر بثقل الأتعاب والعذابات وشديد مرارتها ودنوّه من الموت. فقاوم تلك المعاكسات الطبيعية وتغلب عليها ونهض وقال : فلنقم ولنسر الى حيث يشاء الله. وبناء عليه يلزمنا أن نخدم الله دائماً، وأن نقاوم ذوقنا وشهوتنا ونخضع لإرادته تعالى متذكرين أن مثل هذه المقاومة لا يضرنا البتة ما دامت ارادتنا متحدة بالله.

القسم الثاني

في أن يسوع يعلمنا في بستان الزيتون أن نقدس ما يدهمنا

في هذه الحياة الدنيا من التجارب

ان يســـوع الفادي تذرّع بثلاث وســـائل للتخلص من التجارب التي داهمته في بســـتان الزيتون أولاً قد استعان بالصـلاة فابتعد عن رسـله كي يصـلي. وكفَّ عن صـلاته دفعتين حباً لخير تلاميذه ثم عاد يصـلي. وكلما كانت تزداد عليه الأحزان والشـدائد كان يزداد في الصـلاة والابتهال : ((ولما أخذ في النزاع أطال في الصلاة)) (لو 22 : 43). أما نحن ففي ضيقاتنا نلتمس التسلية والتعزية من الخلائق، واذا شكونا اليهم ما انتابنا ازددنا حزناً وضيقة.

ثانياً : ان يســوع جعل ارادته مطابقة لإرادة الله أبيه. فلم يطلب التملص مما أحاق به من الضيق بل سلم اليه مشيئته بقوله : ((لكن ليس كمشيئتي بل كمشيئتك)) (متى 26 : 39). فجميع الأحزان والشدائد تفقد استحقاقها ان لم يكن يصحبها التسليم التام لمشيئة الله بل تتحول الى خطيئة بسبب الضجر والتشكي.

ثالثاً : ان يسوع احتمل بصبر قلة اكتراث تلاميذه له. فانه قصدهم دفعتين فوجدهم نائمين مع أنه أوصـاهم أن يسهروا ويصلوا، ووبخهم على تقصيرهم توبيخاً ممزوجاً باللطف والمحبة، بل عذرهم أيضـاً وحرضـهم ثانية على السـهر والصـلاة. وقد شـاء أن يعلمنا بذلك أن لا نحزن قريبنا لسـبب حزننا، ولا نضـايق غيرنا لسـبب ما يلمّ بنا من الضـيق، وأن لا نشـتكي من عدم اكتراثهم لنا، وأن نعذرهم من نقصهم وعيوبهم. ألا نفعل نحن خلاف ذلك مراراً؟...

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 243).

الأربعاء السابعة بعد الغطاس

الخلاصة للعشية

نعود الى تأملاتنا في خدمة الله فنرى : 1 أن الخلائق بأسـرها تدعونا الى خدمته تعالى. 2 أن الخلائق كلها هي وسائل لخدمته عزّ وجل.

ونقصـــد 1 أن لا نضـــع ســـرورنا بالخلائق بل بالله وحده وأن ننظره تعالى في جميع الخلائق 2 أن نســـتخدم كل الأشـــياء وكل الحوادث التي في هذه الدنيا كمرقاة تبلغنا الى الله والاتحاد به.

العاطفة الروحية هي عبارة أولياء الله : ((ماذا ينفعني هذا أو ذاك لأجل الله أو لأجل الأبدية ؟)).

التأمل للصباح

لنسجد للباري تعالى مكوّناً البرايا لأجل الانسان، وخالقاً الانسان لأجله. ولنباركه على هذا التدبير العجيب الذي يجمع جميع الأشياء والخلائق كسلسلة واحدة ويربطها بالخالق الأعظم. ولنكرر له من صميم القلب شواعر الشكر والمحبة.

القسم الأول

في أن الخلائق تدعونا الى خدمة الله

ان السماء وعظمتها وجمالها تدعونا الى خدمته تعالى برجاء البلوغ اليها. كما أن جهنم وعذابها وأهوالها تضطرنا الى هذه الخدمة بالخوف من السقوط فيها. وان مريم العذراء والملائكة والقديسين قاطبة يدعوننا الى خدمة الله بأمثالهم الحسنة : فما فعله هؤلاء القديسون والقديسات لماذا لا أفعله أنا أيضاً؟ وأن هذه السماء التى فوق رؤوسنا تنادينا بأصوات عديدة متنوعة قائلة : ما أحقر الأرض في جنب السماء! واذا وجهنا ألحاظنا الى الأرض رأينا جميع الكائنات تدعونا بلسان حالها قائلة : اياكم والتعلق بي. ارفعوا عقولكم وقلوبكم الى الله الذي خلقني لأجلكم. فالشمس والقمر والنجوم والنار والماء والهواء والأزهار، بإفادتنا بعض الفوائد، تدعونا الى رفع نظرنا الى الله خالقها لنزداد حباً له تعالى.

ثم ان كل ما يحدث في الأرض يدعونا الى تمجيد الله. فإن كان موافقاً لرغائبنا شكرنا الله الذي هيأه لنا. وان كان غير موافق لها، اتخذناه وسيلة للتسليم والصبر والاحتمال والاتضاع والتجرّد والشوق الى الراحة الدائمة وللصلاة الحارة التي هي تعزية النفوس الحزينة ولازدياد الأجر والثواب في كل فعل احتمال وفي كل انتصار على ذواتنا.

أخيراً حتى الخطيئة عينها يجب أن ترفعنا وتقربنا الى الله سبحانه باتضاع مملوء رجاء وبصلاة حارة كصلاة العشار، وبمقاصد فعالة لنحيا حياة أفضل ونصلح ما مضى. وهكذا كل شيء يؤول لخير الذين يحبون الله (رومة 8 : 28) وزاد على ذلك القديس أوغسطينس : ((حتى الخطايا)). ونضيف نحن الى ذلك : حتى خطايا الغير أيضاً. فإنها تحرّضنا على تسبيح الله والاقتداء بصبره وجودته ورحمته وعلى الابتهال اليه لأجل توبة الخطأة. هل أصغينا الى أصوات الخلائق المرتفعة من كل جهة والداعية ايانا الى محبة الله وخدمته؟ ان القديسين كانوا يحسنون الاصغاء الى مثل هذا الصوت ويستفيدون من سماعه لكي يتقربوا اليه تعالى أكثر فأكثر ويتقدموا في الكمال على الدوام.

القسم الثاني

ان الخلائق كلها هي وسائل لخدمته تعالى

لنستخبر القديسين عن هذا السر فيفيدونا ان كل الخلائق كانت لديهم كدرجات يرتقون بها اليه تعالى، أو كمرآة تنعكس فيها صورة الله وكمالاته البديعة، أو كأتون متسعر تضطرم فيه قلوبهم حبًّا لله بنيران جديدة على الدوام. فلنقتفِ آثارهم : فعند نظرنا الى السماء فلنقل : تمجد الرب الذي صنع هذه العظائم لأجلنا. وعند مشاهدتنا الأرض وحصادها وعشبها وأثمارها وأزهارها فلنكرّر قولنا : تبارك الله على رحمته ومحبته لنا لأنه أبدع لنا هذه الخيرات الكثيرة ومنحنا هذه النعم الوافرة. وعند تفكرنا في حوادث العالم كلها فلننتقل منها الى حب العناية الربانية التي تدبر كل شيء بحكمة وجودة لأجل خير المختارين. وعند تذكرنا خطايا البشر فلنرفع ألحاظنا وقلوبنا اليه تعالى مباركين صبره الذي يحتمل سراً وبأناة مثل هذه الاهانات الكثيرة والفظيعة. ما أسعد الانسان الذي يوجه نظره وقلبه هكذا الى الله. وما أتعس من ينظر الى الخلائق ويتعلق بها ويتخذها كأنها غايته الأخيرة وتعزيته الوحيدة وسعادته في هذه الدنيا، ولا يكترث له تعالى كأنه لا يستحق المبالاة. فمثل هذا ينكر الغاية التي لأجلها خلق الله الكائنات، وبدل أن يتخذها ذريعة لارتفاعه اليه تعالى يجعلها سبباً لإهانة الله وهلاك نفسه. فلنفحص هل نحن أيضاً في هذا الضلال أم لا؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 246).

الخميس السابع بعد الغطاس

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في كيفية استخدام الخلائق حباً لله. فنرى : 1 كيف يجب أن نستعمل الأشياء الضرورية لمعيشتنا. 2 كيف يجب أن نستعمل الأشياء غير الضرورية للمعيشة.

ونقصد 1 أن نتخذ ما يحدث لنا وما يجب علينا أن نفعله كوسائل لتقديسنا 2 أن لا نبتغي ولا نطلب على الأرض شيئاً الا ارضاء الله.

العاطفة الروحية هي عاطفة أمس : ((ماذا ينفعني هذا أو ذاك لأجل الله أو لأجل الأبدية)).

التأمل للصباح

لنسجد لله تعالى غايتنا الجوهري وغاية جميع الأشياء، والمحور الواجب ان تعود اليه وحده جميع أفكارنا وعواطفنا ومقاصدنا وأفعالنا. ولنؤدّ اليه فروض سجودنا واكرامنا.

القسم الأول

في كيف يجب أن نستعمل الأشياء الضرورية لمعيشتنا

ان ما يلزم المعيشة هو النوم والأكل والشرب واللبس والسكنى وأشياء كثيرة أمثال هذه يحتاج اليها الجسد لأجل حفظه وراحته أيضاً. فابن العالم يضع لذته ومسرّته في هذه الأشياء

الحقيرة الدنيئة زاعماً ان فيها سعادته. أما المسيحي الحقيقي فانه يفتكر ويتصرّف بخلاف ذلك. يشعر بحقارته ودناءته اذ يرى ذاته أسيراً لمثل هذه الحاجيات ولا يسعه الحصول عليها بذاته بل يفتقر الى مساعدة الحيوانات والبشر والأرض والعناصر. فيستحقر ذاته ويستذلها دائماً. وحين استخدامه كل هذه الحاجيات يئن ويستعمل هذه القواعد الثلاث التي جرى عليها القديسون وهي : استعمل ، واشكر ، وخَف.

أولاً: استعمل ما هو ضروري فقط. ولا تستعمله لأجل اللذة بل طاعةً لله الذي أراد ودبّر ذلك. واستعمله بروح الاتضاع والتسليم لإرادته ومرضاته ومحبته.

ثانياً: اشكر الله على منحه اياك ما هو ضروري لمعيشتك. اشكره لأنه وهب لك أكثر من غيرك وفضَّلك على غيرك. واشكره بالأكثر إن منحك ما يخالف ذوقك وهواك. لأنه يجعل ذلك وسيلة لإماتة نفسك واكتسابك الأجر بالصبر والاحتمال.

ثالثاً : خف من أن يتعلق قلبك بالخلائق واحرص من التفريط واستزادة ما ليس بضروري. ومتى حصلت لك زيادة فضحّ بها لله تعالى. خف من الجسد لئلا يتغلب على النفس ويتمرد ويبطر بسبب النهم والشره.

ففي مثل هذه القواعد وفي حفظها يزول عنك الخطر والميل والشهوة البدنية واضاعة الزمان سدى واستعمال الأشياء للذة فقط. بمثل هذه القواعد تُلجم الشهوات وتَستدرِك النفقات الزائدة الباطلة والأمور غير المرتبة. ويتيسر لك أن تناجي نفسك قائلاً : في وسعي أن أترك جملة أشياء وأستغني عنها وأستبدلها بأعمال خيرية نافعة تدَّخر لي كنوزاً في السماء وترفع نفسي الى الله وتقدسها وتزيدها غراماً به تعالى. فلنجتهد أن نتبع القواعد من الآن فصاعداً.

القسم الثاني

في كيف يلزمنا أن نستعمل ما ليس ضرورياً للمعيشة

اننا نعني بما ليس ضرورياً للمعيشة في ما امكاننا تركه والتخلي عنه من غير ضرر بحياتنا. كزيادة الثروة والحصول على المجد والكرامة والسمعة والصيت والعيشة البذجة

والألعاب أو النزهات غير الضرورية وما شاكل ذلك. والقاعدة التي يجب اتخاذها في مثل هذه الأمور هي أن نسأل نفسنا قائلين : ماذا يجرّ الينا هذا الأمر من النفع لأجل الله ولأجل الأبدية. فان وجدناه نافعاً توخيناه ولزمناه بكل محبة. وان رأيناه مضرًّا أو مخالفاً نبذناه وطرحناه بسرعة واشمئزاز. وان ألفيناه غير نافع ولا مضرّ كنا بإزائه متجرّدين لا نبتغيه ولا نرفضه ولا نُفضل هذا على ذاك. ليتني تبعت هذه القواعد الخلاصية، لكانت حياتي الماضية أفضل بكثير! فلم يبقَ لي الا أن أتخذ بنعمة الله المقاصد الحسنة الثابتة لأجل المستقبل.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 248).

الجمعة السابعة بعد الغطاس

الخلاصة للعشية

نختصر غداً تأملات هذا الأسبوع بثلاث عبارات : أن نكون كلنا لله. ذلك واجب علينا. ذلك مجدنا. ذلك سعادتنا.

فنقصد 1 أن نضحي لله تعالى بكل تعلق مهما كان طفيفاً 2 أن نكرر هذا القول كعاطفة روحية : كل شيء لله وحده. كل شيء لأجله وحده.

العاطفة الروحية هي عبارة المرنم : ((الله هو صخرة قلبي وحظي الى الأبد)) (مز 72 : 26).

التأمل للصباح

لنسجد لله المحبوب وحده فوق كل شيء، الذي نجد العدل والسعادة والمجد والفوائد كلها في التعلق به وحده. أجل يا الهي: أن نكون لك وحدك، وكلنا لك ولك على الدوام، ذلك فرض واجب علينا، ومجد لنا وسعادة.

القسم الأول

أن نكون كلنا لله، ذلك واجب علينا

ذلك يقتضـــيه منا واجب العدل عينه، لأن وجودنا هو منه وراجع اليه. وواجب الشـــكر، لأن وجودنا وحياتنا انما هما من نعمه وخيراته. وواجب الضـــمير، لأننا لا نقدر أن نختلس لله شيئاً بغير أن ينبهنا ضميرنا على أننا أسأنا اليه تعالى. ذلك واجب شرف أيضاً ورقة عواطف، فان الله وحده سبحانه قد تنازل ونظر الى ضعفنا فأبقى أموراً كثيرة في حدود المشورة فقط ولم يضعها في منزلة الوصايا الصريحة، فيجب علينا من ثم أن نكون أسخياء وكرماء في خدمته، وأن نفعل لأجله ما في امكاننا وعلى أحسن ما يكون وبحب بنوي. ولا نفشل أبداً بسبب سقطاتنا ولا يأخذنا قلق ولا وسواس في الأمور التي ليست من باب الوصية عندما نخلّ فيها. بل نتذلل أمامه لأجل ضعفنا وسقوطنا، ونعوّض عن تقصيرنا وزلاتنا بحياة أكثر تواضعاً واجتهاداً في ارضائه تعالى.

القسم الثاني

أن نكون كلنا لله، ذلك مجدنا

ان التخلي عن قسم من قلبنا أو وقتنا وتخصيصه للخليقة أو الدنيا أو الشهوات أو الأميال الرديئة هو أمر يخلّ بشرف الانسانية والصفة المسيحية ويُحسب علينا عاراً وخللاً جسيماً. بين البشر من يفتخرون بأنهم لا يخدمون الا الملوك. فيجب علينا نحن أن نعد شرفاً باذخاً كوننا لا نخدم الا الله وحده ملك الملوك. ثم نحن أعظم من أن نخدم العالم. لأن العالم يزول ونحن نبقى الى الأبد. نحن أبناء الله وذريته (أعمال 17 : 28) وأحباؤه ومسارّوه وأصفياؤه. ثم ان الله تعالى انما دعانا لنعمل ونحيا لأجله وهو لا يقصـــد في جميع أعماله الا مجدَه. أما مجدنا فقائم بصيانة شرفنا معتبرين ذاتنا أرفع من الخلائق وأسمى. فيا لخجلنا ان ذللنا نفسنا وحططنا من قدرها وأخضـــعناها للخليقة. فلنحرص اذن على مقامنا وشـــرفنا ولنغر على مجدنا ولا نعمل أعمالنا. منذ الآن فصاعداً الا لله ولأجل الله فخرنا ومجدنا وشرفنا.

القسم الثالث

أن نكون كلنا لله، ذلك سعادتنا

إن حِدنا ولو قليلاً الى غاية أخرى غير الله صـــرنا أشـــقياء تعســـين، تارة نخاف وتارة نرغب. وان نقصنا شيء واحد كان كافياً ليلقينا في الحزن والغم. بل نشعر ولو لم ينقصنا شيء بأن جميع الأشياء باطلة زائلة فيها المرارة والاضطراب والقلق والخطر أو الهلاك. أما ان كان قلبنا كله لله فقد حصـلنا على السـلام والرجاء والثقة والسـعادة. وصـرنا في حال حسـنة مع الله ومع القريب ومع ذاتنا أيضـاً، لأن القلب الذي يسـتسـلم الى الله تعالى تماماً يكون موضـوعاً في عنصـره فيجد الحياة والسـعادة والفردوس منذ هذه الدنيا – فلنتأمل كم من المشـقات والأحزان نتجنب اذا كنا كلنا لله. وكم نجلب على نفوسنا من دواعي الأسف والغموم بخدمتنا الخلائق.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 251).

السبت السابع بعد الغطاس

الخلاصة للعشية

نتـأمل غداً في آية الانجيل القائل ((ان المدعوّين كثيرون والمختارين قليلون)). فنرى : 1 لماذا عدد المختارين قليل. 2 ما الذي يترتب علينا أن نصنعه لنكون من هذا العدد القليل.

ونقصـــد 1 أن لا ندع أمثال الجمهور تتغلب علينا وتقودنا الى العمل، بل نجري فيه على مثال القديسين 2 أن نهتم كل الاهتمام بتقديسنا ونسعى وراءه بجد.

العـاطفة الروحية هي آية الانجيل القائل : ((ان المدعوّين كثيرون والمختارين قليلون)) (متى 20 : 16 و ف 22: 14).

التأمل للصباح

لنســـجد ليســـوع فـادينـا متفوهـاً بهذه العبارة الهائلة: ان المدعوّين كثيرون والمختارين قليلون. ولنتأمل في كونه سـبق فنظر كثرة المزدرين رسـالته ورحمته وآلامه وموته وأسـراره والوسـائل الخلاصـية التي يقدّمها لهم وهم يسيئون استعمالها، فتفاقم حزن قلبه حتى اضـطرّ أن يقول في بسـتان الزيتون ((ان نفسـي حزينة حتى الموت)). فلنشـكر له حبه لنا الفريد، ولنعده أن نعزّي قلبه الأقدس بعيشتنا عيشة المختارين.

القسم الأول

لماذا عدد المختارين قليل

ان قلة عدد المختارين متأتية عن عمل الانسان لا عن عمل الله تعالى

أولاً : لأن الكثيرين لا يهتمون بأمر خلاصـــهم اهتماماً جيداً ولا يريدون أن يكترثوا له. بل يفتكرون في الدنيا ويتغاضـــون عن الافتكار في ما يحل بهم بعد الموت. فعوض أن يفلحوا كرم نفســهم يســرفون أوقاتهم بالافتكار في ما لا يجديهم نفعاً. ويتقاعســون عن خلاصــهم كأنه تعالى يلتزم أن يضـــطرهم الى عمل خلاصـــهم. وهذا أمر مســـتحيل. ((لأن الله خلقنا بدون ارادتنا، لكنه لا يخلّصنا بدون ارادتنا)).

ثانياً : ان عدد المختارين قليل لأن الكثيرين، مع افتكارهم في أمر خلاصهم، لا يجسرون أن يلازموا عيشـة تضـمن لهم الخلاص. فنراهم متوانين متكاسـلين خائفين من العيشـة المقدسـة المستعذبة الحلوة التي تبلّغ صاحبها السعادة. فالتراخي يعوقهم عن عمل الصلاح. فيقولون: اني أريد أن أكون قديســاً ومختاراً لله، ولا يكلفون أنفســهم مشــقة وتعباً ولا يضــحون بشــيء من أهوائهم وأميالهم. ذلك لأن ارادتهم ضـعيفة متراخية متضـعضـعة عقيمة. وهم يجهلون أن جهنم ملأى من الهالكين الذين كانوا يريدون أن يخلصـــوا بنصـــف ارادة فقط. فلكي ننجح في أمر خلاصـــنا يتحتم علينا أن نجعله فوق كل شـــيء، ونريده ارادة ثابتة، ونســـعى وراءَه بكل جد

واجتهاد وبكل قوانا، مكررين مثل هذا القصـــد مراراً وقائلين: أريد أن أخلص. أريد ذلك مهما كلفني الأمر. ومهما قال الناس عني أو افتكروا فيَّ. فلنفحص بهذه الدلائل هل نحن من عداد المختارين.

القسم الثاني

ما الذي يترتب علينا عمله لنكون من عداد المختارين

أولاً : يجب علينا أن نبتعد عن الطريق الرحبة التي يســير فيها الكثيرون ونتبع الطريق الضيقة التي يسير فيها العدد القليل، غير منجذبين لعوائد العالم وأمثاله غير المرضية، ولو كان الجمهور جارياً عليها.

ثانياً : ينبغي ان نضــع نصــب عيوننا دائماً العلامات التي نميز بها الطريق الرحب من الطريق الضيق لئلا نغلط ونضل. وعمليًّا نعرف الطريق الواسع من هذه العلامة وهي أننا لا نريد أن نزعج ذاتنا بل نروح أن نعيش على هوانا بكل راحة وبدون اكراه. ونظن أنه يكفينا أن نكون خالين من العيوب الكبيرة وأننا لا نؤذي أحداً. لكننا لا نتوق أبداً الى الســير في جادة التقوى والقداسة بل نترك ذلك لغيرنا.

أما الطريق الضيق فيعرف بمثل هذه العلامات : وهي ان يحارب الانسان حرباً متصلة الأميال والأهواء والملكات الرديئة ولاسيما الملكة المتسلطة عليه ويقصد أن يكبحها ويميتها. وأن يتمسك ويتشبث بالواجب مهما كلفه ذلك وينكر نفسه ويحمل صليبه ويسهر على ضبط قلبه وحواسه. ان ذلك يظهر صعباً لكن ممارسته مملوءة حلاوة وبهجة.

ثالثاً : يجب على الانسان أن يشتغل لأجل خلاصه بشجاعة ورجاء قائلاً : لماذا لا أقدر على ما قدر عليه الكثيرون. فان الانســان مع الارادة الصــالحة الفعالة يقدر على كل شــيء بمســاعدة النعمة. فلننظر الى هذه العلامات ونفحص في أي طريق نســير نحن. ألا نكتفي بأن نعيش نظير العدد الكبير، تابعين أهواءنا، تاركين ما يزعجنا، غير مختارين من الديانة الا ما يوافقنا وطارحين الباقي وراء ظهرنا؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 253).

الأحد الثامن بعد الغطاس

الانجيل من القديس لوقا (8 : 4 – 16)

((فلما اجتمع جمع كثير وأتوا اليه من جميع المدن قال بمثل. خرج الزارع ليزرع زرعه. وفيما هو يزرع سقط البعض على الطريق، فوُطئ وأكلته طيور السماء. والبعض سقط على الصخر، فلمَّا نبت يبس لأنه لم تكن له رطوبة. وبعض سقط بين الشوك، فنبت الشوك معه، فخنقه. وبعض سقط في الأرض الصالحة، فلمَّا نبت أثمر مئة ضعف. قال هذا ونادى: من له أذنان سامعتان فليسمع. فسأله تلاميذه: ما هذا المثل؟ فقال لهم: أنتم قد أعطيتم معرفة أسرار ملكوت الله، وأما الباقون فأكلمهم بأمثال، لكي ينظروا، ويسمعوا ولا يفهموا. وهذا هو المثل. الزرع هو كلمة الله. والذين على الطريق هم الذين يسمعون ثم يأتي ابليس ويذهب باللكمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا. والذين على الصخر هم الذين يسمعون الكلمة ويقبلونها بفرح، ولكن ليس لهم أصل وانما يؤمنون الى حين وفي وقت التجربة يرتدون. والذي سقط في الشوك هم الذين يسمعون ثم يذهبون فيختنقون بالهموم والغنى وملذات الحياة فلا يأتون بثمر. وأما الذي سقط في الأرض الجيدة فهم الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها في قلب جيد وصالح ويثمرون بالصبر)).

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً وفي أثناء الأسبوع القادم في مثل الزارع. فنرى في تأمل الغد : 1 سمو كلام الله. 2 كثرة الأنواع التي يكلمنا بها الله.

ونقصد 1 ان نقبل بكل احترام وشكر كلام الله سواء كان بالإرشاد أم بالقراءة أم بالأفكار الصالحة 2 أن نعتبر كلامه تعالى ككنز ثمين ونحفظه في قلبنا ونطابق عليه حياتنا.

العاطفة الروحية هي ما قاله الانجيل عن سيدتنا مريم العذراء : ((كانت مريم تحفظ هذا الكلام كله وتتفكر به في قلبها)) (لوقا 2 : 19).

التأمل للصباح

لنسجد ليسوع المسيح معلماً ايانا في مثل الزارع ما يجب علينا أن نعرفه من كلام الله ونعمله. ولنحمده على تنازله اذ شاء بهذا المثل السهل أن يعلم أبسط الناس أسمى الحقائق وذلك بأسلوب هين جلي.

القسم الأول

في سمو كلام الله

كما أن النار تنقي الذهب من الصدأ وتضيء وتضرم، كذلك كلام الله يطهر النفوس ويضيء العقول ويضرم القلوب.

فأولاً : يطهر، أي يجعل المتكبر متضعاً. والشهواني عفيفاً، والبخيل سخيًّا. ولعمري كم من الخطأة قد ردهم الى التوبة! وكم من الفاترين قد جعلهم حارين بالعبادة وبسيرة أفضل. ثانياً : يضيء، أي يوضح للنفس زوال اللذات الأرضية كالغنى والمجد، وبطلان الشهوات والأميال الرديئة، ويبين لها أنوار الايمان الطاهر والحياة المقدسة الملاكية، ويصرح لها بأن كلام الله يضاهي عمود النار الذي يقود خطواتنا في طريق السماء. ((كلمتك مصباح لقدمي ونور لسبيلي)) (مز 118 : 105) فعبارات قليلة من التعليم المسيحي كافية لتعليم الانسان واجباته أكثر من كتب الفلاسفة والحكماء البشريين.

ثالثاً : يُضرم، أعني يشعل نار الحياة الروحية في النفوس الميتة بالخطيئة ويوقدها بنار المحبة بدلاً من نيران الشهوة. فكم أستوجب من التوبيخات لأن كلام الله بذنبي لم يطهرني بعد. فان صدأ الأفكار الباطلة العديدة يحول بيني وبينه. فالأفكار الرديئة والشهوات الفاسدة تجعل الزرع الالهي بلا ثمرة. آه ان قلبي متشبث بالعلائق الرديئة. ان كلام الله بذنبي لا يضيء

نفسي، لأني غارق في ظلمات الخطيئة ومتسكع في دياجير اللذات الباطلة الخالية من روح الله. ولذلك لا أستعين بأنوار الايمان اذ أنشئ أحكامي وآرائي. أخيراً ان كلام الله بذنبي لم يضرمني فلا أزال فاتراً بل بارداً في خدمة الهي وخالقي!

القسم الثاني

في كثرة الأنواع التي يكلمنا بها الله

ان الله تعالى بجوده الغير المتناهي قد أجزل لنا الوسائل التي يبلغنا بها كلامه. فانه سبحانه يكلمنا أولاً بالارشاد الشفهي في منابر الوعظ ومنابر الاعتراف وقبول الأسرار والنصائح المختلفة. ثانياً : يخاطبنا بواسطة الكتب المقدسة التي يمكننا أن نطالعها. فان مطالعتها قد غيرت قلوباً عديدة وأرجعتها الى الله. ثالثاً: يخاطبنا الله باطناً بالأفكار الصالحة والخواطر التقوية وتبكيت الضمير وأنوار النعمة والصلاة العقلية والتناول وزيارة القربان الأقدس في أوقات لا تخطر على بالنا. فيا لسعادة النفوس المستعدة لقبول كلامه وامتثال أمره. رابعاً : يخاطبنا تعالى بالأمثال الصالحة التي يقدمها لنا، لأن المثل الصالح يحاكي عظة تعلمنا المحبة والوداعة والصبر والغيرة واحترام الكنائس والمواظبة على حضور الصلوات الجمهورية الكنسية وقبول الأسرار. فما هي الثمار التي جنيناها من تلك الوسائل الخلاصية العديدة؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 257).

الاثنين الثامن بعد الغطاس

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في ثلاثة موانع تصد كلام الله عن أن يثمر في النفوس، وقد أشار اليها الفادي بالأراضي الثلاث التي يقع فيها الزرع. فالمانع الأول هو الطيش الذي تشير اليه الأرض التي يسلكها الجميع ويطأونها. والمانع الثاني هو الجبانة التي تشير اليها الأرض المحجرة التي لا تصلح للزرع واذا نبت أيبسته. والمانع الثالث هو العلائق غير المرتبة التي تشير اليها الأرض الممتلئة شوكاً.

فنقصد 1 أن نحفظ نفسنا منفردة بالله لنستفيد من الخواطر الحسنة التي يلهمنا اياها 2 أن لا نعارض حركات النعمة.

العاطفة الروحية هي عبارة الرسول بولس : ((ان الأرض التي تشرب المطر النازل عليها مراراً فتخرج نباتاً يصلح للذين حرثوها تنال البركة من الله لكنها ان أنبتت شوكاً وحسكاً فهي مرذولة وقريبة من اللعنة وعاقبتها الحريق)) (عبر 6 : 7 أو 8).

التأمل للصباح

لنؤدّ ليسوع المسيح فروض سجودنا ومدحنا وشكرنا لأنه جاد علينا بإيضاح الموانع التي تصدّ كلام الله عن أن يثمر في قلوبنا. لعمري ما أثمن هذا التعليم. ليتنا نفهمه حسناً ونستفيد منه.

القسم الأول

في المانع الأول لكلام الله وهو الطيش

ان النفس الطائشة تشبه أرضاً يطأها الناس على اختلافهم ويدوسونها ويفسدون زرعها، فيأتي طير السماء ويأكله. ان تلك النفس التعسة التي تمر بها كل أنواع الأفكار الباطلة السخيفة وتملأها أميال العالم وأخباره تصرف انتباهها أبداً الى ما حولها ولا تهتم بذاتها. فيشغلها الماضي والحاضر والمستقبل فلا يؤثر فيها والحالة هذه الزرع الروحي ولا ينبت ولا ينمو. فإمّا تدوسه الأرجل بواسطة الأفكار الباطلة، وإما تأكله طيور السماء أي التصورات الفارغة

التي تتمثل لها. فتراها تتخذ مقاصد صالحة فتكون تلك المقاصد فيها بمثابة الزرع المزمع أن ينبت. لكن النفس لا تنتبه لذاتها، فتأتي الأفكار الخارجية وتنقضّ على الزرع فلا تعود النفس تفتكر فيه. فيفقدها الطيش كل شيء. ألم يكن تصرفنا على هذه الصورة؟

القسم الثاني

في المانع الثاني لكلام الله وهو الجبانة في الفضيلة

يعني المخلص بالزرع الساقط على الصخر أولئك الذين يقبلون الكلمة بلا تذمر بل بفرح ويحبون استماع المواضيع الدينية والمطالعات الروحية. لكنهم عند حدوث تجربة أو مصيبة أو صعوبة يعتريهم الفشل ويرتدون الى الوراء. فالجبانة في خدمة الله هي ذلك الصخر الذي بسببه ييبس الزرع الالهي في القلب ولا يعود ينبت. فحالة الانسان الجبان حسنة ما دام لا يُطلب منه تضحية. ولكن اذا جاءته صعوبة أو تجربة يتوقف، فان الزرع الالهي عثر فيه بالصخرة أي الجبانة فلا يعود ينمو بل يجف وييبس ويموت. فالإنسان الكسول يريد أن يحب الله ويخدمه ويخلص بشرط أن لا يقهر نفسه. ينظر الى سيرة القديسين متعجباً ولكنه لا يقتدي بهم. فان في سبيله صخرة وهي الجبانة. ليت شعري ((من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر)) (مرقس 16 : 3) فينبعث الانسان الجديد وتثمر أقوال الله وتفعل مفعولها في القلب.

القسم الثالث

في المانع الثالث لكلام الله وهو العلائق غير المرتبة

ان المخلص أعلن أن الأشواك التي تخنق كلام الله هي العلائق غير المرتبة. فالأرض جيدة ويدل على خصبها طلوع الشوك. وفي النفس شجاعة لعمل الخير وقوة لقبول الفضائل التي يأمر بها الله واستعداد لممارستها وحفظها. غير أنها بين تلك المقاصد الصالحة، تنمو بعض أميال لا تُقدِم النفس على قمعها واستئصالها. فتتعلق بعيشة رخوة أو بالملذات أو بالمال أو بالمجد الفارغ أو بالصيت أوتستأثر بالإرادة الذاتية والحكم الذاتي والآراء الشخصية. فكل

هذه التعلقات تنمو وتكبر وتحيط بالمقاصد الحسنة المقصودة فتخنقها وتجعل زرع الكلام الالهي عقيماً قبل أن يُنبت سنبلاً. أليست حالتنا اليومية كهذه الحالة؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 259).

الثلاثاء الثامنة بعد الغطاس

الخلاصة للعشية

اننا طبقاً لطقس الكنيسة الرومانية نتأمل غداً في آلام السيد المسيح فنرى : 1 ان التعبد لآلام المسيح فرض واجب على القلب المسيحي. 2 ان كل ما في الديانة المسيحية يعلمنا هذا الفرض.

ونقصد 1 أن نضع صليباً في غرفتنا وعلى طاولتنا وعلى صدرنا. 2 أن نحيي الصليب بانحنائنا أمامه كلما دخلنا غرفتنا وكلما صادفناه.

العاطفة الروحية هي عبارة الرسول بولس ((تفكروا في الذي صبر على مثل هذه المخالفة له من الخطأة)) (عبر 12 : 3).

التأمل للصباح

لنسجد ليسوع المصلوب الذي غدا الموضوع الأعظم لعبادة المسيحيين قاطبةً. ولننضم الى النفوس التقية العديدة التي تجعل ملذتها وسرورها في التأمل بالمصلوب فتجني منه أسمى الفضائل.

القسم الأول

في أن التعبد لآلام المسيح فرض واجب على القلب المسيحي

من يستطيع أن ينظر بلا تأثر الى المصلوب، أي الى ذلك الدليل السامي على حب الله للبشر، الذي هو لنا ينبوع كل الخيرات والنعم في هذه الحياة وعربون المجد في الآخرة. فلو أن أحد الأصدقاء فدانا بدمه أو مات عنا أو احتمل العار والعذاب لأجلنا لذكرناه الى آخر نسمة من حياتنا بحنوّ وشفقة ورددنا في ذهننا كل ظروف نزاعه وقبلنا بدموع وتأثر عظيم الصورة التي تصوره متعذباً ومائتاً لأجلنا. فكم بالحري يجب أن يحب قلبنا حب يسوع المصلوب بحيث لا نحيا ولا نتنفس الا لأجله. فيسوع لم يمت على الصليب لأجل أحباء وأصدقاء له بل لأجل الذين شهروا له العداوة ولهذا يقول القديس أوغسطينس : ((اذا كان من ينسى نعمة خلقه يستحق جهنما واحدة، فمن ينسى عطية الفداء يستوجب ألف جهنم)). ومع ذلك ما أعظم عدد الذين لا يفتكرون في هذا الأمر. اننا لكثرة ما نشاهد المصلوب نصبح لا احساس لنا. ولوفرة مشاهدتنا للمحبة نضحي عادمي المعروف. فهذا الفكر كان يؤثر في القديس فرنسيس الأسيزي ويزيده حزناً وألماً فيذرف الدموع ليلاً ونهاراً ويبكي جحود البشر ونكرانهم معروف يسوع. وما اصطنعه لأجلهم باحتماله الصليب. ألسنا نحن من عداد هؤلاء الناكري الجميل؟

القسم الثاني

في ان كل ما في الديانة المسيحية يعلمنا التعبد لآلام المسيح

ان الذبيحة الالهية التي هي أشرف وأعظم ما في الدين المسيحي ليست الا تجديد ذبيحة الجلجلة. وتذكار آلام الفادي وموته. فيا للعجب أن يسوع اذ رام أن يجعل فينا عبادة ثابتة لصليبه لم يرسم كتذكار له سراً وقتياً كباقي الأسرار بل سراً ثابتاً نحن حاصلون عليه ليلاً ونهاراً في بيت القربان. وفيه يحيا هذا الفادي الالهي حياة ذبيحة. فمن منا اذن يمكنه أن يتغاضى عن انجاز رغبته وهو يسمعه يقول ((اصنعوا هذا لذكري)) (لو 22 : 19). اذكروا ذبيحة الصليب واذكروا موتي.

ثم ان كل ما نشاهده في الكنيسة يدعونا الى التعبد للآلام. فإننا نرى الصليب مرتفعاً فوق بيت القربان في المكان الأجلى للنظر. نراه معلقاً فوق الكنائس. يُرسم على الحلل الكهنوتية. تُصنع اشارته القدوسة في جميع الرتب والحفلات. ويخصص يوم الجمعة اعتباراً له. وقد

عينت الكنيسة أعياداً خاصة وأزمنة معلومة للاحتفاء به، خصوصاً في الأسبوعين الأخيرين من الصوم. وأن رتبة درب الصليب ما زالت في جميع الأقطار تدعو المؤمنين الى عبادة آلام الفادي بحيث أن التعبد لعذابات الفادي هو من جوهر الديانة المسيحية. ولذا فجميع القديسين الذين تجسم فيهم ملء الروح المسيحي جعلوا للصليب الموضع الأسمى في عبادتهم وتعبدوا للصليب وعاشوا في جراحات الفادي. فكان أحدهم يقول : ((فيها أسهر. فيها آخذ راحتي. فيها أقرأ وأتحدث وأقضي حياتي كلها)). لعمري ما أبعدنا عن هؤلاء القديسين المغرمين بحب الصليب. فإننا قلما نحبه ونتعلق به. فلننعش في نفوسنا لواعج الحب للصليب والتفكير فيه.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 261).

الأربعاء الثامنة بعد الغطاس

الخلاصة للعشية

نعود الى التأمل في كلام الله فنرى : 1 وجوب احترامنا له 2 وجوب الانتباه اليه.

ونقصد 1 أن نسمع ونقرأ كلام الله باحترام كأنه تعالى يكلمنا بذاته ولا نندّد بالواعظين. 2 أن ننظر في الوعظ ما يؤثر في النفس لا ما يلذّ لنا من فصاحة العبارات وسبكها ونتخذ منه المقاصد العملية الصالحة.

العاطفة الروحية هي عبارة القديس أوغسطينس : ((من يسمع كلام الله بغير اكتراث يرتكب ذنب من يطرح جسد الرب على الأرض)).

التأمل للصباح

لنؤدِّ ليسوع فرض احترامنا منتبهين الى ما يقوله لنا من أن الأرض الجيدة التي تثمر بدل الواحد مئة انما هي أرض القلب المستقيم الصالح الذي يحترم كلام الله ويسمعه حسناً ويستفيد منه ويعمل بموجبه فلنشكر ليسوع تعليمه هذا ولنسأله أن يغرسه في قلوبنا.

القسم الأول

في وجوب احترامنا لكلام الله

اذا كان الله تعالى القدير السامي يتنازل فيكلم الانسان الخليقة الحقيرة الدنيئة المسكينة الشقية، اَفليس من الواضح أنه يتحتم حينئذٍ على الانسان أن يتناول ذلك الكلام السامي بكل ما فيه من الاحترام والاجلال، وأن يقبل كل كلمة تصدر من ذلك الينبوع السماوي بكل خضوع العقل وكامل انقياد الارادة؟ فكلام الله هذا يستحق الاعتبار نفسه، سواء كان مسطراً في الكتب المنزلة حيث نقرأه، أم ضدر من المنابر حيث نسمعه. ان الرجل الذي يفسره قد يمزجه بكلام سخيف بسبب ضعفه أو جهله. لكنه مع ذلك لا يزال كلام الله. وكما أن الكلمة المتجسد لم يكن أقل سمواً في قمطه مما هو في بهاء قديسيه، كذلك يجب أن يُعتبر كلام الله الاعتبار نفسه سواء قيل بصورة بسيطة غير بليغة أم بعبارات فصيحة سامية. فهو من كلامه في كلتا الحالتين. وعلى هذا النسق نقول في خادم كلام الله. فانه عندما يخاطبنا أو ينذرنا أو يرشدنا يترتب علينا أن نعتبره كسفير الله ووكيله ونائب يسوع المسيح يتكلم عوضاً عنه. قال الرسول ((نحن سفراء المسيح كأن الله يعظ على ألسنتنا)) (كور 5 : 20) فاذا اتخذنا كلام الله على هذه الصورة وجب علينا أن نحترمه احترامنا جسد المسيح عينه كقول القديس أوغطينس : ((يجب علينا أن نلتقط كل أجزائه باحترام التقاط الكاهن أجزاء جسد المسيح الصغيرة من الصينية المقدسة. والمتهاون الذي يدعها تُفقد يرتكب خطيئة من يطرح جسد الرب على الأرض)). فهل اعتبرنا كلام الله على هذا النسق؟ أما نلام على ذلك؟ فلنخجل ونتضع ونتلافَ الغلط.

القسم الثاني

في وجوب الانتباه لكلام الله

اننا نصغي الى الأخبار والحوادث الدنيوية بشوق ولذة ونتبعها كلمة فكلمة ولا نهمل ذرة منها. كذلك نطالع أخبار والدينا وأصدقائنا بملذة عظمى ونرسخها في مخيلتنا. فلمَ عند سماعنا كلام الله الذي يخبرنا عن السماء وطننا الحقيقي وعن كيفية الوصول اليه، لمَ حين نقرأ الكتب

المقدسة التي انما هي رسائل آتية من لدنه تعالى، لا نكترث لها ولا ننتبه اليها ولا نتأثر منها؟ فيسوع يقول لنا ((أما الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها بقلب جيد وصالح)) (لو 8 : 15).

فمعنى ذلك أنه يجب أن نسمع كلام الله لا بإدراكنا الطبيعي فقط. بل أن نصغي الى كلام الله في ذلك الجزء الخفي من قلبنا الذي يسجد للحق ويذوقه ويحفظه، فتنشأ فيه الرغائب والمقاصد الصالحة. واذا كان ثمت جزء من قلبنا أعمق وأدعى الى الاختلاء فيه يتخذ القلب مشوراته المقدسة ويرتب مقاصده، ويعطي الحركة لكل مساعيه، فهنالك يجب أن نختلي ونصغي الى صوت يسوع المسيح. على هذا النوع كانت تصغي مريم العذراء ومريم المجدلية. فما أبعدنا عن هذا الانتباه المقدس للكلام الالهي سواء قرأته أعيننا أو سمعته آذاننا. فلنستغفر الله عما مضى ولنستمد منه النعم الضرورية لأجل المستقبل.

المقاصد والعاطفة الروحية في كما في خلاصة العشية (ص 264).

الخميس الثامن بعد الغطاس

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في الوسائل التي تساعدنا على الاستفادة من كلام الله فنرى : 1 أنه يجب استماع كلام الله بإيمان. 2 يجب أن نوجه كلام الله تعالى الى ذاتنا. 3 يجب أن نتخذ من كلامه تعالى مقاصد عملية.

ونقصد 1 أن نتصور الله ذاته يعلمنا في أي وعظة سمعناها أو قراءة تلوناها 2 أن نتخذ من كل ارشاد أو قراءة روحية مقاصد تصلح لحياتنا.

العاطفة الروحية هي آية يعقوب الرسول ((كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين لها فقط)) (1 : 22).

التأمل للصباح

لنسجد ليسوع المسيح معلماً رسله علم الخلاص. ولنتأمل ايمانهم الحي واصغاءَهم التام الى كلام الله من فم معلمهم، وكيف كانوا يعملون بما يقول لهم. ولنلتمس أن يجعل لنا نصيباً من استعداداتهم والنعم المعطاة لهم لنستفيد من كلام الله.

القسم الأول

يجب أن نستمع كلام الله بإيمان

كثيراً ما نسمع كلام الله على نحو ما نسمع قولاً بشرياً أو خطاباً عالمياً فنصغي اليه اما برغبة فضولية لنحكم في انشائه واما بعدم اكتراث لهُ كأنه شيء قليل الأهمية. فذلك خطأ وغلط ونتيجة مُضرّة. يتحتم علينا حين استماعنا كلام الله أن نناجي نفسنا قائلين ان الذي يخاطبني ليس انساناً، بل هو الله تعالى الذي سيطالبني بالحساب عن كل ما سمعته. فعليَّ أن أسمع كلامه باحترام وخضوع تام في العقل والقلب، وأتسامح بانتقاده بل أُخضع له كل أفكاري وكل ما لا يوافق مشربي. ان الله يخاطبني لأجل خيري ليعلمني طريق السماء ويحثني على السير فيها. فينبغي من ثم أن أصغي اليه وأتخذ منهُ الوسائل الفعَّالة لإصلاح سيرتي ومسلكي، وأن أطلب اليه أن ينيرني ويحرّك قلبي ويساعدني لأعمل بموجب رغائبه القدوسة. استمعت كلام الله على هذه الصورة! هل اعتبرت الواعظ كأنه شخص الله. بغير أن ألتفت الى ما هو بشري كالإنشاء والحركات والصوت وسائر ما هو خارجي؟ هل أصيغت اليه كأنه تعالى حاضر أمامي منحدراً من السماء ليكلمني بنفسه.

القسم الثاني

يجب أن نوجه كلام الله الى ذاتنا

ان الكلام الذي لا نوجهه الينا يشبه سهماً يمر فوق رأس العدوّ ولا يصيبه. أو يشبه زرعاً يبدده الهواء ولا يدعهُ يختفي في قلب الأرض فلا ينبت ولا يثمر. ولذا فكثير من المواعظ والارشادات والقراءات تكون بلا جدوى وبلا ثمرة. فلو فتحتُ لكلامه تعالى أبواب قلبي

واعملتُ فيه الروّية جيداً لرأيت بين طيات قلبي الشـهوات الخفية والعلاقات السـرية والنقائص الارادية الموجودة فيَّ لأن كلام الله يخرق أعماق القلوب ليكشـــف شـــوائبها الخفية. فلنفحص ضميرنا لنرى هل وجهنا دائماً الى ذاتنا كلام الله الذي سمعناه والقراءات التي قرأناها؟

القسم الثالث

يجب أن نتخذ من كلامه تعالى مقاصد عملية لإصلاح حياتنا كلها

قال يعقوب الرسـول : ((نظر نفسـه ومضـى فنسـي لسـاعته كيف كان)) (1 : 24). فكأنه يقول : ضـــع كلام الله بالعمل ولا تكتفِ باســـتماعه فقط. والاّ خدعت نفســـك. لعمري ما الفائدة من مشـاهدتنا شقانا في مرآة كلام الله ان نسينا ما شاهدناه وتغافلنا عن تلافي نقائصنا ولم نتخذ مقاصد في اصـلاح سيرتنا؟ بيد أننا لم نتوصل الى الاستفادة من كلامه الا اذا سعينا بصبر وثبات في اصـــلاحنا والتغلب على ذاتنا كالذين قال عنهم الفادي الالهي انهم يثمرون بالصـــبر (لوقا 8 : 15) هل صحّ فينا هذا القول؟ فلنفحص ضميرنا ونصلح سيرتنا.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 266).

الجمعة الثامنة بعد الغطاس

الخلاصة للعشية

نتـأمل غداً : 1 في الأســـباب التي توجب علينا قراءة كتاب الله والتأمل فيه. 2 في كيفية قراءة الكتاب المقدس على نوع مفيد.

فنقصـد 1 أن لا ندع يوماً يمرّ علينا من غير أن نقرأ فصـلاً واحداً على الأقل من الكتاب المقدس 2 أن نطالع أحياناً بعض الكتب التي تتضـــمن شـــيئاً من الكتاب المقدس وتاريخ العهد القديم.

العاطفة الروحية هي عبارة المرتل : ((ما أعذب أقوالك في حلقي. هي أحلى في فمي من العسل)) (مز 118 : 103).

التأمل للصباح

لنسجد للروح القدس الذي ألهم كتبة الأسفار المقدسة وقاد أيديهم وأقلامهم لإنشائها وخلف للأحقاب التالية ذخيرة الحقائق المقدسة التي هي للمسيحيين غنى وكنز وتعزية. فلنشكر لهُ هذه النعمة العظيمة.

القسم الأول

في الأسباب التي تضطرنا أن نقرأ كتاب الله ونتأمله

الكتاب المقدس رسالة كتبها الله وأرسلها الينا بواسطة أوليائه القديسين. فذنبنا جسيم ان قصرنا أو توانينا في مطالعة كتابه هذا الذي تنازل سبحانه وتعالى فاختفى وراء حجاب حروفه مراعاة لضعفنا، ومع ذلك يكلمنا فيه حقيقة وفعلاً كما يخاطب الملائكة والقديسين في السماء. قال القديس أمبروسيوس : اننا عندما نصلي نخاطب الله وحين نطالع الكتاب المقدّس يخاطبنا الله. فما بالنا اذن لا نقضي أوقات فراغنا في مطالعة الكتب المقدسة أي في محادثة يسوع المسيح؟

فإن في هذه المطالعة كل الفوائد لنا. فالكتاب المقدس أنفع الكتب كلها. وهو لنا كنز أثمن من كل الكنوز. فيه تجد النفس غير المؤمنة الوسيلة الى الله لاهتدائها. ان مطالعة الانجيل قد أعادت الى الله ألوفاً من البشر. وقراءة أسطر من رسائل القديس بولس أيّدت القديس أوغسطينوس في الايمان الصحيح وأبعدت عنه الشكّ. في مطالعة الكتاب المقدس تجد النفس الحزينة تعزيتها. فالمكابيون كانوا يتعزون ما بين الاضطهادات بقراءَتهم الأسفار المقدسة. والقديس بولس كان يحرّض الرومانيين ليتغرّوا بالكتب المقدسة بقوله ((لأن كل ما كتب من قبل انما كتب لتعليمنا ليكون لنا الرجاء بالصبر وبتعزية الكتب)) (رومة 15 : 4) في

الكتاب المقدس تجد النفس المحارَبة سلاحاً أميناً تجاه الخطيئة. والنفس الحزينة الكئيبة تجد فيه عذوبتها وبهجتها. والنفس المظلمة تحصل على النور. والنفس الباردة تتقد بنيران المحبة. والنفس التي تكره الدنيا تجد في الكتاب الكريم راحتها ولذّتها. ولذلك كان صاحب المزامير يرتاح الى التأمل كل يوم في الكتب المقدسة ويقول : ((ما أشد حبي لشريعتك, هي تأملي النهار كله)) (مز 118 : 97) فلنقتدِ به.

القسم الثاني

في كيفية قراءة الكتاب المقدس

ان قراءة الكتب المقدسة بأسرها مفيدة نافعة. لكن بعضها أفيد وأنفع من سواه. ولذلك يجب أن نعزّها ونثابر على مطالعتها. ومنها في أسفار العهد الجديد : الأناجيل وخصوصاً خطبة يسوع على الجبل وخطبته في العشاء السرّي. وأعمال الرسل ورسائل القديس بولس. أما في العهد العتيق فتُستحب مطالعة المزامير وسفر الحكمة والجامعة وراعوث وطوبيا واستير ويهوديت والمكابيين.

ويجب أن نطالع هذه الأسفار لنستفيد ونتعلم منها لا لنتفكه بها. فيلزم أن نقرأها أولاً بنية مستقيمة طاهرة لنزدان بالفضائل ونحسن السيرة. ثانياً يجب أن نقرأها بروح الطاعة للكنيسة لأن لها وحدها تفسير الكتاب لكونها معصومة من الغلط في ذلك. ثالثاً يجب علينا أن نطالع الكتب الروحية أمام الله كأنه تعالى يخاطبنا بذاته ويعلمنا ونسأله بخشوع لنستفيد من قراءتها. رابعاً يجب أن نقرأ بهدوّ ونقف عند الكلام الذي يؤثر فينا حتى نمتلئ من عذوبة كلام الله ونترك للروح القدس الوقت اللازم ليتم فينا عمله. وبعد أن نتم القراءة على هذه الشروط نقتطف منها مقاصد صالحة قادرة أن تغير سلوكنا وتصيرنا أحسن من قبل. فهل اتبعنا هذه القواعد؟ فلنقصد أن نتبعها من الآن فصاعداً.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 268).

السبت الثامن بعد الغطاس

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في القراءة الروحية فنرى : 1 عظمتها. 2 كيف يجب أن نزاولها.

ونقصد 1 أن نزاول القراءة الروحية يومياً ونعين لها وقتاً في قانوننا الروحي 2 أن نتخذ منها كاتخاذنا من الصلاة العقلية اليومية المقاصد الفعالة لاصلاح سيرتنا.

العاطفة الروحية هي ما قيل عن القديس أفرام الذي كان يمارس في كل أعماله ما يطالعه في القراءة الروحية.

التأمل للصباح

لنسجد للعزّة الالهية والعناية الربانية التي بواسطة الكتب الروحية تجعلنا نحظى بمحادثة القدّيسين والانتفاع من خبرتهم وتشركنا هكذا في الأنوار والعواطف الصالحة التي أنعم بها الروح القدس عليهم مدة حياتهم. فلنشكر لهذه الجودة الالهية المنافع العظيمة التي نستقيها من الكتب الروحية.

القسم الأول

في عظمة القراءة الروحية

ان القديسين جميعاً اعتبروا القراءة الروحية من أحسن الوسائل للتقدم في الحياة الروحية. وقد حرّض بولس الرسول تيموثاوس تلميذه عليها بقوله : ((واظب على القراءة الى حين قدومي)) (1 تيمو 4 : 12) ان مؤلفي الكتب الروحية هم بمثابة سفراء وأمراء يرسلهم الله ليصلحوا فينا ما لا يتفق مع عيشة السماء فنؤهَل للجلوس في مصف الملائكة والقديسين. ان قراءة مؤلفات رجال الله تحييهم ثانية وهم جديرون بكل احترامنا ليعلمونا. لا حاجة أن نحسد

معاصــريهم الذين حظوا برؤيتهم والتمتع بهم. فإنهم بمؤلفاتهم يفاوضــوننا كأنهم يعيشــون بيننا ولنا الحظ الجزيل بأن نتمتع بهم وبمحادثتهم الثمينة. ومن بعض أوجه ان قراءتنا مؤلفاتهم أنفع لنا من سماع مواعظهم. وذلك 1 لأن المواعظ تُنسى ولا يعود من سبيل الى تذكرها ثانية، أما القراءة ففي يدنا دائماً بسبب الكتب المتضمنة لها. 2 يذهب الوعظ ذهاب البرق ويُستصعب التأمل فيه. أما القراءة فتبقى تحت نظرنا نطالعها كلما شئنا، ولنا كل الوقت الذي نرومه للتأمل في كل أجزائها وتمثلها والاغتذاء منها. 3 في المواعظ نمر بسرعة أمام النار المقدسة بحيث لا يكون لنا الوقت الكافي لنشـــعل قلبنا بنيرانها. أما القراءَة الروحية فتمكننا من اللبوث أمام النار الالهية قدر ما نشــاء فنتقد بحرارتها وندخلها في قلوبنا. 4 اننا في المواعظ ننســب ما نسـمعه غالب الأحيان الى غيرنا ولا نفتكر في توجيه الخطاب الينا. أما القراءة الروحية فتساعدنا أكثر على أن نوجه كل ما نقرأه الى نفســنا لأننا نكون نحن والكتاب الروحي وحدنا. 5 ان الكتاب الروحي يورد أموراً خاصـــة فردية يتجافاها الوعظ كثيراً، ويتعذر عليه ايرادها. ومن ثم فالقراءة الروحية أتت بمنافع جمة وهدت خطأة كثيرين وجعلتهم قدّيســين. وقد علمتنا التجربة اليومية ان القراءة الروحية اذا أُتقنت ترفع النفس الضــعيفة الباردة المتوانية وتشــددها وتعزي النفس المكروبة وتقوي الضــعفاء. وتســاعد النفوس الطائشــة على الاختلاء. وتضــرم النفوس الباردة والفاترة وتكمل الأبرار. فمن واظب عليها صـان نفسـه في العبادة والتقوى، ومن أهملها توانى في العبادة. فهل اعتبرناها كما يجب؟ وهل مارسـناها بثبات كل يوم؟ وهل خصـصـنا لها وقتاً في حياتنا اليومية وقانوننا الروحي؟

القسم الثاني

في كيف يجب أن نستعمل القراءة الروحية

يجب للانتفاع من القراءة الروحية أولاً أن يُنتقى كتاب روحي يوافق النفس ويثمر فيها ثماراً روحية. فيُعدل عن الكتب العلمية وتترك جانباً المؤلفات العويصــة الغامضــة والقصــص الهزلية والفكاهات. فكل هذه تشـــتت الروح وتجفف القلب. ويُنتخب كتاب روحي ينطوي على تعاليم راهنة تنجلي بها الحقائق كالشمس فنقف بواسطتها على واجباتنا ونقائصـنا: كالكتب التي تبسط تعاليم الكمال المسيحي، وكسير القديسين التي تبيّن لنا الكمال بالعمل. فهل اقتنينا مثل هذه الكتب؟

ثانياً : متى اخترنا كتاباً روحياً موافقاً فلنقبل على مطالعته ولكن ليس على سبيل التفكهة. لأننا بذلك نضيع الغاية المقصودة من قراءته ونغلق أبواب قلبنا تجاه مفاعيل النعمة. ويلزمنا ألا نسعى الى التلذذ بجمال التعبير فنغدو بذلك كفاقد العقل الذي يأكل ورق الشجر ويترك الثمر. وبناءً على ما قلنا يجب أن نقرأ رغبة في الاستفادة الروحية واصلاح السيرة والاضطرام بمحبة الله واتمام واجباتنا بنوع أفضل وأكمل. فهل تدّبرنا مثل ذلك؟

ثالثاً : بعد أن ننوي ونقرّر أمر القراءة الروحية يلزمنا قبل مباشرة القراءة أن نختلي مع الله قليلاً استعداداً لقبول كلامه ونسأله أن يفتح قلبنا لنصغي الى أقواله هاتفين ((تكلم يا رب فإن عبدك يسمع)) (1 ملوك 3 : 9 و 10) ثم نشرع في القراءة بتأن وتروٍّ متوقفين عند العبارات المؤثرة فينا وموجهين الى نفسنا ما يناسبها من الاصلاح والمقاصد الضرورية والفضائل. فإذا استعملنا القراءات الروحية على هذا الشكل نقرأ قليلاً ولكن نقرأ بنوع مفيد لأننا سنفتكر كثيراً. فهل أتممنا قراءتنا الروحية على هذا النسق أم لا؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 271).

الانجيل من القديس لوقا (18 : 31 – 43)

((ثم أخذ الاثني عشر وقال لهم: ها نحن صاعدون الى أورشليم. وسيتم كل ما كتب بالأنبياء عن ابن البشر. فانه سيُسلم الى الأمم ويُهزأ به ويُشتم ويُبصق عليه. وبعد أن يجلدوه يقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم. فلم يفهموا من هذا شيئاً، وكان هذا الكلام مخفي عليهم ولم يعلموا ما قيل لهم. ولما اقترب من أريحا كان أعمى جالساً على الطريق يستعطي. فلما سمع الجمع المجتاز سأل : ما هذا؟ فأخبر بأن يسوع الناصري عابر. فصرخ قائلاً : يا يسوع ابن داود ارحمني. فزجره المتقدمون ليسكت، فازداد صراخاً : يا ابن داود ارحمني. فوقف يسوع وأمر أن يقدم اليه. فلما قرب سأله : ماذا تريد أن أصنع لك؟ فقال : يا رب أن أُبصر. فقال له يسوع : أَبصر ان ايمانك قد خلصك. وفي الحال أبصر وتبعه وهو يمجد الله. وجميع الشعب الذين رأوه سبحوا الله)).

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في الأيام الثلاثة الآتية ونرى كيف يجب علينا : 1 اكراماً ليســـوع. 2 محبة للقريب. 3 محبة لنفســنا، أن نقضــيها في أعمال الإماتة والتوبة تعويضــاً عما يصــير فيها من الاهانات.

فتقصد 1 أن نقضي هذه الأيام الثلاثة في الانفراد والاعتزال عن العالم والصلاة وزيارة القربان الأقدس بتواتر 2 أن لا ندع في أثنائها لروح العالم مجالاً ليســـتحوذ علينا بل نزاول أفعال التوبة والإماتة.

العاطفة الروحية هي قول المخلص لرســـله : ((الحق الحق أقول لكم انكم ســـتبكون وتنوحون والعالم يفرح وأنتم تحزنون ولكن حزنكم يأول الى فرح)) (يو 16 : 20).

التأمل للصباح

لنسجد ليسوع متنبئاً بآلامه وشافياً المولود أعمى. فهذان الخبران مؤثران للغاية في هذه أيام الفتور واللهو والسرور التي تبين لنا من جهة آلام يسوع مجددة بفواحش المرافع ومن جهة أخرى ترينا أهل العالم يعمون نظرهم عن الأمور الالهية والأبدية. فلنعوض يســـوع عن هذه الشرور والفواحش. ولنخف كالقديس أوغسطينس لئلا تمر هذه الأيام بغير أن نتمكن في أثنائها من اصلاح نفسنا.

القسم الأول

يلزمنا أن نقضي هذه الأيام الثلاثة بالتوبة والإماتة اكراماً ليسوع المسيح

يتعذر علينا أن نصف عظم الحزن الذي ألمّ بقلب يسوع من العذاب في بستان الزيتون اذ رأى بوضـوح الفواحش والمآثم التي يرتكبها البشـر على ممر الأجيال في هذه الأيام الثلاثة. يا لها من اهانة شـنيعة يراها تتكرّر ألوفاً من المرات في هذه الأيام الثلاثة. يا له من عذاب مضـنٍ حقاً. نفس يســوع حزينة حتى الموت (متى 46 : 38). لعمري أما يجب على الصـــديق أن يشـاطر صـديقه آلامه؟ ألا يلزمه أن يعوده ويتفقد أحواله ويعزيه؟ فيسـوع المصـمود الآن على المذابح يدعونا الى هذا العمل الخلاصـي أي لنشاركه في أحزانه. وإلاّ فلسنا نحبه، وحينئذٍ فيحق له أن يُسمعنا شكواه : ((قد كسر قلبي العار والشقاء وانتظرت من يرثي فلم يكن. ومن يعزّي فلم أجد)) (مز 68 : 21).

القسم الثاني

يلزمنا أن نقضي هذه الأيام الثلاثة بالتوبة والإماتة حباً للقريب

ان النفوس الســـاعية وراء الهلاك هي نفوس اخوتنـا. أَفما يجب علينا أن نرثي لحالها؟ وهل نكون محبين لها اذا رأيناها تتسكع في دجى الهلاك بغير أن نصلي لأجلها ولا نوفي عنها؟ فلو فرضنا أن نفساً واحدة فقط حاصلة في هذه الحال الخطرة فالقلب الذي لا يتأثر لحالتها يكون أقسى من الحديد وأصلب من الجلمود. فما القول والحالة هذه في النفوس العديدة التي تطوّح في الهلاك وتخضـــع لراية ابليس الرجيم وتتلوّث بالخلاعة والفســـاد؟ فلو أحببنا القريب حبًّا حقيقياً لجعلناه بمقام نفسنا وأحببناه كما أحبنا يسوع ومارسنا أفعال التوبة والإماتة لأجل دعواه. ما هي شواعرنا نحو نفوس الخطأة البعيدين عن يسوع في هذه الأيام؟

القسم الثالث

يلزمنا أن نقضي هذه الأيام الثلاثة بالإماتة والتوبة حباً لنفسنا

ان يســـوع يعد النفوس التي توفي عن الخطـأة في هذه الأيـام بـالخلاص والمكافأة : أنتم الذين ثبتم معي في تجاربي أُعِدّ لكم الملكوت. وفي موضـــع آخر يعد بالفرح من يحزن لأجله :

ســـتبكون وتنوحون والعالم يفرح وأنتم تحزنون ولكن حزنكم يـأول الى فرح....ولا ينزع أحد فرحكم منكم)) (يو 16 : 20 و 22) فهذه العبارات توضـــح لنا نصـــيب من يتبع يســـوع بـالتوبـة والإمـاتـة. فـالخطأة يســـرفون أيامهم باللهو والملاذ الباطلة التافهة المؤدية الى الهلاك. والأبرار يقضـــون عمرهم بالدموع والأحزان والإماتة والتوبة، ولكن أحزانهم تؤول الى أفراح أبدية سرمدية. فأي نصيب نختار لنفسنا؟ وهل يسوغ لنا أن نتردد ولو دقيقة؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 275).

الاثنين الأول من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

اننـا طبقاً لروح الكنيســـة نتأمل غداً : 1 في أن نكران البشـــر للجميل يُظهر جلياً محبة المخلص لهم في ســر الافخارســتيا. 2 في واجباتنا للمخلص تعويضـــاً لمحبته هذه عن نســيان العالم لها.

فنقصد 1 أن نزور اليوم يسوع في القربان الأقدس تعويضاً عن الخطايا التي ترتكب في هذه الأيام 2 أن نقضي هذا اليوم بالقداسة والتكفير عن هذه الاهانات.

العاطفة الروحية هي عبارة المرنم ((رأيت المخادعين فأعرضت عنهم لأنهم لم يحفظوا أقوالك)) (مز 118 : 158).

التأمل للصباح

لننتقل بالروح الى المذبح حيث نشـــاهد يســـوع جالســـاً على عرش النعمة في هذه الأيام الثلاثة. ولننضم الى الملائكة المنتصبين أمامه والمجتهدين أن يعوّضوا له باحترامهم وسجودهم عن اهانات البشـر. ولنشـاركهم في سـجودهم وإكرامهم ومحبتهم وتعويضـهم لهذا الاله المحب البشر.

القسم الأول

في أن نكران البشر للجميل يظهر جلياً محبة المخلص لهم في سر الافخارستيا

يجدر بنا عند مثولنا أمام القربان الأقدس أن نفكر في ما تكلفه المخلص من العناء والمشقة لكي يتنازل الى هذه الحالة. فانه انحدر من حضن أبيه السماوي الى العالم فرفضه العالم. وولد في مغارة، ونجا من خطر الموت بالهرب، وعاش ثلاثين سنة مشتغلاً منفرداً، وقضى ثلاث سنوات مبشراً العالم ومصطنعاً الخير والإحسان وغير حاصل مقابل ذلك الا على الإهانات والعار والموت. ثم رسم سر الافخارستيا بغية المكوث بين الناس الذين أهانوه واحتقروه. ومنذئذٍ كم تحمل من الإهانات والتدنيسات : فالهرطوقي ينكره، والمسيحي الشرير لا يحترمه، والكافر يجدف عليه، والسارق يطرحه على الأرض ويطأه بقدميه طمعاً في الحصول على الفضة والذهب. الهي ما أعظم ما كلفتك محبتك للبشر من الإهانات! ما بالك لا تعود الى السماء؟ ما لك لا تحتجب عن هذه الرجاسات؟ أَليس ذلك لكي لا تُحرم ولا نفس واحدة السعادة التي تذوقها محبتك؟ وأنت لا تزال تُعامل أسوأ معاملة. فإما تكون مهملاً وحدك مسجوناً في المذابح، وإما تحتقر وتُهان. فتصل الى قلبنا مثقلاً بتدنيسات تسعة عشر جيلاً بتناولها اياك. ولكنك بدخولك قلبنا تنال مبتغاك فأنت فينا وأنت لنا وأنت لذلك مسرور. وكلما تعبت في الوصول الينا أظهرت لنا حباً أشد. فيا له حباً عظيماً هيهات أن نقدره حقه. فيا محبة الهي هل يمكنني أن أعرف قدرك وعظمتك وكم تستحقين شكري وتعلقي ومحبتي؟ آه يا يسوع الحبيب اجعلني أحبك وأقدر محبتك.

القسم الثاني

في واجباتنا نحو المخلص تعويضاً عن محبته المحتقرة

يجب اولاً أن نرثي للحالة التاعسة ونتأثر مما يهان به يسوع المحبوب خصوصاً في هذه الأيام التي تخصص للتوبة والتعويض. فداود الملك وارميا النبي كانا يذرفان الدموع الغزيرة ويذوبان حزناً عند رؤيتهما رجاسات الشعب الاسرائيلي. فماذا كان حل بهما لو نظرا

الرجاسات الأعظم شناعة التي يرتكبها شعب العهد الجديد؟ والقديسة ترازيا ما كان يسعها التفكر في مثل هذه الرجاسات بغير أن تنوح بألم واكتئاب عظيمين. فكانت تجمع اخواتها وتقول لهن : ((يا اخواتي ان المحبة ليست محبوبة. فلنحب المحبة غير المحبوبة)) وقد شعر القديسون كلهم بهذا الشعور نفسه لدى رؤيتهم يسوع مهملاً مهاناً في سر محبته.

ثانياً : يلزمنا أن نعوض عن هذه الشرور بأفعال الوفاء المتواترة ليسوع في قربانه الأقدس، مقدمين له تعويضاً احترامنا واكرام الملائكة والقديسين وأفعالنا كلها بل حياتنا نفسها، قائلين له اننا نحسب ذواتنا سعداء لو تهيأ لنا أن نبذل دمنا وحياتنا حبًّا له كي نمنع حتى أقل إهانة لإسمه القدوس أو لكي نكفر عنها. وليكن نهارنا هذا أحسن من سائر الأيام. ولنزر القربان الأقدس بمحبة أشد ولنتناوله بحرارة أعظم. ولنسمع القداس بعبادة أوفر.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 277).

الثلاثاء الأولى من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في أن سر الافخارستيا المحتقر يُظهر بنوع أجلى. 1 اتضاع يسوع. 2 وداعته. 3 انفراده التامّ.

فنقصد 1 أن نعامل القريب وجميع البشر باتضاع ووداعة 2 أن نصون نفسنا بالخلوة والصلاة فيما بين الطيش الذي ينهمك فيه العالم كله في هذا النهار.

العاطفة الروحية هي عبارة المرنم : ((هلموا نسجد ونركع لله ونجثوا أمام الرب صانعنا)) (مز 94 : 6).

التأمل للصباح

لنسجد ليسوع متواضعاً ووديعاً في سر القربان الأقدس. ولنشكر له أمثاله القدوسة.

القسم الأول

في أن سر الافخارستيا المحتقر يظهر جلياً تواضع يسوع

لو لم يكن في ســـر القربان الأقدس الا تلك الحياة المحتجبة فيه منذ عشـــرين قرناً لكانت تلك الحياة الخفية دليلاً كافياً على تواضـــع يســـوع العجيب. فما قولنا لو نظرنا ثمت الى اهمال البشـــر له وتغاضـــيهم عن ذلك الذي حبس نفســـه في بيت القربان حبًّا لهم؟ آهاً يا اله المذابح المقدسة ما أعظم اتضاعك! كيف يسوغ لي منذ مشاهدتي اتضاعك أن أتجبر وأتكبر متشامخاً وأحب ذاتي وأتطلب ما يعجبني؟ كيف يُتاح لي أن أتغطرس وأحب أن أُفضَّـل على غيري؟ أما يجدر بي أن أقول مع النبي داود : ((اني أتصـــاغر دون ذلك وأكون دنيئاً في عين نفســـي)) (ملوك 6 : 22) فازداد مجداً في عين الهي!

القسم الثاني

في أن سر الافخارستيا المحتقر يُظهر جلياً وداعة يسوع

ان يســـوع يُحتقر في ســـر القربان بالتشـــتت الاختياري وقلة العبادة والاحترام وإطلاق الحرية للنظر والتكلم والجلوس غير المنتظم وتدنيس الأشياء المقدسة والنفاق. ورغماً عن هذه الشـناعات والاهانات نراه وديعاً حليماً صـبوراً، يراها وهو صـامت ويحتملها سـاكتاً. وهو لم يظهر أدنى تشكٍّ أو تذمر منذ عشرين قرناً. وقد كان في امكانه أن يهبط صواعق عضبه على الأرجاس ويفتح أبواب جهنم ويزجهم فيها. فيا للقداســـة العجيبة ويا للتعليم المفيد ويا للحكم الصـارم على قساوة قلبي وصـلابته وعلى قلة صـبري! فاني لا أحتمل من يعاكسـني ويقاومني ولا أقبل أن يكون في غيري نقائص. فيا يســـوع الوديع، علمني أن أحتمل كل شـــيء بوداعة، وأن لا أكون ســـبب عذاب لغيري، وان ألطف أخلاقي ونزقي وتأثري وقلة صـــبري وغيظي، وأن لا أتحامل على غيري البتة.

القسم الثالث

في أن سر الافخارستيا المحتقر يُظهر جلياً انفراد يسوع التام

ان الأمور الخارجية، ولا سيما ما يمس منها حبنا الذاتي أو يجرح طبعنا، تشغلنا وتشتتنا عن الله ولا تدعنا نعيش معه ونحترم حضوره ونقدم له أفعالنا. ولا تسوّغ لنا كذلك أن نعيش مع ذاتنا لنرى نقائصنا ونمارس الفضائل ونسهر على حركات قلبنا. فيسوع المسيح المحتقر في سر الافخارستيا يعلمنا خلاف ذلك، هو أبداً منفرد في نفسه وهادئ يصلي بسلام لأجل الخطأة المساكين الذين يهينونه. وكلما أهانوه ازداد في الصلاة لأجلهم ليعوّض للعزة الالهية عن تلك الاهانات الجسيمة. فهل سلكنا على هذا النسق واعتكفنا منفردين غن ضوضاء العالم وقلقه ولزمنا السكينة والسلام ولاسيما في ما يجرح محبتنا الذاتية؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 279).

الأربعاء الأولى من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في أن حفلة وضع الرماد على الجبهة والرأس تدعونا الى تقديس الصوم : 1 بأعمال التوبة والإماتة. 2 بالتفكر في الموت.

فنقصد 1 أن نحتمل بصبر جميع الإماتات المفروضة في هذا الزمان المقدس طبقاً لأمر الكنيسة. ونقبل الصلبان والامتحانات التي ترسلها الينا العناية الالهية 2 أن نجتهد في تحسين أعمالنا كلها مكرّرين عبارة برنردس، وهي عاطفتنا الروحية أيضاً : ((لو علمت أنك ستموت في هذ اليوم هل كنت تعمل هذا العمل أم ذاك))؟

التأمل للصباح

لنسجد للروح القدس ملهم الكنيسة بوضع رتبة الرماد لنتعلم بواسطتها أن نقضي أيام الصوم المبارك بنوع مفيد ومثمر. ولنشكر له تعليمه هذا الشريف، مستمدين منه أن يوقفنا على ما له من الأهمية ويؤهلنا لنمارسه حسناً.

القسم الأول

في أن رتبة الرماد تنذرنا بالتوبة والإماتة

ان ذرّ الرماد على الرأس كان يشير منذ قديم الزمان الى الحزن والتوبة. وقد استعمل أيضاً لتهدئة سخط الرب على الشعب الاسرائيلي. قال ارميا النبي ((ولولوا أيها الرعاة واصرخوا وتمرغوا في الرماد يا كبراء القطيع)) (25 : 34). ويسوع المسيح نفسه ذكر الرماد اشارة الى التوبة، بقوله عن صور وصيدا : ((لو صُنع في صور وصيدا ما صنع فيكما من القوات لتابتا من قديم بالمسوح والرماد)) (متى 11 : 21) ولذلك كانت الكنيسة المقدسة في أجيالها الأولى تفرز الخطأة التائبين عن الشعب بواسطة الرماد. وكانت تضع الرماد على رؤوس الجميع أبراراً وأشراراً في بدء الصوم الأربعيني، لكي تصرّح، على ما قال ترتليانس، بأن كل مسيحي انما ولد ليعيش بالتوبة. فهذه الرتبة اذن تضطرنا أن نتوب حتى ان من قبل الرماد على رأسه وقلبه خالٍ من الندامة والتوبة على آثامه فانه يكون مماريا وخداعاً ومكَّاراً لأنه يتظاهر بخلاف ما يبطنه في قلبه. فلندخل اذن في روح التوبة هذا في هذا اليوم الأول من الصوم المبارك، فإن مصلحة خلاصنا تقتضي ذلك منا كما قال السيد له المجد ((ان لم تتوبوا فجميعكم تهلكون)) (لو 13 : 5) وقد علمنا ذلك بمثله اذ عاش عيشة توبة وإماتة. ونهج منهاجه جميع القديسين والقديسات. فهل في وسعنا أن نستغني عنها؟ كلا. لأننا خطئنا كثيراً والخطيئة تستوجب التوبة ولو غُفرت. ثم لنا شهوات وأميال يجب أن نقهرها. وتطرأ علينا تجارب عديدة يجب أن نتغلب عليها. فالتوبة أفضل طريقة لذلك وأنجع دواء لهذا الداء وأقوى وسيلة لقهر الشهوة وللانتصار على التجربة. فهل حصلنا على مثل هذه التوبة التي يتطلبها هذا الصوم المبارك وهذه الأيام الخلاصية المقدسة؟

القسم الثاني

في أن رتبة الرماد تذكرنا الموت

ان الكنيسة المقدسة أمنا تقول لكل منا لدى احتفالها بهذه الرتبة ((اذكر يا انسان أنك من تراب والى التراب تعود)). فالمسيحي اذ يسمع هذه العبارة وهو واقف أمام المذبح منحنياً لقبول الرماد يتقدم كضحية ويقبل الحكم المبرز ضده مقدماً ذاته لإرادته تعالى كي يأخذها حين يشاء لكونه رب الأحياء والأموات. فالكنيسة اذ تبدأ الصوم الأربعيني بجعلنا نقبل الموت على هذا النوع ونضحي بذاتنا وبكل ما لنا، تفهمنا أن ذكر الموت أفضل وسيلة لتقديس الصوم بالهرب من الخطيئة وممارسة التوبة وكل الفضائل. فمن تراه يذكر الموت بجد ولا يكون مستعداً للمثول أمام الديان العادل، ولا يسهر على نفسه وعلى أعماله وأقواله وأفكاره، ولا يميت جسده، ويكفر عن خطاياه الماضية ويسترضي العدل الالهي، ويحسن أعماله ويزيد استحقاقاته ولا يترك منذ الآن ما سيتركه في المستقبل؟ ولا يكرر كل دقيقة قول القديس برنردس: لو مت بعد هذا العمل أو هذا الحديث، بعد أسبوع أو بعد شهر، كيف كنت أتصرف الآن؟ فلنسأل الله أن يفهمنا هذا الموضوع ويجعلنا نقدس هذا الصوم.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (281).

الخميس الأول من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً : 1 في فضيلة الاتضاع التي تعلمنا اياها رتبة الرماد. 2 في الأسباب التي تجعل الكنيسة تقدم لنا هذا التعليم في بدء الصوم.

فنقصد 1 أن نتذكر أحياناً عدمنا وخطايانا الكثيرة لنثبت بروح الاتضاع 2 أن نمارس التوبة والصوم بقلب طيب كأنهما دون تفاقم خطايانا كثيراً.

العاطفة الروحية هي عبارة الكنيسة : ((تذكر يا انسان أنك تراب والى التراب تعود)).

التأمل للصباح

لنسجد للروح القدس ملهماً الكنيسة وضع رتبة الرماد كواسطة قوية لاكتساب الاتضاع. ولنشكر له ذلك، مستمدين منه النعمة لممارسة هذه الفضيلة.

القسم الأول

في أن حفلة وضع الرماد تعلمنا الاتضاع

ان الكنيسة تضع الرماد على الرأس مركز العجب والكبرياء اشارة الى زوال الأشياء الدنيوية. وتريد بذلك أن تذكرنا الموت والتوبة ولتقول لنا خصوصاً : أيها الانسان المتجبر، لا تتفاخر ولا تتكبر بل اذكر أنك من تراب ورماد ولا بد أن تعود اليهما. أنت تراب ورماد، انك قليل من الطين جُبل منه انسان. أفيحق اذن للطين أن يتفاخر ويتباهى ويتكبر ويتجبر على من جبله ونفخ فيه روح الحياة ومنيره على سائر المخلوقات؟ ((لماذا يتكبر التراب والرماد؟ (سيراخ 10 : 9).

ثم انك يا انسان ستصير قريباً تراباً ورماداً. ستعود قريباً الى التراب. وتعود اليه بكبريائك الذي يتكره من كل معاكسة، وبمحبتك ذاتك وبرغبتك في التحكم والتظاهر. فهذه الأباطيل كلها ستضحي يوماً رماداً تذريها الرياح. فهي باطلة وتعود الى الباطل وهي عقيمة جافة وتصير الى العقم. فاذا حزت أعظم مجد وشهرة ونلت أوفر ثروة وبطش وفقت أعظم البشر بالعز والشرف وتمتعت بالأفراح والمسرات فلا بدّ أن يعود ذلك كله الى تراب ورماد ينساه الجميع وينسون من تمتع به. فيا له تواضعاً عميقاً وتعليماً عظيماً يسوقنا الى كره الملذات ويضطرنا الى معرفة نفسنا وتمرينها على الاتضاع والاحتقار! ما أكثر جنون من يحب التفاخر والعظمة والمجد، وهو يعرف أنه سيصير يوماً الى التراب والرماد!

القسم الثاني

لماذا تقدم لنا الكنيسة هذا التعليم في بدء الصوم الأربعيني

السـبب الأول في ذلك هو عظمة فضـيلة الاتضــاع. فبدونها كل أعمال التوبة التي نتممها في مدة الصـيام تفقد الأجر والثواب. وقد أعلن ذلك يسـوع بقوله عن الفريسـيين انهم يصـومون لكي يظهروا للناس صـــائمين فيضـــيعوا أجرهم وتكون مجازاتهم على الأرض. فالكذب والظلم يتعذر بتاتاً أن يكون لهما أيّ استحقاق.

ثانياً : لا توبة حقيقية بدون اتضــاع لأن أســاســها راســخ عليه أعني على شــواعر النفس العارفة شـقاها وذلها وخطاياها ودناءتها واضـطرارها اليه تعالى والى عدله والتزامها بالتفكير والتعويض والوفـاء عن زلاتهـا. ان العمـل الخـارجي المرائي لا يخفي على الله الـذي يعرف بمضـمرات القلوب ومكنونات الصـدور ولا يُسر الا بالحقيقة. فالفريسي، على صومه، قد كرهه الله ســبحانه لأنه مدح نفســه وطلب لها الفخر والمجد ومدح العالم واعتبار الناس. فلنخف اذن لئلا تكون أعمالنا شبيهة بعمل هذا الفريسيّ. ولنبدأ بهذا الصوم مزدانين بروح التوبة والتواضع الحقيقي.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 284).

الجمعة الأولى من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

اننا طبقاً لروح الكنيســة نتأمل غداً في اكليل الشــوك الذي كللت به هامة المخلص. فنرى في هذا السر : 1 سر عذاب وتذلل. 2 تعليماً عظيماً موافقاً لخلاصنا.

ونقصــد 1 أن نقبل بصــبر جميع الإماتات والتذليلات التي تصــيبنا. 2 أن ننشــئ أحياناً أفعال الندامة على المحبة الذاتية واللذات الأرضية الجسدية.

العاطفة الروحية هي عبارة القديس برنردس : ((فلنخجل من أن نكون أعضــاء مترفهة تحت هامة مكللة بالشوك)).

التأمل للصباح

لنسجد باحترام ليسوع مكللاً بالشوك بعد أن جُلد بقساوة وقُدّم لليهود، وبيده قصبة عوضاً عن الصـــولجـان، وعليـه ثوب الهزء بـدلاً من الأرجوان الملكي. الهي وفـاديَّ، ان اليهود يســتهزئون بك، وأنا أعترف بأنك ســيدي وملكي. اني أكرمك وأمدحك وأباركك وأنت في هذه الحال الزريئة التي ألجأك حبك أن تحتملها لأجلي.

القسم الأول

في أن يسوع المكلل بالشوك يعلمنا حب العذاب والتذلل

أولاً : ان تكليل يسـوع بالشـوك هو سـر الاحتمال. لأن الأشـواك التي غرزت في هامته كانت حادة وكان الجند يضــربونها بشــدة لتغرز في رأســه، أي في الجزء الأوفر شــعوراً من جسـمه، حتى ان الدم المتبقي فيه من بعد الجلد العنيف تدفق كله من رأســه الطاهر وســال على وجهه القدوس، فزالت صـــورته وتبدلت هيئته وأصـــبح كله بالعذاب. وقد قبل ســـبحانه تلك الإهانات والعذابات المرّة الشديدة بهدوّ وسكينة، وقدمها لأبيه السماوي حبًّا لخلاص البشر. فيا للمحبة السامية والشهامة الفائقة الوصف. ألا يا يسوع علّمنا أن نحبك محبة خالصة قلبية لنقابل حبك الفائق.

ثانياً ان اكليل الشوك هو سر الاتضاع. ان الكفرة اعتبروا يسوع ملكاً ليسخر منه جميع الحاضـرين، فوضـعوا على رأسـه اكليل شـوك عوضـاً عن التاج الملكي، وجعلوا في يده قصـبة بدلاً من الصولجان، وألقوا على كتفه قطعة بالية من اللون البرفيري عوضاً عن الرداء الملكي. ثم أخذوا يجثون أمامه مستهزئين به وقائلين ((السلام عليك يا ملك اليهود)) (متى 27 : 29) سماحك يا الهي ويا ملكي الحقيقي. سماحك عن هذا الصراخ وعن ذاك الاستهزاء الأثيم. أما أنا فلا أريد ملكاً آخر ولا الهاً سواك (مز 5 : 3).

القسم الثاني

في أن يسوع المكلل بالشوك يعلمنا تعليماً عظيماً موافقاً لخلاصنا

أولاً : يعلمنا هذا السر أن نندب خطايانا الماضية أمام يسوع المكلل بالشوك ونحن جاثون عند قدميه، قائلين في ذواتنا : ان خطاياي هي التي سببت لفاديّ تلك الاهانات وذاك الاحتقار والهزء. فهل يمكن والحالة هذه أن لا نكره الخطيئة ولا نبكيها ولا نغسلها بدموعنا، فنمزجها بالدم المتدفق من هامة الفادي الحبيب؟ وهل يمكن أن لا نصحب ندامتنا عليها بالقصد الثابت بأن لا نعود اليها وأن نحيا حياة مقدسة؟

ثانيا : يعلمنا هذا السر الإماتة. قال القديس برنردس : عارٌ على الانسان المسحي أن يكون عضواً مرفهاً تحت رأس مكلل بالأشواك. انه لا يجمل أن يكون قدوس القديسين حزيناً ومعذباً وأكون أنا متنعماً مترفهاً. يسوع يقدم هامته للأشواك وأنا أغتنم الفرص للراحة والمسرات.

ثالثاً : ان هذا السر يعلمنا الاتضاع. لأن اكليل العار المكلل به يسوع يرذل اكليل المجد والطمع الذي نتوق اليه ونرغب فيه بكل شوق وفرح. فيسوع باختياره اكليل العار والتواضع يعلمنا أنه يكره الكبرياء والعجب والغطرسة ويحب النفوس الذليلة الوضيعة القنوعة بالله وحده. وهو تعالى يحب تلك النفوس التي تعمل الخير سراً بلا ضجة وتظاهر وبلا رغبة في المجد. ويحب من يسعى في اكتساب الفضيلة واصطناع الخير. فلنردد هذه التعاليم الخلاصية ولنعمل بموجبها.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 286).

السبت الأول من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً : 1 في قداسة الصوم الأربعيني. 2 في الوسائل التي تمكننا من تقديسه.

ونقصـــد 1 أن نصـــون قلبنا وحواســـنا من كل خطيئة وكل طيش. 2 أن نجتهد مدة هذه الأيام المباركة في اصلاح النقيصة التي يهمنا بالأكثر التخلص منها.

العاطفة الروحية هي عبارة بولس الرســـول : ((هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص)) (2 كور 6 : 2).

التأمل للصباح

لننتقل بالروح الى البرية حيث قضـــى يســـوع أربعين يوماً وأربعين ليلة. ولننظر اليه متذللاً أمام العظمة الالهية جاثياً على ركبتيه ووجهه الالهي الى الأرض وساكباً نفسه أمام أبيه السماوي بعواطف السجود والتسبيح والشكر، ملتمساً منه أن يرحم الخطأة المساكين. ومضيفاً الى هذه الصـــلوات التي يرفعها بدموع حارة الى أبيه، إماتة شـــاقة، فيبقى أربعين يوماً بلا أكل ولا شـــرب. ويرقد على الأرض مســـنداً رأســـه الى حجارة، وغطاؤه القبة الزرقاء. فلنؤدّ له احترامنا وسجودنا واكرامنا، ولنقر له بذلنا، ولنشكر عوارفه حبًّا تاماً.

القسم الأول

في قداسة الصوم الأربعيني

ان المخلص علمنا الصـوم بمثله. فمع أن حياته كانت ابداً مقدسـة طاهرة، نراه يكسـوها صبغة خاصة من القداسة في مدة هذه الأربعين يوماً. فأولاً : قضى هذه الأيام منفرداً ليعلمنا أن نقضـي نحن أيضـاً هذا الصـوم بالاختلاء الضـروري لاستماع صـوت الله ضـمن قلوبنا، ولكي ندرسه فنعرفه ونحبه ونذوق عذوبته، ولكي نعرف ذواتنا ونصلحها. ثانياً : قضى هذه المدة في الصـلاة ليعلمنا أن نكون في أثنائها أشـد تمسكاً برياضـاتنا الروحية ونعكف أكثر على الصـلاة والعبادة الحارة. ثالثاً : مارس سبحانه أثنائه صـومه أشـد القشـف والضـنك ليوضـح لنا وجوب الابتعاد عن كل لذة ولهو وفرح في هذا الصـوم، ومزاولة الأصـوام والقطاعات التي تفرضـها

الكنيسة، وممارسة أفعال التوبة الحقيقية. هكذا أراد يسوع أن يعلمنا بمثله كم أيام الصوم مقدسة. وهذا التعليم الالهي تعلمنا اياه أيضاً أمنا الكنيسة : فتكثر المواعظ وتوفر الرياضات الروحية وتفرض الإماتات على أولادها. فتباركت هذه الأم العزيزة على تعليمها هذا المفيد.

ثم ان هنالك عاملاً آخر مهماً يدفعنا الى تقديس هذه الأربعينية، وهو الإفتكار في آلام المسيح وقيامته المجيدة، اللذين هما غاية صومنا. فإن الثمر المقصود منهما هو الموت لذاتنا والانبعاث لحياة جديدة كلها من الله واليه سبحانه. فإذا صمنا بقداسة فزنا بإثمار تلك الأسرار ونعمها وفوائدها. وبالعكس لا فائدة لنا منها اذا قضينا أيام الصوم بالطيش والتشتت والجبانة والفتور. فلنتدبر هذه الحقائق ولنقدس أيام الصوم بالأعمال الصلاح والخير أكثر من سائر الأيام.

القسم الثاني

في الوسائل الواجب استعمالها لتقديس الصوم الأربعيني

أول واسطة لتقديس هذا الصوم هي الاجتهاد في اتقان أعمالنا الاعتيادية فإن القداسة هي في ذلك الاتقان. فينبغي لنا مدة هذه الأيام المقدسة أن نحسن صلواتنا ورياضاتنا الروحية واستعمال أوقاتنا ونسهر على حديثنا ونزيد كلاً من أفعالنا كمالاً فنقدمها لله متحدة مع توبة يسوع في البرية وتكفيراً عن خطايانا وخطايا العالم كله.

ثانياً : يلزمنا أن نمارس بدقة ونشاط وثبات الصوم والقطاعة اللذين تفرضهما الكنيسة. ويلزمنا أن نقرن ذلك أو نعوض عنه بالإماتة الباطنة مصوّمين ارادتنا الذاتية بالطاعة وروح المسالمة، ومصوّمين طبعنا بالوداعة المتواصلة، ومصوّمين لساننا بالصمت والانتباه الشديد الى الرصانة في الكلام، ومصوّمين فمنا بحرمانه بعض ملذات غير ضرورية، ومصوّمين أعيننا بالحشمة في النظر، ومصومين جسدنا كله بالسهر على الحشمة والأدب في وقفتنا وفي كل حركاتنا، ومصوّمين داخلنا كله بإبعادنا عنه الأفكار غير المفيدة والتخيلات الباطلة والرغبات الوافرة التي يذهب اليها القلب ان لم نكبح جموحه. فهذه الإماتات لا تؤذي لا الرأس ولا الصدر وتنفع النفس نفعاً جزيلاً.

ثالثاً : يترتب علينا أن نحتمل بعذوبة جميع الصـــلبان والتجارب التي يمتحننا بها الله كالأمراض والعاهات، وأن نتحمل طباع القريب ونقائصه.

رابعاً : علينا أن نتخذ شائبة خصوصية نقصد اصلاحها مدة الصوم كله. قال الذهبي الفم : ان هذا العمل أفيد الأصـوام لأن ثماره ثابتة لا مدة السـنة كلها فقط بل الى الأبد. فلنقصـد أن نلازم هذه الأعمال المختلفة من الإماتة بكل شجاعة.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 288).

الأحد الثاني من الصوم الكبير

الانجيل من القديس متى (4 : 1 -11)

((حينئذٍ أخرج يســوع الى البرية من الروح ليجرَّب من ابليس. فصـــام أربعين يوماً وأربعين ليلة وأخيراً جاع. فدنا اليه المجرب قائلاً : ان كنت ابن الله فمر ان تصير هذه الحجارة خبزاً. فأجاب قائلاً : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانســـان بل بكل كلمة تخرج من فم الله. حينئذٍ أخذه ابليس الى المدينة المقدسـة وأقامه على جناح الهيكل وقال له : ان كنت ابن الله فألقِ بنفسك الى أسفل : لأنه مكتوب انه يوصـي ملائكته بك فتحملك على أيديها لئلا تصـدم بحجر رجلك. فقال له يسوع : مكتوب أيضـاً لا تجرب الرب الهك. فأخذه أيضـاً ابليس الى جبل عالٍ جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها. وقال له : أعطيك هذه كلها ان خررتَ ساجداً لي. حينئذٍ قال له يســوع: اذهب يا شــيطان فإنه قد كتب للرب الهك تســجد واياه وحده تعبد. حينئذٍ تركه ابليس واذا ملائكةٌ جاءت فصارت تخدمه)).

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً : في أن التجربة لا تضرنا بل قد ينتج لنا منها نفعٌ جزيل. 2 في الوسائل التي بها تتحول التجربة الى خير لنفوسنا.

ونقصـد 1 أن نبادر التجربة بانتباهنا لذاتنا واتحادنا بالله. 2 أن نحول أفكارنا حالما تأتينا التجربة الى شاغل آخر يشغلنا بغير أن نخاف أو نضطرب منها.

العاطفة الروحية هي عبارة يعقوب الرسول : ((طوبى للرجل الذي يصبر على التجربة)) (1 : 12).

التأمل للصباح

لنسـجد ليسـوع المسـيح يجربه ابليس في البرية. هذا ولا جرم أشـد تذليل يمكن الهاً أن يحتمله. غير أنه أحب أن يكابده ليكون لنا قدوة لتشـجيعنا في وقت التجربة. فلنشـكر له تعالى جودته هذه.

القسم الأول

في أن التجربة لا تضرنا بل قد تكون لنا جزيلة الفائدة

ان الشـر لا يُعدّ شـراً أدبياً ان لم تقبله الإرادة. فما دام باب الإرادة مُغلقاً يتعذر على الشيطان والمخيلة أن يشوبوا طهارة القلب مهما داروا حوله. فيسوع المسيح وجميع القديسين قد احتملوا تجارب كثير بغير أن تؤذيهم وتَنقص قداسـتهم وطهارة قلبهم. وكل خوف أو قلق أو اضـطراب يحدث في وقت التجربة يكون الباعث عليه إما المحبة الذي التي تنقهر لرؤيتها وهنها، وإما قلة الثقة بالله الذي لا يهمل أبداً من يلتجئ اليه، وأما جبانة النفس التي لا تنظر الا الى ضعفها بقطع النظر عن معونته تعالى فبدل أن تُعد التجربة شراً قد تكون جزيلة المنفعة لنا. أولاً : لأنها تكون وسيلة لنا لنمجد الله. فبمحاربتنا التجربة نظهر أمانتنا لله سبحانه, ونصرع أعداءه وننتصر عليهم. ثانياً : لأن التجربة تعلمنا الاتضاع. وتروّضنا على الصلاة والاستغاثة بمعونته تعالى. وتعلمنا الانتباه لنفسـنا فتجعلنا نخشـاها ونحترس منها ومن قوانا الذاتية. وهي أيضـاً تمنع التراخي وتنعش حرارة التقوى وتزيد الطبع قوة ونشـاطاً ((لأن القوة تكمل في الوهن)) (2 كور 12 : 9). وتساعدنا على معرفة ذواتنا. ثم ان التجربة تكسب النفس نعماً

جمة في الحياة وممجداً خالداً في الأبدية وكلما عذّبتها التجربة نالت الخطوة عند الله كالقديسين. قال القديس لاون البابا : ((جيد للنفس الخوف من السقوط والمحاربة المتواصلة. لأن النفس الأمينة تستنتج من تجربة الشر الثمر نفسه الذي ينتجه فكر الخير، لأنها تكون وسيلة لها لتتجه نحو كمال الفضيلة المخالفة للتجربة بكل ما فيها من الاستعداد الحسن)). فهل تدبرنا مثل ذلك وهل استفدنا من التجربة؟

القسم الثاني

في الوسائل التي بها تتحول التجربة الى خير نفوسنا

لمقاومة التجربة شروط يجب استعمالها قبل التجربة وفي أثنائها وبعدها كي تتبدل خيراً.

فأولاً قبل التجربة يجب أن نبتعد عن كل سبب يهيجها أو يجعل النفس تميل الى الشر وتسقط فيه : كالعشرة الرديئة والقراءات المضرة والنظر المنحرف والحركات غير اللائقة ولذات العيشة الرخوة. لأن من أحب الخطر باد فيه. ومن جهة أخرى يجب علينا أن لا نخاف التجربة لأن الخوف منها يزيدها. فالأفضل أن لا نفتكر فيها ولا نكترث لها وأن نهتم بأمورنا كأننا لم نقع في تجربة أصلاً.

ثانياً : وقت التجربة يلزمنا أن لا نلاعبها ولا نلاطفها بحجة أنها كلا شيء، والّا فإنها تخدعنا وتنتصر علينا. فإبعادها عنا بسرعة وسكينة وثبات أسلم عاقبة لنا. فيجب أن ندير لها ظهرنا ونحتقرها، كأننا لا نريد النظر اليها أبداً. واذا تركت فينا بعض التأثير وجب أن نكره ما عملته وننبذه بالمرة ونهتم بعملنا الحاضر. ومن قاومها بشدة حصل في خطر خسران الطمأنينة والسلام والسكينة. واذا عسر علينا ابعادها فلنلتجئ بتذلل الى الله، متوسلين بالعذراء والملائكة الحراس والقديسين لينظر الى ضعفنا ويأتي لنجدتنا.

ثالثاً : بعد التجربة يترتب علينا أن نجتهد في أن ننساها ولا نتذكرها. لأن تصورها والتفكر فيها يعيدها ويقويها. بل الأحرى بنا أن نتشجع بهدوء في تحسين أعمالنا الحاضرة وبالاتحاد بالله والانطراح بين يديه بثقة ومحبة (لوقا 15 : 8). فلنفحص ضميرنا لنرى هل استعملنا هذه القواعد الثلاث قبل التجربة وفي أثنائها وبعدها.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (292).

الاثنين الثاني من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتـأمـل غـداً في التجـارب الثلاث التي جُرّب بهـا المخلص في البريـة وهي : 1 تجربـة الاعتناء المفرط بالجسد والصحة. 2 تجربة العجب والتظاهر. 3 تجربة الطمع والمحبة الذاتية.

فنقصد 1 أن نبتعد عن كل عناية زائدة واهتمام مفرط بالجسد. 2 أن لا نتوخى الا الله في كل شيء.

العاطفة الروحية هي نصـيحة الرسـول يعقوب : ((قاوموا ابليس فيهرب منكم)) (4 : 7).

التأمل للصباح

لنسـجد ليسـوع المسـيح في البرية سـامحاً بأن يجربه الشـيطان ليعلمنا كيف نتصـرف في وقت التجربة. فلنباركه لأنه أحب أن يتجرب بأنواع مختلفة ليكون شـبيهاً بنا في كل شـيء ما عدا الخطيئة ولكي يشـجعنا. فلنتكل عليه واثقين به كل الثقة. فهو قادر أن يرثي لحالنا، اذ ((قد جُرب في كل شيء مثلنا ما خلا الخطيئة)) (عبر 4 : 15).

القسم الأول

في التجربة الأولى وهي الاعتناء المفرط بالصحة والجسد

ان ابليس الرحيم قال ليسوع الفادي : ما بالك صائماً؟ ان جسدك لن يقوى على احتمال هذا الصوم. ((فمر أن تصير هذه الحجارة خبزاً)) (متى 4 : 3). فأجابه يسوع : ((مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله)). فقد قربت للرب حياتي وقوتي وصحتي فهي خاصته وهو يعتني بها فأنا بين يدي عنايته الالهية. يا له من تعليم سامٍ! وللحين يؤيد عزّ وجل كلامه بالعمل. ولم يُرد أن يعلمنا بعمله هذا أن نعامل أجسادنا بمثل هذه الشدة لئلا تُنهك عافيتنا. لأن الصحة وديعة استودعناها الله وحظر علينا هدمها. بيد أنه يبتغي منا أن نتوقى الافراط في لذة الأكل واللبس الزائد والنوم على الفراش الناعم والسكنى في الدور الفاخرة. يريد أن نزهد في جميع الأمور الزائدة التي تجعل الجسد يتمرد على النفس، وأن نقول مع القديس فرنسيس السالسي ((اني أسرّ بالمكان وبالشيء الذي يخالف ذوقي وجسدي)). يريد يسوع أن يعلمنا أن نميت أجسادنا ونخضعها للروح حتى نكفر عن آثامنا الماضية ونتوقى السقوط فيها ولكي نخمد سخط الله على الخطأة. فهل اجتهدنا في إماتة جسدنا؟

القسم الثاني

في التجربة الثانية وهي العجب والتظاهر

ان ابليس أخزاه الله اقتاد السيد المسيح الى جناح الهيكل ليراه الجميع وقال له : ((اطرح نفسك الى أسفل)) قاصداً بذلك أن يجرّب يسوع بالعجب والتجبر اذا ألقى نفسه ولم ينله أذى. غير أن يسوع العارف بحيل المكَّار أبعد هذا الفكر الردي وحجب ذاته عن الشعب وعاد الى خلوته في البرية. وعلمنا بذلك أولاً : أن ننبذ الإعجاب والتظاهر وأن لا نظهر أمام البشر الا حين الضرورة وأن نرغب بروح الايمان في الابتعاد عن الاعتبار والمديح ونتوخى الانفراد والخلوة عن الناس. ثانياً : علمنا أن نميل عن الإدعاء والرغبة في الإكرام والثناء والظن بأن في وسعنا قبول الإكرام والشرف من غير أن يخامرنا فكر كبرياء. فلنتبصر في حقارتنا ونحكم على نفسنا في هذا الشأن.

القسم الثالث

في التجربة الثالثة وهي الطمع والمنفعة الذاتية

ان ابليس الرجيم أظهر ليسوع من علوّ جبل شاهق وفي مشهد خياليّ كل ممالك العالم وكنوزه وخيراته ومجده وقال له : ((أعطيك هذه كلها ان خررت لي ساجداً. فقال له يسوع اذهب خلفي يا شيطان لأنه مكتوب للرب تسجد واياه وحده تعبد)). هكذا يجب على كل مسيحي أن يكره كل دناءة وتذلل وفساد وطمع يسوقه الى التدليس والتمليق للحصول على المناصب أو البقاء في الوظائف. ويجب أن يحترس لئلا تخدعه الهدايا ويغويه المهدي أو الخداع. فيقول : انني لا أقصد في كل شيء سوى اتمام ما هو واجب عليّ. فإذا أرضيت الله فذلك حسبي ولا يهمني شيء غيره. فيا لحرية هذا الفكر الصالح المقدس! ويا له تجرداً تاماً كاملاً! فلنفحص ضميرنا أمام الله لنرى هل نحن على استعدادات السيد له المجد.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 294).

الثلاثاء الثانية من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في سر التوبة الذي رسمه السيد المسيح للنهوض من الخطيئة والرجوع الى الله بندامة صادقة. فنشاهد : 1 عظمة سر التوبة. 2 ضرورة اتخاذ الوسائل لقبوله حسناً.

ونقصد 1 أن نكثر من أداء الشكر ليسوع على هذه النعمة بعواطف خشوعية تقوية 2 أن نحسن استعدادنا دائماً لقبول هذا السر.

العاطفة الروحية هي عبارة المخلص لتلاميذه : ((من غفرتم خطاياهم تغفر لهم ومن أمسكتم خطاياهم تمسك لهم)) (يو 20 : 23).

التأمل للصباح

لنسجد ليسوع المسيح طبيب نفوسنا. فإنه برسمه سر التوبة يعالج أسقامنا جاعلاً دمه الكريم بمثابة مغسل يغسل فيه أوساخ نفسنا ويطهرها ويعيد لنا جمالنا القديم وبرارتنا الأصلية. أفلا يستحق أن نشكر له هذه العطية العظيمة؟ يا لعظم جودة يسوع فإنه قد جعل دمه دواءً شافياً لأمراضنا وأوجاعنا.

القسم الأول

في عظمة سر التوبة

أولاً : ان هذا الســـر يُظهر قدرة الله. فإن اليهود كانوا يقولون : ((من يقدر أن يغفر الخطايا الا الله وحده؟)) (لو 5 : 21) وقد صدَقوا في قولهم لأن الله وحده قادر أن يغفر إهانة من يهينه. ومع ذلك نرى الكاهن خادم الله يستعمل هذا السلطان الذي يفوق الطبيعة البشرية، فيمحو الخطايا مهما كانت عظيمة وكثيرة، ويبعد الشـــيطان عن النفس ويصـــالحها مع الله ويوشحها ثوب العرس أي ثوب المحبة ويعيد اليها جميع استحقاقات أعمالها الصالحة ويرد لها حقوقها للحياة الأبدية ويرجع الله الى قلبها بعد أن أبعدته الخطيئة عنه.

ثانياً : ان محبة الله لا تظهر في هذا الســـر أقل من قدرته. من مظاهر المحبة التي تفوق الوصف أن يهين الانسان الله سبحانه فيجيب تعالى على إهانة الانسان بتأسيسه محكمة لا للحكم على الانســـان بل للمغفرة، محكمة مفعمة رحمة لا يُقبل فيها مشـــتكٍ ولا شـــاهد ما خلا المذنب وحده فينال المغفرة أبداً اذا كان نادماً ويسترجع مع المغفرة كل ما كان خسره بالخطيئة ويكسب بهجة الضمير المستقيم ويستعيد حقوقه المفقودة على السماء، ويُدعى من جديد حبيباً وابناً له تعالى وعزيزه يا ما أعجب ما صنعه يسوع مع شعبه! فقد جعل دمه كمغسل مقدس تتطهر فيه النفس وتزدان بالبرارة والقداسة، وجعله أيضاً كنزاً لا يَنفد مملوءًا من الاستحقاقات ومن النعم التي تؤيد النفس في الصلاح وتسهل لها عمل الفضيلة وتضمن لها في السماء زيادة السعادة والمجد. ان هذا السر يجلب للنفس خيرات عظيمة وافرة. فإن فحص الضمير يعلمها أن تعرف ذاتها، والندامة تجعلها تفكر بالخطايا الماضـــية، والمقاصـــد الحســـنة تدخلها في طريق جديدة،

وحَلة الكاهن تمنحها القوة والنعمة لتسير في هذه الطريق. فهل أحببنا هذا السر كما يجب؟ وهل دنونا منه دنو متكره أم اقتربنا منه برغبة وحرارة؟

القسم الثاني

في ضرورة قبول سر التوبة حسناً

لا شـــيء أهم وأكثر اعتباراً من كيفية قبول ســـر التوبة. فعليها يتوقف الحياة أو الموت، السـماء أو جهنم. فالاعتراف الجيد الكامل الشـروط يدرّ النعم والمواهب. أما الاعتراف العادي الخالي من الانتباه والندامة والمقاصـد الحسـنة فهو داعٍ لازدياد الخطيئة، فيجلب النقمة بدلاً من النعمة. فيا للشـــقاء العظيم ويا للأمر الغريب! فإن الدواء الشـــافي للخطايا يتحول الى خطيئة وينبوع الحياة يضـحي أسـاسـاً للموت. ومع ذلك كله فإن ما يدعو الى الحزن هو أن هذا الشـيء المحزن ليس نادر الوجود، كما يظهر لأول وهلة. فقد أضـــحى كثيرون لائتلافهم هذا الســـر لا يعتبرونـه ولا يفتكرون فيـه ولا يعبـأون بـأنواره ونعمـه. فيعترفون بخفة وطيش وســـرعة على سـبيل العادة من غير فحص كافٍ ولا توجع ولا قصـد، وهم خالون من شـواعر الندامة على ما فرّطوا في تكميل الواجبات، وخالون من القصـد الوثيق في ترك ما يبعدهم عن الله وملازمة ما يقربهم اليه كالندامة والتوجع على ما فرط منهم. فيطرحون أمام الكاهن أثقال ضـميرهم ولكنهم لا يضـحون بإرادتهم الذاتية وأطباعهم الرديئة وعجبهم وكسـلهم وطمعهم وشـهواتهم وهلم جراً. فهل قدرنا عظمة هذا السر؟ وهل تأهبنا لقبوله بالاستعدادات اللازمة؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 297).

الأربعاء الثانية من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نخصص التأملات التالية بالشرط الأول للاعتراف الحسن وهو فحص الضمير. فنرى 1 ضرورة وأهمية فحص الضمير اليومي. 2 ضرورة وأهمية فحص الضمير قبل الاعتراف.

ونقصد 1 أن نواظب على فحص الضمير يومياً مساء كل يوم قبل النوم 2 أن نصرف الوسع في فحص ضميرنا جيداً قبل قبول سر التوبة.

العاطفة الروحية هي عبارة المرنم : ((تفكرت في طرقي ورددت قدمي الى شهاداتك)) (مز 118 : 59).

التأمل للصباح

لنسجد ليسوع المسيح معلمنا الوحيد الذي يصرّح لنا بواسطة القديسين بأهمية فحص الضمير وضرورته، وينبهنا لكي نحسن استعماله لأنه علامة المختارين. فلنشكر ليسوع تعليمه الخلاصي، ونصحه لنا بأن نتممه كما يجب. لنقدم له واجبات احترامنا وعواطفنا.

القسم الأول

في أهمية فحص الضمير اليومي في كل مساء

ان الآباء القديسين ومعلمي السيرة الروحية مجمعون على أن فحص الضمير اليومي أقوى ذريعة لإصلاح نقائصنا وتقدمنا في سبيل الصلاح. وقد سبق الفلاسفة الوثنيين عينهم فسنوا لتلامذتهم هذه القاعدة وأوجزوها في ثلاثة أمور وهي : ماذا صنعت؟ وكيف صنعت؟ وعن أي شيء تهاونت؟ وفي الحق أن الانسان يتعذّر عليه أن يعرف ذاته من غير فحص مدقق وتروٍّ شديد.

فمثل النفس التي لا تفحص ذاتها أو لا تفحصها بطريقة مفيدة مثل الكرمة التي اذا لم تكسح ولا فُلحت أرضها، امتلأت شوكاً. كذلك التاجر اذا لم يراجع حساباته يومياً يخاطر بخسارة تجارته، والنفس التي لا تحاسب ذاتها يومياً تقع في خطر الخسران والهلاك. فالرذائل من غير هذا الفحص تنمو وتتأصل، والفضائل تزول وتتلاشى، والضمير يقسو ويتصلب، والعوائد الرديئة ترسخ وتتوطد. أما في فحص الضمير فترى النفس نقائصها وعيوبها، وتسعى

في اصــلاحها لئلا تعود تســقط فيها. فســلوك كهذا ينشــط النفس ويوقظها ويثبطها عن العوائد الرديئة وعن الرجوع اليها.

ويفيد بالأكثر أن تتبصر النفس في ضعفها بفحص الضمير اليومي فحصاً مدققاً فتتضع وتتذلل وتتأهب للاعتراف السري بنوع أجلى وأوضح اذ تكون قد عرفت حالتها حق المعرفة. أخيراً ان فحص الضمير متى تبعته الندامة الكاملة كما يقتضي يجعل النفس في نجوة من خطر الموت الفجائي. فهل واظبنا على الفحص اليومي؟ وهل عرفنا عظمته وفائدته؟

القسم الثاني

في أهمية الفحص قبل الاعتراف

ان الاعتراف الجيد والاعتراف الرديء متعلقان بفحص الضـــمير. فإذا تهامل التائب تهاملاً جســيماً في الفحص وبســبب تهامله هذا الأثيم أهمل الإقرار بخطيئة مميتة واحدة، كان اعترافه باطلاً والحلة نفاقية. فما أشــد هول هذه الحالة. أما اذا أجاد المعترف فحص ضــميره كالواجب فإنه يطهر نفسه من الخطايا الماضية ويقويها للجهاد في المستقبل. فما أعظم التعزية التي يذخرها لنفسه والحالة هذه. فإذا فحصنا ضميرنا بطيش وفي برهة يسيرة مكتفين بنظرة عمومية على ما فرط منذ اعترافنا الأخير، أخطأنا الغاية. لأن الفحص السابق للاعتراف يتطلب انتباهاً ووقتاً مناسباً وكافياً ويجب أن ندرك أهميته وضــرورته. فلنفتكر في ذلك جيداً لأن هذا الأمر مهم جداً وعليه يتوقف خلاصنا وأبديتنا السعيدة أو الشقية.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 299).

الخميس الثاني من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في كيفية فحص الضمير فنرى : 1 صفاته 2 الأفعال التي ترافقه.

ونقصد 1 أن نسلك بموجب القواعد التي سنها القديسون في هذا الشأن 2 أن نندم بعد فحص الضمير ندامة حقيقية على الخطايا ونقصد قصداً ثابتاً أن نصلح سيرتنا ولا نعود فنرتكبها.

العاطفة الروحية هي آية الملك حزقيا : ((أتذكر جميع سني بمرارة نفسي)) (38 : 15).

التأمل للصباح

لنسجد ليسوع عارفاً خطايانا معرفة كاملة بل عارفاً احوالها ورذائها ولنبارك هذا الفادي الحبيب الذي يروم ان يشر كنا في انوار تعاليمه الساطعة فيفيضها على عقولنا لنعرف ذاتنا ونقف على خطايانا باسرها.

القسم الأول

في صفات فحص الضمير

اولاً : يجب ان يكون هذا الفحص شاملاً : 1 كل الخطايا المرتكبة، والخير الذي كان يلزمنا ان نصنعه فأهملناه، والخير الذي اسأنا عمله. 2 الخطايا الى الله والى القريب والى ذاتنا. والخطايا الباطنة كالأفكار والشهوات والحركات والنيات السيئة التي لا توَّجه اليه تعالى. والخطايا الظاهرة كالخطايا التي نرتكبها باللسان والفم وسائر الحواس. 3 عدد الخطايا وأصلها ومبدأها وأحوالها ونتائجها. وقياماً بذلك يجب أن ننتبه اليها انتباهاً تاماً ونفتش عنها تفتيشاً حسناً غير مكتفين بالنظر الخارجي. فهل فحصنا ضميرنا على هذا الأسلوب؟

ثانياً : يجب أن يكون هذا الفحص بلا شفقة ولا خوف من الحقيقة، أعني من دون التفات الى الحب الذاتي والحنو الطبيعي الميال الى الاعتذار والى إخفاء الحقيقة أو تخفيفها و تقليلها. لأن الفحص اذا جرى برفق كان غالباً ناقصاً وخاطئاً ولا يرى إلا أشياء طفيفة وخطأ عرضياً حيث يوجد فعلاً خطايا مميتة. وأحياناً نخدع ونُغش : لأننا لا نفحص ضميرنا بصراحة كافية.

ثالثاً : يجب أن يكون الفحص بهدوّ وسكينة، أي أن لا نكلف الضمير مشقة التدقيق الزائد خفية أن ننســـى بعض الخطايا بعد أن نكون قد أحســـنا الفحص. بل يجب أن نجريه بهدو كالمقتصد الذي يروم ضبط حساباته. وكالقاضي الذي يفحص الدعوى والطبيب الذي يشخص المرض. على أنه تعالى لا يطالبنا إلا بما نعرفه ونتذكره. أما ما ننســـاه عفواً فإنه يغفره كأننا أقررنا به. فيا للتعزية الجميلة! ويا للفكر الطيب! فإنه يســـاعدنا على فحص ضـــميرنا بهدوّ وسكينة وحرية وبساطة.

القسم الثاني

في الأفعال التي يجب أن ترافق فحص الضمير

1 يجب أن نســـتحضـــر الله قبل الفحص ونعتبره كقاض، فنتذلل تحت قدميه كمذنبين يطلبون النور الالهي والنعمة الضـرورية للوقوف على خطاياهم وعلى شـهوات قلبهم من دون أن يهيجوها.

2 يجب أن نتصـوّر كأننا مشـرفون على الموت وكأننا نغادر الدنيا بعد الاعتراف حالاً، فنفحص ضـــميرنا فحصـــنا اياه وقت الموت ونختم الفحص باتحاد قلبنا مع قلب يســـوع الذي يبغض الخطيئة بغضاً شديداً ويجب أن نتوب اليه توبة صحيحة ونكفر عنها تكفيراً تاماً.

3 يتحتم علينا بعد الفحص أن نندم على خطايانا ونتأسف على ارتكابنا اياها نادبين شقانا وباكين على اهانتنا الله. قاصدين القصد الثابت أن لا نعود اليها ومعوّلين على اصلاح سيرتنا ومتخذين المقاصد العملية الفعَّالة للعمل بموجبها.

فهل فحصنا ضميرنا بموجب هذه الطريقة؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 301).

الجمعة الثانية من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً : في المسـامير التي ثقبت يدي يسـوع المصـلوب ورجليه. 2 في الحربة التي طعنت قلبه الأقدس.

فنقصـد 1 أن ننشـئ أحياناً أفعال الحب ليسـوع المصـلوب وأن لا نرفض له أية تضـحية ذاتية كانت إكراماً له 2 أن نثير فينا لواعج الحب ليسـوع فنقبل مراراً يدي المصـلوب ورجليه وجنبه لأنه يذكرنا بالمسامير والحربة التي آلمته.

العاطفة الروحية هي عبارة الرسول بولس : ((محبة يسوع تحثنا)) (2 كور 5 : 14).

التأمل للصباح

لننتقل بالروح الى جبل الجلجلة فنشـاهد يسـوع مصـلوباً. ولنقبّل قدميه ويديه المثقوبتين بالمسـامير. ولنتروّ في جنبه المطعون بالحربة. ولنمزج دموعنا بالدم المتدفق من قلبه. ولنحب الله الذي أحبنا الى الغاية.

القسم الأول

في العبادة للمسامير التي ثقبت يدي يسوع المصلوب وقدميه

ان هذه المسـامير المصـبوغة بالدم الذي فجرته من عروق يسـوع، والحاملة آثار اللحم الذي مزقته، فقد تقدّسـت بمكوثها ضـمن هذا اللحم. فمن الواجب علينا أن نحترمها ونؤدي لها العبادة وهي تعلمنا :

أولاً : روح الطاعة والخضـوع اللذين هما روح الديانة المسـيحية المضـاد لروح العالم الراغب في الحرية والاسـتقلال لا غير. فالجلادون لما قالوا ليسـوع امدد يديك وقدميك لنسمرهما ونثقبهما أطاعهم في الحال فسمروه على الخشبة ولم يعد يمكنه أن يتحرك.

ثانياً : هذه المسـامير تحرضـنا على أن نندب الخطايا التي ارتكبناها بأيدينا وأرجلنا واحترمناها بأشواقنا وأعمالنا المخالفة. لأن يسوع قد كفَّر عن هذه الإهانات بعذابات المسامير والحربة.

ثالثاً : هذه المسامير تعلمنا الصبر. وقد كان صبر يسوع عظيماً خصوصاً لما كان الجلادون يسمرونه بشراسة ويغرزون المسامير في أعضائه النحيفة الشديدة الشعور، ففتحت فيها أربعة جراح كبيرة ثخينة في يديه وقدميه وأصبحت كأربع سواقٍ يسيل يسيل منها الدم سيولاً. ولشدّ ما كان صبره وعذابه لما رفعوا الصليب عن الأرض وهو معلق عليه ووضعوه على الصخرة اذ اهتز كل جسمه فتفتحت جراحه.

يا يسوع الهي. اني أسجد لك وأنت مرفوع ومعلق على الصليب بين السماء والأرض كذبيحة فوق المذبح، لتصالح السماء مع الأرض والخاطئ مع خالقه. أسجد لك كمعلم وسيد صعد المنبر ليعلمنا الحقائق. أحب يديك الممدودتين لتعانقانا بمحبة وتضرمانا بنارهما. أسجد لهامتك المكللة بالشوك وهي منحنية لتصافحنا وتصالحنا مع الآب السماوي. أسجد لصدرك المهشم والمضرج بالدماء ولقلبك الذي يخفق خفقان المحبة الحقيقية. أسجد ليديك المعذبتين بسبب ثقل جسدك المعلق على الصليب. فمن تراه لا يسجد لك ولا يحبك ولا يُغرم بك أنت الذي كابدت كل هذه الأعذبة المرة بمسامير المحبة!

القسم الثاني

في العبادة للحربة التي طعنت قلب يسوع

قد كان للقديس بونونتورا عبادة خصوصية للحربة التي طعنت قلب يسوع. فكان يقول : ما أسعدك أيتها الحربة. لو كنتُ مكانك لثبتُّ داخل قلبه وما خرجت منه أصلاً، قائلاً : ان ههنا محل راحتي ههنا أسكن الى الأبد. أما القديس برنردس فكان يقول : ان ذلك الجندي الذي

استل تلك الحربة السعيدة وطعن بها الفادي إنما حركه الى ذلك يسوع عينه ليفتح لنا جنبه الأقدس ويرينا منه قلبه الالهي الخافق كله محبةً لنا. أو بالحري لكي يعطينا اياه ويجعلنا ضمنه. فيا ما أسعد من يتمكن من الدخول الى قلب يسوع المفعم كرماً وجوداً والموعب حباً ونعماً وكنوزاً لا تحصى. يا ما أعذب الإقامة في ذلك القلب الممتلئ قداسة حيث تجد النفس كل سعادة، فتصلي وتسجد وتعبد. وتكون كأنها في فلك نوح أمينة من الطوفان ناجية من الغرق سالمة من الخطر. تباركتِ أيتها الحربة المقدسة التي طعنت قلب مخلصي يسوع. بكِ نلنا الخيرات ومنك تدفقت علينا البركات والنعم والسعادة. وفيك وجدنا المحبة الخالصة المحضة!

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 304).

السبت الثاني من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً : 1 في ما هو الفحص الخصوصي وأهميته. 2 في كيفية استعماله.

فنقصد 1 أن نواظب على هذا الفحص الخصوصي يومياً 2 أن نصنعه طبقاً لمراسيم معلمي السيرة الروحية.

العاطفة الروحية هي عبارة القديس أوغسطينس : ((هب لي يا رب أن أعرف نفسي، وأن أعرفك)).

التأمل للصباح

لنسجد لسيدنا يسوع المسيح الذي لرغبته في أن يجعلنا كاملين يعلّمنا بواسطة معلمي السيرة الروحية أن فحص الضمير الخصوصي هو من أقوى الوسائل لخلاص نفوسنا وتقديسها. ولنشكر له هذا التعطف الذي يحمله أن يكون دائماً الى ما فيه فائدة نفوسنا

القسم الأول

فيما هو الفحص الخصوصي واهميته

ان الفحص العمومي يشمل كل الخطايا التي ترتكب في المدة التي يجري عليها الفحص. أما الخصوصي فنفحص فيه عن مادة واحدة أو موضوع واحد. مثلاً عن رذيلة أو فضيلة أو عمل ولاسيما عن الشهوة المتأصلة أو الملكة الرديئة المتسلطة علينا بالأكثر والتي هي جانبنا الضعيف وتقودنا الي الهلاك الأبدي.

فهذا الفحص كبير الاهمية : 1 لأنه يجب علينا أن ننظر الي محل الضعف فينا ونصلحه قبل كل شيء إذ يجعلنا عرضة للخطأ والهلاك. هكذا يفعل قائد جيش يريد أن يأخذ مدينة. فيفحص أولاً عن المكان الأضعف فيها ويوجه اليه كل قواه ليستولي عليها بسهولة 2 ان الفحص الخصوصي مهم جداً لأن انتباهنا اذا توزع على جميع نقائصنا وزلاتنا دفعةً واحدةً كان أقل قوةً وفاعليةً مما لو كان مقصوراً على موضوع واحد 3 ان الفحص الخصوصي هو جزيل الأهمية لأننا متى تغلبنا على النقيصة أو الرذيلة المهمة سهل علينا الانتصار على بقية الرذائل أو النقائص. كقائد تمكن من قتل القائد الكبير فيسهل عليه كسر العدو بسرعة. فهل اعتبرنا هذا الفحص الخصوصي حق الاعتبار؟ وهل استعملناه يومياً واتخذنا له موضوعاً خصوصياً لنصلح ما اختلَّ فينا أم أسأنا استعماله وخسرنا فائدته؟

القسم الثاني

في كيفية استعمال الفحص الخصوصي

لكي نتقن هذا الفحص يجب علينا : 1 أن نحدّد الموضوع فنختار مثلاً الرذيلة أو الشهوة التي هي أصل تجاربنا وخطايانا، أو الفضيلة المضادة لتلك الرذيلة، واتقان الأعمال الاعتيادية، أو غير ذلك من المواضيع على حسب حاجة كل انسان. فلنرجع الى ذاتنا : لنتخذ بفحصنا موضوعاً نعيّنه منذ الآن 2 بعد ما نختار الموضوع الموافق يجب أن نقسم أجزاءه أو علاقاته.

فنفحص ضميرنا مثلاً مدة من الزمن عن الأقوال المضادة للاتضاع أو المحبة أو الصبر. وبعد ذلك نأخذ في الفحص عن الأعمال المضـــادة لهذه الفضـــائل. ثم بعدئذٍ عن الأفكار و العواطف المخالفة لها 3 بعد ما نفحص ذواتنا هكذا ينبغي أن ندّون في دفترنا أو نصــون في ذاكرتنا عدد زلاتنا ونفرض على ذاتنا قصـاصـاً أو قانوناً مطابقاً لعدد تلك الزلات لأننا بهذه الواسـطة نتمكن بســهولة من معرفة سـقطاتنا 4 بعد انجازنا هذا الفحص تحت نظر البارئ تعالى وأمام يسـوع المسـيح ديانتنا يجب أن نقر بخطايانا ونكرهها ونبكي عليها ونسـتغفره تعالى عنها. ثم نقصـد أن لا نعود اليها ونعيش في المستقبل بنوع أكمل وأفضل. ثم نصلي بحرارة لننال نعمة التوبة. فهل مارسنا هذه القواعد الأربع كل يوم لكي يكون فحصنا مقبولاً وجيّداً؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 206).

الأحد الثالث من الصوم الكبير

الانجيل من القديس متى (17 : 1 – 10)

((بعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه. فأصـعدهم الى جبل عال على انفراد. وتجلَّى قدامهم وأضـاء وجهه كالشمس وصـارت ثيابه بيضـاء كالثلج. واذا موسـى وايليا قد تراءيا لهم يخاطبانه. فأجاب بطرس وقال ليسوع : يا رب حسن لنا أن نكون ههنا. وان شئت فلنصـنع ههنا ثلاث مظال : واحدة لك وواحدة لموسـى وواحدة لإيليا. وفيما هو يتكلم اذا سـحابة منيرة قد ظللتهم وصـوت من السحابة يقول : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، فله اسمعوا. فلما سـمع التلاميذ سـقطوا على أوجههم وخافوا جداً. فدنا يسـوع اليهم ولمسـهم قائلاً : قوموا لا تخافوا. فرفعوا أعينهم فلم يروا أحداً الا يســـوع وحده. وفيما هم نازلون من الجبل أوصـــاهم يسوع قائلاً : لا تُعلموا أحداً بالرؤيا حتى يقوم ابن البشر من بين الأموات))

الخلاصة للعشية

في كل هذا الأسبوع نتأمل في انجيل هذا اليوم المنطوي على تفاصيل سر تجلي يسوع المسيح. فنتأمل غداً في الحادثين الأولين المشتملين على انتخاب يسوع مكاناً لتجليه فنرى انه انتخب : 1 مكاناً منعزلاً منفرداً. و 2 جبلاً عالياً.

ونقصد 1 أن لا نعاشر العالم الا عن ضرورة، وأن نحب أن نكون وحدنا مع الله وحده 2 أن نزهد في كل ما يتعلق به قلبنا من أمور هذه الدنيا.

العاطفة الروحية هي عبارة متى الرسول : ((أخذ يسوع تلاميذه وأصعدهم الى جبل عالٍ على انفراد)) (متى 17 : 3).

التأمل للصباح

لننتقل بالروح الى جبل تابور. ولننذهل من اختيار يسوع هذا المكان المنفرد والبعيد عن العالم. هذا الجبل العالي والقريب من السماء. فإن في ذلك سرين عظيمين. فلنسأل يسوع أن يفهمنا اياهما.

القسم الأول

لماذا اختار يسوع مكاناً منفرداً بعيداً عن العالم ليتجلى فيه

ان يسوع انتخب هذا الجبل المنفرد ليعلمنا انه ليس في وسط العالم وأفكاره وضجيجه يتجلى تعالى للنفس وينقلها من صورة الانسان العتيق وأسوائه الى صورة الانسان الجديد وفضائله وبهائه. فإن أول شرط ضروري لكي نتمكن من مشاهدة الله واستماع كلامه وذوق لذاته والتحول الى صورته بالنعمة هو الانفراد الباطني أي الهدو والسكينة حيث تحتجب النفس

عن العالم وتفتح قواها لله وحده ولإلهاماته الالهية. وتجمع حواسها بسلام وطمأنينة تحت أكنافه تعالى. فكلما تركنا نفسنا في طيش العقل وتشتت المخيلة والاهتمام بالأخبار وتعلقات القلب واضطرابات الأفكار الباطلة وابتعدنا عن الخلوة والانفراد فإن الله لا يأتينا ولا يظهر لنا. وصفاته وكمالاته لا تحرك قلوبنا فلا نحبه ولا نرغب في حبه. فنقضي حياتنا كلها متناسين الله سبحانه وجاهلين أنفسنا. فيا أيها الطيش كم تؤذي النفس! ويا أيتها الخلوة كم أنت مفيدة لها وضرورية! فُقدني يا رب الى الخلوة كما قُدت رسلك الأطهار واحفظ فيها قلبي وروحي على الدوام.

القسم الثاني

لماذا اختار يسوع جبلاً عالياً ليتجلى هناك

ان ذلك الجبل الشاهق المطل على ما حوله يشير الى أن من رام التمتع بالله والحصول على النعمة والقداسة يجب أن يكون له قلب مترفع عن جميع الأشياء المحسوسة، قلب أكبر وأسمى من كل العالم، وان يطأ تحت قدميه كل ما كان يعلقه بالدنيا. فلو حصلت نفسنا على أجنحة تلك الحمامة التي طلبها المرنم بغية أن يطير الى الله وبقيت مع ذلك مربوطة بالأرض ولو بخيط صغير لم يتيسر لها أن تعلو الى السماء البتة بل لاستمرت متعرقلة مضطربة غير قادرة على الطيران والارتفاع الى فوق. واذا توصلت الى قطع علائقها وتوثقت بعرى المسيح خليلها وصعدت معه الى الجبل ووطئت أباطيل الدنيا وسحقتها ساغ لها التقدم في الكمال والفضيلة دون ابطاء. فاذا أحببنا الفضيلة حباً أكيداً لزمنا أن نتجرد من كل ما يلذ الطبيعة ويرفه الجسد ويدعو الى الكسل والشهوة ومحبة استماع القصص. ويلزمنا أيضاً أن نبتعد عن أباطيل الدنيا وعن التشتيت ونكفر بالملذات والأطايب ولا نطلق الحرية للطبيعة الفاسدة ولا نقدم لها الا الضروري فقط. ويتحتم علينا أيضاً ان نستعمل ما نحتاج اليه بفطنة وقناعة وعفاف نفس على قدر حاجتنا. يلزمنا أن نزهد خصوصاً في ذاتنا وفي ذوقنا وميلنا وأفراحنا وعجبنا وطمعنا في المناصب. يجب ان نمتنع عن زيادة الاعتناء بالصحة التي تجعلنا نحفاء وصعبين في كل ما يزعجنا أو يخالف حاستنا. أخيراً يتحتم علينا ان نترفع فوق ذواتنا ونخلي قلوبنا من كل ما ليس هو الله لئلا نهلك. فأين نحن من هذا الزهد أو التجرد التام الشامل؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 310).

الاثنين الثالث من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

ان الانجيل يمثل لنا سيدنا يسوع المسيح متجلياً في حين صلاته ويبين لنا بذلك أن الصلاة العقلية واسطة عظيمة فعالة لنيل نعم السماء.

فنتأمل غداً : 1 في ضرورة الصلاة العقلية : 2 في الشروط اللازمة لإتقانها.

ونقصد 1 أن نهيء موضوع الصلاة العقلية مساء وصباحاً ونجعلها دائماً فاتحة أعمالنا اليومية 2 أن نردّد أثناء النهار الخواطر الصالحة والشواعر الخلاصية التي استقيناها صباحاً من الصلاة العقلية.

العاطفة الروحية هي عبارة الانجيلي : ((وبينما كان يصلي تغير منظر وجهه)) (لو 9 : 29).

التأمل للصباح

لنسجد ليسوع المسيح مصلياً على جبل تابور صلاة خشوعية حارة. ما أجمل هذا المشهد عند أهل السماء والأرض! فإنه اذ كان غارقاً بالتأمل في الله تغير منظر وجهه وتلألأ كالشمس وابيضَّت ثيابه كالثلج. فلنشكر للمخلص تعليمه ايانا قيمة الصلاة العقلية ولنستمد منه أن يحببها الينا ويعلمنا ممارستها قائلين : ((يا رب علمنا أن نصلي)) (لو 11 : 1).

القسم الأول

في ضرورة الصلاة العقلية

ان الآباء القديسين قاطبة يصرحون بأن الصلاة العقلية ضرورية للكمال، وان كل يوم تقام فيه هذه الصلاة ضائع. وان الإيمان بدونها يضعف والرغبة في الحقائق الدينية والأسرار المقدسة تنقص. لأن من يفكر في الله وفي كمالاته السامية يصرح بأنه يعتبره ويكرمه ويجتهد في خدمته. كذلك من يفتكر في واجباته يقدرها قدرها ويهملها أو يحسن القيام بها. قال القديس بونونترا : يمكننا أن نتضع أو نختلي أو نحب أو نحصل على أي فضيلة كانت بواسطة الصلاة العقلية. فبدونها يمسي المسيحي كجندي بلا سلاح معرّض لهجمات أعدائه، الشيطان العالم والشهوات، وهو غير قادر على الدفاع. وبالصلاة العقلية يشتد الإيمان ويتوثق يوماً فيوماً ويذوق الإنسان عذوبة المحبة الإلهية ويطلع على الأباطيل الدنيوية ويدرك عظمة الخيرات الأبدية. فيرى زلاته ونقائصه والدواء المفيد لإصلاحها، فتتبدل حياته كلها. وهذا ما حمل القديس أوغسطينس على أن يتفوه بمثل هذه العبارة الجميلة ويقول : من أحسن الصلاة العقلية أحسن سلوكه وسيرته. فهل اعتبرنا هذه الصلاة بمثل هذا الاعتبار؟

القسم الثاني

في الشروط اللازمة لإتقان الصلاة العقلية

أهم الشروط للصلاة العقلية ثلاثة : عادة جمع الحواس. وتجرد القلب. واخماد الشهوات : 1 عادة جمع الحواس لأن العقل الذي اعتاد التشتت غير قادر من طبعه أن يحسن هذه الصلاة لكونه لم يألف جمع الحواس والتقيد بموضوع جدي بل قد ألف التنقل من حاجة الى أخرى بلا انقطاع. فإذا قام للصلاة تبع مألوف عادته. وعبثاً يخاطبه الله فلا يسمعه. أو ان سمعه يتكلم فلا ينتبه الى كلامه بل يوجه أفكاره الى موضوع آخر. 2 يلزم تجرد القلب لأجل الصلاة العقلية. لأن القلب متى تعلق بموضوع اجتذب العقل اليه واستعبده واغتصبه. فإذا أردنا أن نتأمل في الله وخلاص نفسنا قامت ملاذ الدنيا وتعلقات قلبنا الباطلة أو المضرة تلهي عقلنا وتشغل أفكارنا وتشتتها فنحيد عن الله ونهجس بالأمور الدنيوية. وتصبح تلك الملذات كغيوم كثيفة تحجب عنا أنوار الشمس الالهية. وتكون كصوت يدوي فيتغلب على صوت الله. واذا رمنا الارتفاع الى السماويات انجذبنا الى الأرضيات فامتنع علينا الطيران. أما النفس المتجردة فإنها تكون حرة خفيفة ترتفع بسهولة الى الله تعالى فتناجيه وتتحد به على الدوام 3 يجب اخماد لهيب الشهوات لأجل اتقان الصلاة العقلية. لأن القلب ما دام متعلقاً بشهوة يريد تركها والإقلاع عنها يبقى في قلق واضطراب وتشويش يستطيع الثبوت في الله. فبناء على ذلك من أراد أن يحسن

صـلاته العقلية وينجح تحتم عليه أن يُخضـع شـهواته لنفسـه ويذلها ويقمعها يومياً ريثما يلاشـيها بالمرة. فحين ذاك فقط ينال الراحة والطمأنينة والسلام ويتمكن بذلك من الـتأمل ملياً في الأمور الجدية الخلاصـية والاتحاد الدائم بالله. فلنفحص ذاتنا هل أتممنا هذه الشـروط الثلاثة لكي ننجح في الصلاة العقلية.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 312).

الثلاثاء الثالثة من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

ان سـر التجلي الذي اتخذناه موضـوعاً لتأملات هذا الأسـبوع يصـرّح لنا بثلاث حقائق بهية سامية : 1 عظمة يسوع المسيح. 2 قدرة وساطته. 3 قوّة تعاليمه.

بعد تأملنا في ذلك نقصد 1 أن نحترم يسوع غاية الاحترام ونثق به وبتوسطه كل الثقة 2 أن نقتدي به ونخضع لإلهاماته.

العاطفة الروحية هي قوله تعالى لابنه : ((هذا هو ابني الحبيب الذي به سـررت فله اسمعوا)) (متى 17 : 5).

التأمل للصباح

لننتقل بالروح الى جبل تابور. ولنصـغ بعبادة عظيمة الى المديح السـامي الذي يسـديه هناك الله الآب الى ابنه الحبيب. ولنضطرم بمحبة الآب المادح وبمحبة الابن الممدوح.

القسم الأول

في عظمة يسوع المعلنة في الجبل

ان القديس بطرس الرسول أعلن للمؤمنين الأولين قدرة يسوع المخلص وعظمته بقوله : ((إنا لم نتبع خرافات مصنعة اذ أعلمناكم قوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل كنا معاينين جلاله لأنه أخذ من الله الآب الكرامة والمجد اذ جاءه من المجد الفخيم صـــوت يقول : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. وقد سمعنا نحن هذا الصوت الذي جاء من السماء حين كنَّا معه في الجبل المقدس)) (2 بط 1 : 16 و 18). فيا ما أعظم الفادي الذي نسجد له في هياكلنا! فبأي خوف مقدس وأي عبادة عظيمة يجب أن نمثل أمام جلاله الذي يبقى راهناً حقيقياً ســـواء حجبه بحب وتواضـــع في ســـر الافخارســـتيا تحت أعراض الخبز والخمر أم أظهره عياناً لرســـله المبهوتين على جبل تابور. فلنسجد لجلاله وجبروته. ولنستغفره لكوننا لم نحترمه كما يجب في المكان المقدس، في حين صلاتنا، في استعداد قلبنا الاعتيادي نحوه.

القسم الثاني

في قدرة وساطة يسوع المعلنة في الجبل

كان السيد المسيح سبق فأوضح لنا توسطه لدى أبيه السماوي اذ قال لرسله : اسألوا الآب باسمي. أما على جبل طابور فإن الآب نفسه يعلن لنا قدرة هذا التوسط اذ صرّح بقوله : ((هذا هو ابني الحبيب موضـــوع كل فرحه وبهجته. وبالتالي انه ليس فقط كلي القدرة وله النفوذ التام عنده، بل أن جميع الطلبات والسـؤالات يجب أن تقدم به وحده. وانه هو وحده قادر تمام القدرة أن ينالها لأن الآب لا يخيبه في شـــيء البتة. فكما أنه تعالى رام أن يكون خلاصـــنا على يد ابنه الحبيب، كذلك شـــاء أن تعرض عليه طلباتنا جمعاء بواســـطته فيتقبلها نظراً الى محبته له واكرامه اياه وســروره به. فيا لعظم تعزيتنا ويا لوفور فرحنا فإن مخلصـــنا قادر على التوســط الفعَّال بيننا وبين أبيه! فبأي ثقة عظيمة يجب أن نقدم به صلواتنا للآب!

القسم الثالث

في قوة تعاليم يسوع المعلنة في الجبل

ان تعزيتنا يجب أن تكون كبيرة لكوننا تلاميذ معلم وأســـتاذ قد أعلنت لنا الســـماء مهمته الالهية بتلك الصـراحة وذلك الاحتفال السـامي اذ قال الصـوت السـماوي : ((فله اسـمعوا)) (متى 17 : 5 لوقا 9 : 35). أي اســمعوا تعاليمه ليس فقط عندما يلقنكم العقائد التي يجب أن تؤمنوا بها ولو ظهرت أنها مخالفة للعقل والحواس والطبيعة، ولكن اســـمعوا لـه عندما يلقي عليكم تعاليمه الأدبية اذ يصـــرح لكم بأن الســـعادة في هذه الحياة انما هي في الفقر والاحتقار والإهانة وبغض الذات والكفر بها ومخالفتها واغتصـابها وفي صلب الانسان نفسه مع شهواتها. اسـمعوا له عندما يعلمكم بمثله اذ أنه عاش عيشـة متعبة قشـفة خفية، وأعطاكم قدوة في كل بر حتى تصـنعوا أنتم أيضاً مثله. اسمعوا له عندما يناجيكم سراً بإلهاماته : فإن نعمته لا تزال تقرع باب قلبكم. فتحثكم أن تسـيروا سـيرة أفضـل وأكمل. فاسـمعوا الآن لإلحاح نعمته، واتبعوا حالاً الهاماتها. فالطوبى لمن يسـمع صـوته في السـلام والسـكينة ويعمل بما يعلمه بنفس كريمة : ((طوبى للنفس الســامعة ربها المتكلم فيها القابلة من فمه كلمة التعزية)) (الاقتداء 3 : 1 : 1) فهل صنعنا نحن كذلك؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 314).

الأربعاء الثالثة من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً : 1 في أن تجلي المخلص ينبغي أن يشـوقنا الى السـماء. 2 أن هذه الأشـواق نافعة جداً للنفس.

فنقصـــد : 1 أن نزهد في الدنيا وأن لا نرغب الا في الســـماء. 2 أن نبرز مراراً نوافذ روحية مثل هذه العواطف.

العاطفة الروحية هي عبارة القديس برنردس : ((ما أجملك يا وطني! ما أجملك!))

التأمل للصباح

لنسجد لسيدنا يسوع المسيح معلناً لنا سناءَ مجده على جبل تابور لكي يزّهدنا في الأرض ويرّغبنا في السماء، معلناً ايانا بذلك ما أعظم السعادة التي سنحصل عليها هنالك. فلنرفع ألحاظنا وقلوبنا الى السماء لدى هذا المشهد الرفيع ولنضاعف أشواقنا الى الحصول عليه. تلك من أعظم الوسائل لتقديسنا.

القسم الأول

في أن تجلي الفادي يعلمنا الشوق الى السماء

اذا كانت أشعة طفيفة من مجد الله ظهرت هنيهة ومضت قد شغفت قلوب الرسل وأبهجتهم جداً حتى اضطر بطرس الرسول أن يهتف قائلاً : ((يا رب حسن لنا أن نكون ههنا))، فما قولنا في من يستحق أن يشاهد يسوع في السماء وجهاً الى وجه متلألئاً بكل سناء المجد والجلال لا برهة يسيرة كما في جبل تابور بل دائماً وأبداً في مدينة الله عينها؟ فيا للرجاء الطيب المجيد! ويا للآخرة الصالحة المسكرة من البهجة. فهذا الرجاء كان يرّغب الرسل ويشوّقهم الى السماء، كقول بولس : ان لي رغبة أن أنحلَّ فأكون مع المسيح وذلك أفضل لي بكثير)) (فيلبي 1 : 23). وهذا عينه كان ينشئ العواطف المقدسة في قلب القديسة ترازيا فكانت تتوق الى الموت لتلاقي المسيح. وهذا ما حمل القديس غريغوريوس النزينزي أن يقول : ((اني حين أتأمل السعادة العظيمة التي نربحها عند خروجنا من هذه الدنيا، وبطلان ما نخسره عن الممات لا أستطيع أن أسكن نيران أشواقي الى السماء فأناجي الهي قائلاً : متى تنقلني يا رب من هذه الحياة لتبلغني الى وطني الحقيقي؟)). فبمثل هذه الأشواق والعواطف يلزم كل مسيحي أن يتوق الى السماء. لأن المسيحي الحقيقي يتألم من العيشة على الأرض ويبتهج بالموت لأن حياة صليب له والموت فرح وسرور – فهل ضاهينا القديسين في عواطفهم؟ أما فضلنا المنفى على الوطن والأرض على السماء. أما رغبنا في البقاء على الأرض زمناً طويلاً؟

القسم الثاني

في أن هذه الأشواق الى السماء نافعة جداً للنفس

1 ان هذه الأشـواق تعزي النفس في كل مضـايق هذه الحياة وكل الأسـقام الجسـدية. لأن هذه الشدائد والأحزان لا تحسب شيئاً عند النفس المضطرمة شوقاً الى السماء حيث ترجو أن تكافأ عنها بتعويضات من المجد لا تقدر ولا توصف. فتبارك العذاب الذي ينيلنا هذه السعادة!

2 أن الشـــوق الى الســـماء يجرّد النفس كل ما يزول. فإنها عندما تمتلئ من مثل هذه المرجوّات العظيمـة ترى العـالم كلـه تحـت قـدميهـا بمراحـل كثيرة. ولا تتوق الا الى خيرات السماء فتقول مع القديس أغناطيوس : ((كم أرى الأرض حقيرة عندما أنظر الى السماء!))

3 ان هذا الشـوق يوعب النفس رغبة عظيمة في الحصـول على السـماء فلا تتمالك أن تقول مع القديس أوغسـطينس : ((ان كان العمل مع العذاب يخيفنا فالمجازاة تشـجعنا)). ليت شـعري! كم من النعم والخيرات قد حرمنا أنفسـنا بسـبب نسـياننا الحياة الأخرى وانصـرافنا عن الاشتغال بالسماويات؟! فلنقر بغلطنا ولنرفع قلوبنا الى العلاء.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 317).

الخميس الثالث من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً : 1 في أن ســـر التجلي يعلمنا حب الاحتمال. 2 يرينا في أن الاحتمال ينبوع خيرات عظيمة.

فنقصد: 1 أن نحتمل بلا تذمر ولا غم كل ما يصـادفنا من المعاكسـات والصلبان 2 أن لا نبالي بمطاليب الجسد وميله الى الراحة والرفاهية واللذة.

العاطفة الروحية هي عبارة بولس الرسول القائل : ((لنجعل نظرنا الى يسوع الذي بدل السرور الموضوع أمامه تحمل الصليب مستحقاً بالخزي وجلس عن يمين عرش الله)) (عبر 12 : 2).

التأمل للصباح

لنسجد ليسوع المسيح على جبل التابور يخاطب موسى وايليا عن الآلام المزمع أن يُكابدها في جبل الجلجلة، وبما أن الفم يتكلم من فضلة ما في القلب، فقد كان قلب الفادي مفعماً حباً للصلب وكان يُسرّ بالتحدث عنه. فلنشكر له هذا التعليم ولنسأله نعمة الاستفادة منه.

القسم الأول

في ان سر التجلي يعلمنا حب الاحتمال

كان يجب على سيدنا يسوع المسيح في حين تجليه أن يقصي عنه هنيهةً فكر الآلام. لكن قلبه المضطرم شوقاً الى سفك دمه حباً لخلاص العالم لم يسعه اخفاء هذه الرغبة حتى في حين اظهار مجده ذاك الباهر. فهذه المحادثة تعلمنا ما يجب أن نحبه ونرغب فيه على الأرض. أعني أن نتوق دائماً الى التألم ومحبة الصليب والتكلم عنه والتأمل فيه اقتداءً بيسوع على جبل تابور. فبطرس الرسول بما أنه لم يكن بعد قد نال الروح القدس كان يجهل عظمة الصليب فلم يخطر بباله الا السعادة والبهجة التي كانت أمامه في الجبل. وقد أعلن لنا الروح القدس انه لم يكن يدري ما يقول (9 : 33)، مريداً بذلك أن السعادة الحقيقية لا وجود لها على الأرض وانما هي في السماء. فالحياة الحاضرة موعبة احتمالاً وصبراً. فاذا أحببنا الجلوس يوماً على العرش في السماء ترتب علينا أن نجلس ههنا على الصليب ولكي نكتسب مجد القيامة يلزمنا أولاً أن نقتدي بموت المخلص. وللحصول على السعادة يجب اولاً أن نكابد شدائد كثيرة : ((بمضايق كثيرة ينبغي لنا أن ندخل ملكوت الله)) (أعمال 14 : 21). فلا عذر لنا اذا نسينا هذه الحقائق واذا تصورنا أن السعادة هي في هذه الدنيا. ((لأن المسيح تألم لأجلنا وأبقى لنا قدوة لنقتفي آثاره)) (1 بط 2 : 21). وقد رأينا هذا المخلص يشبع من حب العذاب

والاحتمال. وسمعناه يقول لنا بفم رسوله : ان آلامه تكون ناقصة اذا لم يحتمل العذاب في كل عضو من أعضاء جسده السري الذي انما هو عامة المسيحيين. فيما أننا أولاد الدم والعذاب، يتعذر علينا الخلاص ونحن ما بين السرور والملذات. فلنسأل يسوع أن يفهمنا هذه الحقائق القاسية ويقوينا لنضعها بالعمل.

القسم الثاني

في أن الاحتمال هو ينبوع خيرات عظيمة

1 ان الاحتمال يجرّد الانسان من الأرض ويضطر القلب أن يرتفع الى السماء نظراً الى ما يراه في حياته من الضيق والفشل الكثير، مما يدله على كونه مخلوقاً لما هو أرفع وأسمى وأكمل من خيرات هذه الدنيا الفانية أعني لخيرات أزلية دائمة، ويجعلنا نعرف حق المعرفة أن الله وحده هو سعادتنا وراحتنا وأن كل شيء دونه باطل وما فيه الا تعب الروح.

2 أن الاحتمال يطهر الفضيلة وينقيها من الشوائب ويجعلنا في هذه الحالة السعيدة حيث يكون الله وحده كل شيء شهي للنفس. فيلقيها في الاضطراب وهي في وسط أفراحها الباطلة. ولا يدع قلبها يتنجس بأنهار اللذات الفانية.

3 ان الاحتمال يؤيد الفضيلة ويثبتها وهذا الثبات وحده يجعلها أكثر قبولاً عند الله وجديرة به تعالى. فإننا نشك في فضيلة النفس النحيفة التي لم تختبرها بعد المحن والآلام. فاذا عرض لها مضادة أو خسارة طفيفة أو عدم احترام أو احتقار أو امتهان فذلك كافٍ ليجعلها تتذمر وتتشكى. فمثل هذه التقوى انما هي تقوى وهمية فقط لا حقيقية أما النفس المجرَّبة بالعذاب والاحتمال والتضحية فإنها تستمر راسخة هادئة وقت الشدة والامتحان لا تتزعزع ولا تضطرب من مصائب الدهر بل تقبل اليد الالهية التي ترسلها اليها وترفع ألحاظها نحو السماء وتذوق لذة غير موصوفة وهي في معمعان العذاب. ومهما أصابها من الأتعاب والمشقات فإنها تستمر راسخة كصخرة لا تتزعزع. وكلما ازدادت جروحها ازدادت بهجة وقدّمت ذلك لله حباً له كضحية عن خطاياها وعربوناً لاشتراكها في آلام يسوع حبيبها وفاديها. فهل تأهبنا لقبول العذاب على هذه الصورة؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 319).

الجمعة الثالثة من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

ان الكنيسة تكرم اليوم كفن المسيح فنتأمل : 1 في كم العبادة لهذه الذخيرة النفيسة هي عادلة. 2 في كم هذه العبادة هي مجلبة للقداسة.

ونقصد : 1 أن نتذكر مراراً كفن السيد المسيح المرسومة عليه جراحات المخلص والمضرج كله بدمه الطاهر 2 أن تحثنا هذه الذكرى على محبة يسوع المصلوب وبغض الخطية وعلى الغيرة على خلاصنا وممارسة الفضائل الموصلة اليه.

العاطفة الروحية هي عبارة بطرس الرسول : ((اذ قد تألم المسيح في الجسد فتسلحوا أنتم أيضاً بهذا العزم عينه)) (1 بطرس 4 : 1).

التأمل للصباح

لنسجد للسيد المسيح منزلاً عن الصليب بعد موته وملفوفاً في كفن قد اشتراه يوسف الرامي. ولنكرّم جسد الفادي المقدّس الذي لا يزال متحداً بأقنوم الكلمة والمستوجب لذلك سجوداً يليق بالعزة الالهية. ولنشارك مريم العذراء في سجودها له حينئذٍ.

القسم الأول

في كم العبادة لكفن يسوع المسيح هي عادلة

ان هذه العبادة عريقة في القدم اذ قد ابتدأت بابتداء النصـــرانية. والانجيل يتكلم عن جملة أكفان أو لفائف كانت في القبر. غير أن أهم هذه الأكفان قد حفظه نيقوديمس فأعطاه لغملائيل وغملائيل سلمه الى القديس يعقوب وهذا سلمه الى القديس سمعان فصانه في كنيسة أورشليم حيث بقي حتى سنة 1187. ثم نُقل الى قبرس فإلى فرنسا عام 1450 نقلته امرأة أرملة لآخر عقب من ذرية لوزينيان وأهدته الى دوقة سافويا. وما برحت تلك الأسرة الملكية تحفظه عندها حتى اليوم باحترام ووقار وإكرام. وقد أبدى الله تعالى معجزات شتى بهذا الكفن. فأمر الكرسي الرسولي أن يوضع في كنيسة خاصة شادها بولس الثاني وسماها سكستوس الرابع ((المصلى المقدس)). واذن يوليوس الثاني أن يتلى فيها فرض خصوصي للكفن المقدّس. فإن هذه العبادة التي أثبتها أحبار الكنيسة المقدسة وأيدوها قد انتشرت رويداً رويداً ونجحت. فلا نستغرب اذن هذه العبادة العزيزة على قلب الكنيســة وعلى النفوس المشــغوفة بحب يســوع. لأننا كما نكرّم الصــليب المقدس الذي يذّكرنا آلام المســيح، كذلك يجدر بنا أن نكرم تلك الذخيرة التي مســت جسد يسوع وتضرجت بدمه الثمين.

القسم الثاني

في كم العبادة للكفن المقدس هي مجلبة للقداسة

هل يمكننا أن نشاهد في هذا الكفن المقدس ما يمثله أمام أعيننا أي جسد يسوع مضرجاً بالدم ورأسه مكللاً بالشوك ويديه ورجليه مثقوبة بالمسامير وجنبه مطعوناً بالحربة، هل يمكننا أن نشاهد كل هذه الجراحات التي مزَّقت جسده الأقدس من قمة رأسه الى أخمص قدميه بغير أن نقول لذاتنا : بما أن مخلصي قد تحمل كل هذه الآلام ليخلصني أريد أن لا أضيع ثمرة كل هذه الأعذبة. وبما أن خلاصي قد كلَّف سيدي يسوع هذا الثمن الباهظ أريد أن أستفيد من هذا العمل الخلاصــي وأحتمل المعاكسات والعذابات التي هي أقل بما لا يقاس من التي احتملها هو نفسه لأجل خلاصي وأريد بنعمته أن أصير قديساً. اني عندما أشاهد هذا الكفن المقدس أستكره الخطيئة وأســلك ســبيل التوبة لأكفر عن خطاياي. هل في امكاني أن أبقى محباً للرفاهية واللذة عندما أشاهد هذا الجسد الأقدس مثخناً كله بالجراح؟ وهل أستطيع أن أمنع قلبي من سماع هذا الهتاف الخارج من جميع جراحاته المرسومة على هذا الكفن المقدس، وهو : ((هكذا أحب الله

العالم)) (يوحنا 3 : 16) فلنقل اذن لنفوســـنا : ((فلنحب الله نحن اذ قد أحبنا هو أولاً)) (1يو 4 : 19).

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 322).

السبت الثالث من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نواصــل تأملاتنا في ســر التجلي فنرى : 1 اتضــاع يســوع العجيب في تجليه على جبل تابور. 2 تجرد الرسل المتضح في هذا السر العظيم.

ونقصــد : 1 أن نتشــبث بالله وحده دون ســواه. 2 أن لا نقول ولا نفعل شــيئاً لأجل المجد الباطل أو لأجل البشر.

العاطفة الروحية هي عبارة الرسول بولس : ((لا عبد ولا حر بل المسيح هو كل شــيء وفي الجميع)) (كولسي 3 : 11).

التأمل للصباح

لنجثُ بالروح أمام يســوع المتجلي على جبل تابور. ولننذهل من شــديد تواضــعه في هذا السر ومن زهد رسله الثلاثة الحاضرين معه هناك. ولنسأل يسوع أن يُنشئ هذين الاستعدادين في نفوسنا أيضاً.

القسم الأول

في اتضاع يسوع العجيب في سر التجلي

ان يسوع ربنا بإظهاره مجده العظيم في سر التجلي قد أوضح لنا التواضع العميق الذي جعله يكتم عنا دائماً هذا المجد السامي. لأنه في كل أيام حياته لم يظهر شرارة من نور مجده السني الا في هذه المرة. ولم يظهرها الا لكي يثبت ايمان تابعيه يشجعهم في وسط الاضطهادات أو الشدائد المزمعة أن تلم بهم. ثم انه لم يظهر هذا المجد الا تجاه ثلاثة منهم فقط وفي مكان بعيد ومنفرد حتى لا يرى مما يجلب له المجد والفخر والمديح أكثر مما هو ضروري. وذلك مدة وجيزة فقط ثم عاد الى حالته الأولى الفقرية الوضيعة المخفية عن أبصار الناس. وقد أوصى رسله الثلاثة هؤلاء أن يكتموا الرؤيا ولا يذيعوها لأحد. فيا للاتضاع العجيب الغريب! أجل ان تجليه يعلن لنا عظمته الفائقة كل ادراك، وهو مع ذلك يختفي تحت ظواهر الاتضاع والفقر ويحجب مجده وكرامته وعظمته عن البشر. فتجليه تعالى يعلن لنا أنه حاصل على جميع أفراح السماء وهو مع هذا يريد أن يسلم نفسه للغموم والأحزان وجسده للعذاب والجوع والعطش والتعب والأوجاع والموت. فما أسمى هذه التعاليم تعاليم الفضائل! فلنجثُ أمامه ونسجد له ونحبهُ ونقتدِ به. فلا نحاول بعد أن نعلن للناس ما يجلب لنا المديح والشرف ونخفي ما يذللنا.

القسم الأول

في أن سر التجلي يظهر لنا تجرد الرسل وزهدهم

قد اعترى الرسل الدهش حين مشاهدتهم جمال يسوع حتى أنهم زهدوا في كل شيء سواه وهتفوا : ((حسن لنا يا رب أن نكون ههنا)) لأننا اذا كنا معك وحدك فقد حصلنا على كل شيء ولا يرغب قلبنا في شيء من الدنيا. ففيك وحدك قد وجدنا كل شيء ولأجلك وحدك نرغب بطيبة قلب أن نترك كل شيء ونحسب ذواتنا أغنياء اذا ملكناك. وسعداء ان كنا معك. ومكرمين ومشرفين ان كنا بصحبتك. فيا رب حسن لنا أن نبقى ههنا! هكذا النفس التي ذاقت يسوع وتعلمت ما فيه من الجمال والكمالات الساحرة تزهد في جميع المخلوقات. فتعود لا يرفعها النجاح ولا يبطرها. ولا تزعزعها الشدة ولا تلقيها في الفشل. ويصبح عندها على حد

سواء المدح والقدح والإكرام والاحتقار والرفاهية والعذاب. فحسبها يسوع وحده في كل شيء. وكما كان الرسل على جبل تابور هي أيضاً لا ترى الا يسوع في كل أمر. ولا تهتم الا بإرضاء يسوع ولا تشتهي الا أن تجلّ يسوع وتحبه ولا تتعلق بشيء في الدنيا الا بقلبه الأقدس فهل أبعدنا قلبنا عن العلائق الأرضية وزهدنا فيها زهداً حقيقياً؟ هل اكتفينا بيسوع الذي لا يزول ابداً؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 324).

الأحد الرابع من الصوم الكبير

الانجيل من القديس لوقا (11 : 14 – 28)

((وكان يخرج شيطاناً وكان ذلك أخرس. فلما أُخرج الشيطان تكلم الأخرس فتعجب الجموع. فقال بعضهم : ان ببعل زبوب رئيس الشياطين يخرج الشياطين. وآخرون طلبوا منه آية من السماء لكي يجربوه. فعلم أفكارهم فقال لهم : كل مملكة تنقسم على نفسها تخرب وبيت ينقسم على نفسه يسقط. فإن انقسم الشيطان على نفسه فكيف تثبت مملكته؟ لأنكم تقولون اني ببعل زبوب أُخرج الشياطين. وان كنت أنا ببعل زبوب أُخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يخرجونهم؟ فمن أجل هذا هم يحكمون عليكم. وان كنت أنا بأصبع الله أُخرج الشياطين فقد اقترب منكم ملكوت الله. اذا كان القوي المتسلح يحافظ على داره تكون أمتعته في أمان. ولكن اذا جاء عليه من هو أقوى منه وغلبه فانه يذهب بجميع أسلحته التي كان يعتمد عليها ويقسم غنائمه. من ليس معي فهو عليَّ. ومن لا يجمع معي فهو يفرّق. ان الروح النجس اذا خرج من الانسان طاف في أمكنة لا ماءَ بها يطلب راحةً. فاذا لم يجدها يقول : ارجع الى بيتي الذي خرجت منه. فيأتي فيجده مكنوساً مزيناً. فيذهب حينئذٍ ويأخذ سبعة أرواح آخرين شرّ منه، فيأتون ويسكنون هناك فتكون أواخر ذلك الانسان شراً من أوائله. وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة من الجمع صوتها وقالت له : طوبى للبطن الذي حملك وللثديين اللذين رضعتهما. فقال : بل طوبى لمن يسمع كلمة الله ويحفظها))

الخلاصة للعشية

بما أن انجيل هذا اليوم يذكرنا بالنكاس في الخطيئة أي بالرجوع اليها نتأمل غداً : 1 في أن هذه الخطيئة تهين الله تعالى. 2 تؤذي الانسان.

فنقصد : 1 أن نعين كل يوم حسب طريقة فحص الضمير الخطيئة التي يهمنا اصلاحها بالأكثر لكي نتجنب خصوصاً في هذا الموضوع الرجوع الى الخطيئة 2 أن نعيش كل يوم أحسن من الذي قبله.

العاطفة الروحية هي آية متى الرسول : ((فتكون أواخر ذلك الانسان شراً من أوائله)) (متى 12 : 45).

التأمل للصباح

لنسجد لسيدنا يسوع المسيح معلماً ايانا في انجيل هذا النهار ثقل الرجوع الى الخطيئة. اذ يقول لنا : ان حالة مرتكبها من جديد تصير شراً من حالته الأولى. فلنشكر له هذا التعليم السديد الكلي الفائدة ولنسأله نعمة الاستفادة منه.

القسم الأول

في أن الرجوع الى الخطيئة يهين الله جداً

1 ان هذا الرجوع يُعد غمطاً فظيعاً للمعروف. لأنه تعالى بغفرانه لنا خطايانا السابقة ينتظر منا ان نعرف احسانه ونقدر هذا الغفران وهذا الكرم حق قدره اذ نسي ذنبنا ومحا اثمنا وأعاد لنا حقوقنا على السماء. ونظراً الى دم ابنه وهب لنا كل هذه النعم الجزيلة التي لم نكن نستحقها بل كنا نستوجب لأجل ذنوبنا قصاصات هائلة. فبدل أن نشكر له نعمه ومواهبه ونباركه على محبته لنا نعود فنهينه بارتكابنا الخطيئة التي تغيظه وتسخطه وتؤلمه. فيا للكنود

ونكران المعروف! ألا أيتها النفس المسيحية تذكري أن الرجوع الى الخطيئة يحط من قدرك ويذلك!

2 أن الرجوع الى الخطيئة يُعد طمعاً في المراحم الالهية وأناة الله : لأننا نستسهل ارتكابها طمعاً في جودة الله وكرمه. وكأننا نقول : بما أنه تعالى غفر لنا أول مرة فانه يغفر لنا ثانية وثالثة ورابعة وهلم جراً فنعود اليها بسهولة. كيف يمكنك أيها الانسان أن تتناسى لطف الله الواجب أن يجتذبك للتوبة والمحبة؟ كيف يسوغ لك أن تجعل لطفه باعثاً للإهانة؟ انك بعلمك هذا تجمع على هامتك غضباً عظيماً وناراً آكلة.

3 ان الرجوع الى الخطيئة يُحسب خيانة مخجلة. لأننا كلما انطرحنا أمام الله في منبر الاعتراف وعدناه وعداً أكيداً وثيقاً أن لا نعود الى الخطيئة. وأن دم ابنه المهراق في سر التوبة لمغفرة خطايانا يؤيد عهودنا ويقوي وعودنا. غير أننا عند هبوب ريح خفيفة نحنث وننكث مواعيدنا ونلغي مقاصدنا ارضاءً لخاطرنا أو لخاطر غيرنا. أَفليس عملنا هذا خيانة كبيرة لله؟! رحماك يا الهي وصفحاً عني.

القسم الثاني

في أن الرجوع الى الخطيئة يضر الانسان

1 ان هذا الرجوع يضعفنا بجعله نفسنا أليفة للخطيئة غير مكترثة لشناعتها وقباحتها. ويضعف فينا الإرادة فلا تعود تقاوم الخطيئة. وكلما سقطنا فيها ازداد ضعفنا وتحطمت قوتنا وتضعضعت عزائمنا. ليت شعري كم يضعضعنا هذا الرجوع وينهك قوانا!

2 اننا كلما رجعنا الى ارتكاب الخطيئة ازدادت الصعوبات لنهوضنا منها. ولذا يجب ان نخاف ونرتجف من ذلك ولا سيما لكون الرجوع الى الخطيئة يصلّب الارادة الشريرة ويولد العادة الرديئة ويجعلها كطبيعة ثانية حتى أنه يكاد يتعذر على الانسان اتخاذ الوسائل لإبعادها وللرجوع الى الله ومحاربة التجارب والأميال المنحرفة. ثم يعترينا الخجل لقلة نجاحنا فنمتنع عن النهوض ونستمر في التعس والشقاء. هذا ما يجب أن يخيفنا ويضطرنا أن نقوم ونعزم أن لا نعود الى الخطيئة أبداً أبداً.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 328).

الاثنين الرابع من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نعود غداً الى تأملاتنا السـابقة في سـرّ التوبة. فنرى أنه يتحتم علينا أن نرافق اعترافاتنا. 1 بندامة باطنية. 2 بندامة عمومية.

ونقصد 1 أن ننشئ في كل مساء بعد فحص ضميرنا فعل ندامة باطنية وعمومية. 2 أن نتلو بعد سقوطنا في الخطيئة سواء كان في الليل أم في النهار فعل ندامة باطنية.

العاطفة الروحية هي قول المرنم : ((القلب المنكسـر المنسـحق لا ترذله يا الله)) (مز 50 : 19).

التأمل للصباح

لنسجد لسيدنا يسوع المسيح في بستان الزيتون ناظراً منذ ذاك الحين بجلاء وتميز الى خطايا جميع الأجيال التي قد أخذ على عاتقه أن يكفر عنها. وقد ألقاه هذا المنظر في حزن مميت حتى النزاع. فلنرثِ ونتوجع لهذا الفادي المحزون الى هذا الحد ولنشـاركه في البكاء. لأنه على خطايانا يبكي.

القسم الأول

يجب أن تكون ندامة باطنة حقيقية

ان يسوع المسيح في بستان الزيتون هو مثال الندامة الحقيقية ويعلمنا اياها جلياً. فإن قلبه قد شعر بالتوجع على الخطيئة شعوراً شديداً أوصله الى الموت، كما قال : ((ان نفسي حزينة حتى الموت)) (متى 26 : 38). ومن جهة أخرى نرى العقل وحده أيضـاً يعلمنا ضـرورة هذه الندامة الباطنة على الخطيئة. لأن القلب الذي يهين الله يضطر هو عينه أن يعوض عن تلك

الإهانة بانسحاقه وتوجعه الأليم لكونه أهان إلهاً رحيماً شفيقاً عطوفاً مستحقاً كل محبة. ثم انه تعالى لا يصفح عن إثم الخاطئ إلا بقدر انسحاق قلبه وندامته وشديد رغبته في الرجوع عن الخطيئة. فالله عزّ وعلا لا ينظر الى دموع العيون ولفظ الشفتين بل الى القلب المنسحق بالندامة الصحيحة على الخطيئة. فعبثاً اذن يتلو اللسان أفعال الندامة وباطلاً يفتكر الروح بتحريضاتها وباطلاً نتنهد ونتحسر ونستغرق في الصلاة ونكرر المواعيد بترك الخطيئة. فعبثاً اذن يتلو اللسان أفعال الندامة وباطلاً يفتكر الروح بتحريضاتها وباطلاً نتنهد ونتحسر ونستغرق في الصلاة ونكرر المواعيد بترك الخطيئة. ذلك كله لا فائدة فيه ان لم نندم ندامة قلبية باطنة حقيقية على الخطيئة فنبغضها بغضاً صحيحاً ونتوجع عليها توجعاً كاملاً. فلنفحص ضميرنا أمام الله هل توجع قلبنا على خطايانا توجعاً حقيقياً بقلب منسحق كسير. أم حاولنا أن نخفف جرمها أو نخفيها عن أعيننا وعن معرّفنا خجلاً منها؟

القسم الثاني

يجب أن تكون الندامة عمومية شاملة جميع الخطايا

ان هذه الندامة الشاملة ضرورية جداً نظراً الى الخطايا المميتة لأننا ان أهملنا واحدة منها بلا ندامة حقيقية قلبية كانت ندامتنا باطلة واعترافنا غير صحيح. فالله تعالى لا يمكنه أن يحب قلباً متشبثاً بالخطيئة لأنه يكرهها غاية الكره. فمن قال لله اني أحبك وقلبه متشبث بخطيئة واحدة مميتة كان قوله هذا كذباً ونفاقاً. أما الخطايا العرضية فالندامة عليها تكون صحيحة اذا اشتملت على بعضها فقط لا على كلها، لأن الخطيئة العرضية تضعف فينا محبة الله ولا تزيلها تماماً. فيمكن من ثم أن تشمل الندامة بعض خطايا عرضية. ومع ذلك فإن النفس يلحقها من جراء ذلك ضرر غير يسير. أولاً لأن الخطايا التي لا نندم عليها تماماً يبقى لها بعض تعلق في قلبنا ويكون مثَلها مثل بقعة تشوّه ثوب النفس فتبرد فيها محبة الله وتنقص نعمته. ثانياً ان الحلة لا تشمل الخطايا التي لا نندم عليها. فالخطيئة التي تبقى بلا ندامة تصد النعمة عن فعل مفعولها وقوتها للإصلاح التام والتبرير الكامل الذي يحصل عليه القلب المحب لله تماماً والمخلص له الأمانة. فلنفحص ضميرنا جيداً لنرى هل أبقينا فيه تعلقاً ببعض الخطايا العرضية التي لا نروم التخلص منها تماماً. بل نميل اليها ونسر بها ولا نندم عليها ندامة صادقة كاملة.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 330).

الثلاثاء الرابعة من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في صــفتين ضــروريتين للندامة الحقيقية التي يجب أن تكون : 1 ســامية. 2 فائقة الطبيعة.

فنقصـــد 1 أن ننعش فينا الإيمان بشـــأن هاتين الصـــفتين ونجعلهما لكثرة ترديدهما من شـواعرنا الطبيعية 2 أن ننشـئ أفعالهما خصـوصـاً بعد فحص ضـميرنا في كل مسـاء وحين اعترافنا.

العاطفة الروحية هي عبارة المرنم : ((أبغضــت الزور واســتضــعفته)) (مز 118 : 163).

التأمل للصباح

لنســجد للســيد المســيح رازحاً تحت حزنه المميت في بســتان الزيتون اذ ((طفق يحزن ويكتئب ويرتـاع)) (متى 26 : 37 ومرقس 14 : 33) لما تمثلت أمامه شـــرور الخطيئة الهائلة ورأى جهنم مفتوحة والسماء مغلقة، والله محتقراً والشيطان معتبراً مستوياً على عرشه الناري. فهذا المشهد المفجع حزنه للغاية حتى اضطر أن يأتيه ملاك من السماء ليشدده ويسليه ويقويه. فلنقدم لحبه المنقبض من الغم والكآبة جميع الفروض البنوية التي تستطيعها قلوبنا.

القسم الأول

في ان ندامتنا على خطايانا يجب أن تكون سامية

ان الندامة الســـامية تجعلنا نتوجع ونتأســـف على اهانتنا الله أكثر من توجعنا على بقية المصـائب كلها. أما ذلك عدل يا الهي؟ أما تسـتحق أن نحبك فوق كل شـيء؟ وأي بلية في الدنيا شـبيهة بالخطيئة أو بجهنم التي هي عقابها؟ لأن خسـارة المال والثروة والصـيت والشـرف بل الموت عينه لا تعادل خسـارة نعمة الله ومحبته وخسـارة السـماء والأبدية السـعيدة التي تسـببها الخطيئة.على أنـه لا ينتج من ذلك أنـه يجب أن نشـــعر بالتوجع على الخطيئة أكثر من التوجع على موت عزيز لنـا كـأخينـا أو أبينـا أو أمنـا. لأن الله ذاتـه لا يطلـب منـا ذلـك اذ ليس هو في اســـتطـاعتنا. وانما يطالبنا أن نكره الخطيئة ونمقتها كأنها الشـــر الأعظم في العالم وأن نكون مسـتعدين لخسـارة كل شـيء واحتمال كل شـيء أحرى من ارتكابها مرة واحدة. كذلك ليس من الضـروري أن نتصـور كل الشـرور الدنيوية كعذابات الشهداء مثلاً لنرى هل نحن مستعدون أن نحتملها أحرى من أن نخطأ. لأننا ليس لنا النعمة اللازمة لمثل هذا الاحتمال. فلنفحص ذاتنا هل أنشأنا مثل هذه الندامة السامية في اعترافاتنا؟

القسم الثاني

في أن ندامتنا يجب أن تكون فائقة الطبيعة

من المقرر أنـه ان كـانـت نـدامتنـا طبيعيـة في أصـــلهـا ومبدئها فلا مفعول لها في الأمور الفـائقـة الطبيعـة. لأن الطبيعـة وحـدها وبذاتها لا تقدر أن ترتفع الى ما فوق الطبيعة. لكن الروح الإلهي وحده قادر أن ينشـئ فينا ندامة فائقة الطبيعة. فعلينا أن نطلبها منه ونرجو أن يؤسـسـها فينا على قواعد متينة فائقة الطبيعة كأنها المبدأ والأصـل والغاية. أما اذا كنا لا نكره الخطيئة إلا لكوننا بسـببها أصـبحنا تاعسـين أو خسـرنا ثروتنا وصـحتنا وصـيتنا أو تقلبنا في وخز الضـمير والاضـطراب والعذاب، فندامتنا هذه تحسـب طبيعية وتكون باطلة وعقيمة بلا ثمرة. أما الندامة الحقيقية المقبولة عند الله فهي مؤســســـة على قاعدة أعلى وأســمى : لأننا بها نتخذ من الإيمان أسـباب ندامتنا فنكره الخطيئة كرهاً عظيماً ونأسـف جداً عليها لأننا بارتكابنا الخطيئة قد خسـرنا صـداقة الله وحقوق الوراثة السـماوية واسـتسـلمنا لعبودية الشـيطان واسـتوجبنا الهلاك الأبدي واستحققنا النقمة واللعنة والغضب. فاحتقرنا يسوع وآلامه وصلبه ونزاعه وموته على الصليب. وعظنا الله الذي كنا نحبه فوق كل شـــيء واحتقرنا جلاله غير المتناهي ومحبته وجودته وكرمه وصـفاته السـرمدية. فيا من صُـلب لأجل خطاياي أنت وحدك قادر أن تنشـئ في قلبي مثل هذه النـدامـة. فاســـكب على قلبي قطرة من دمك الأطهر ليلينه بالندامة. كلِّمه بجراحاتك كأنها كلها

أفواه ناطقة بعظم محبتك وبفظاعة خيانتي، واجعل هذه الجراحات تنشـــئ فيَّ هذه الندامة الفائقة الطبيعة التي تطهر نفسي وتبررها وتؤهبني لأن أحيا لك وحدك وأن لا أحب سواك.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 333).

الأربعاء الرابعة من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

بما أن الندامة يجب أن تكون مؤسـســة على أسـباب الإيمان كما رأينا في تأملنا السـابق نتأمل غداً في السبب الأول منها، فنرى : 1 أن الخطيئة بما أنها اهانة لله هي شر تستوجب كل بكائنا. 2 في أن الأحوال الداعية الى الخطيئة تزيدها شناعة وقباحة وجسامة.

ونقصد 1 أن نحسن التأمل في هذا السبب ليرسخ فينا جيداً قبل دنونا من منبر التوبة 2 أن نتذكره كل يوم صباحاً ومساء لكي نتشرب كره الخطيئة ونزداد نفوراً منها.

العاطفة الروحية هي قول الابن الشـاطر : ((يا أبت قد خطئت الى السـماء وأمامك ولا أستحق بعد أن أدعى لك ابناً)) (لو 15 : 18 و 19).

التأمل للصباح

لنسـجد ليسـوع المسـيح خارًّا على ركبتيه أمام جلال أبيه السـماوي (لو 22 : 41) فيسـتغفره في هذه الحالة الذليلة عن الإهانة الجسـيمة التي تلحقها به الخطيئة ويقدم ذاته للتكفير عنها ويرتضـــي أن يتحمل العقاب لأجلها. ولنضـــم عواطف قلبنا الى عواطف قلبه الحزين. ولنسأله أن يشركنا في استعداداته هذه المقدسة.

القسم الأول

في أن الخطيئة بما أنها اهانة لله هي شر تستوجب كل بكائنا

واحسـرتاه يا الهي. لو كنت خالفتك ليس في حفظ وصـاياك بل في اتباع مشـوراتك فقط لوجب عليّ أن أذرف كل دموعي. أَلست أُعدّ جسوراً وقحاً اذا كنت أُخالف نصيحتك ولا أشاء العمل بحسـب رغباتك إلا بعد ما تهددني بالقصـاص الشـديد؟. فكأني في ذلك بهيمة لا تسير الا بالضـرب، أو عبد لا يعمل إلا بالتهديد، أو صـديق كذّاب لا يحترم واجبات الصـداقة ولا يبالي بغم صديقه.

لكن وقاحتي تكون أعظم ان سمعتك يا الهي لا تشير عليّ مشورة بل تأمرني أمراً، وأنا أفعل ما تنهاني عنه وأهمل ما تأمرني به! فكيف يا سـيدي أنا الخليقة الدنية والدودة الحقيرة كيف أعصـاك! أنا الذي أريد أن يخضـع الجميع لإرادتي الشـخصـية ويعملوا بموجبها ويأخذني غيظ شـديد ان رأيت خدامي لا يتممون حالاً أقل أوامري كيف أخالف أوامرك في وجهك وأنا أرى بعين الايمان أنظار جلالك تشاهدني وتسحقني بعظمتها! بل أقترف أمام عينيك ما لا أشاء مراراً أن أعمله أمام أدنى الخدام وأحقر الناس وأقترف ذلك ليس مرة واحدة بل ألوفاً من المرات بل كل الأيام! أما تسـتوجب هذه الخطيئة ذرف كل دموعي؟ ومع ذلك ليسـت هذه الخطيئة الا زلة عرضية فقط. فما هي يا الهي الخطيئة المميتة اذن؟

لو لم أرتكب في حياتي كلها سـوى خطيئة مميتة واحدة فقط لتحتم علي أن أقضـي بقية عمري في البكاء والنحيب عليها توبةً وندامةً. لأني بالخطيئة المميتة أقطع كل علائق صـداقتي مع الله وأستوجب مقته وشديد غضبه، ولا أبالي. واذ أعلم أني بالخطيئة لا أهين سواك أتجاسر فارتكبها! أَلا عفواً يا سـيدي وصـفحاً عن هذا الاحتقار. اني أراك تطالبني بأشـياء عادلة للغاية يفرضـها عليّ ضـميري ويستحسـنها عقلي، ومع ذلك وا أسـفي أحتقر أوامرك رغماً عن عقلي وضـميري! أفضـل عليك الشـهوة الدنيئة والطين الخسـيس! فيا للجريمة! ويا للجنون! وللفظاعة التي لا يدرك غورها! اللهم رحماك! عفواً! .. عفواً!

القسم الثاني

في أن ظروف الخطيئة تزيدها شناعة وقباحة وجسامة

1 ان في الخطيئة خيانة : لأننا وقت عمادنا وحين اعترافاتنا وتناولاتنا العديدة قد عاهدنا الله تعالى أن نكون له أمناء، واذا بنا بعد ذلك كله ننقلب فنحتقره ونهينه وننكث أقدس عهودنا له! فيا ما أفظع هذه الخيانة! 2 ان في الخطيئة جحوداً ونكراناً للجميل. فان يسوع مات لأجلنا وقدم لنا ذاته في سر محبته ولا يزال يسهر علينا ليل نهار بنعمته ومحبته ويغمرنا بحسناته ومع ذلك فإننا لا نقابلها الا بالكنود والنكران بل نتذرع بعطاياه ذاتها لنحتقره ونستعمل قوانا أي عقلنا وفهمنا وارادتنا لكي نغيظه. فهل من نكران أفظع من هذا؟! 3 ان في الخطيئة تمرداً من العبد على مولاه، ومن الابن على أحسن الآباء، ومن الصديق على أوفى الأصدقاء ومن الخليقة على خالقها، ومن الضعيف على الكلي القدرة، ومن الدني الحقير على العظمة الغير المحدودة! 4 ان في الخطيئة أفظع من ذلك. فإن خطايانا المسببة موت السيد المسيح هي كالجلادين الذين عذبوه وصلبوه بل تجعلنا خطايانا أكبر جرماً من اليهود عينهم لأنهم لو عرفوه لما صلبوه. وأما نحن فكنا نعرفه لمَّا صلبناه! فيا للشناعة والقباحة! ليت شعري ما أكره الخطيئة وأشنعها! وكم يجب علينا أن نقصد قصداً أكيداً وطيداً أن نجتنبها ألف مرة أكثر من اجتنابنا جميع البلايا العظمى!

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 335).

الخميس الرابع من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في سبب ثانٍ للندامة وهو عظم الإساءة التي تسيئها الى الله عزّ وجل: 1 الخطيئة العرضية. 2 الخطيئة المميتة.

فنقصد 1 أن نحترس من الخطأ العرضي احتراساً تاماً لأن الله يكرهه كرهاً شديداً 2 أن نبكي كل أيام حياتنا الخطايا المميتة التي قد ارتكبناها لسوء حظنا في ما سلف.

العاطفة الروحية هي عبارة المرنم : ((خطيئتي أمامي في كل حين)) (مز 50 : 5).

التأمل للصباح

لنســـجد بخوف ورعدة أمام عدل الله ماقتاً الخطيئة مقتاً كلياً لا يدركه عقل مخلوق. اني أعبدك يا الهي بغير أن أفهمك، وفي الوقت ذاته أحبك لأن كل ما فيك يا الله هو محبوب. فكن ممجداً ومباركاً في عدلك كما في جودتك!

القسم الأول

في كم يجب علينا أن نبكي على الخطيئة العرضية لكونها اساءة

كبيرة اليه تعالى

ان الله تعالى يبغض الخطيئة العرضـــية الى حد أنه يعاقبها في الحياة الأخرى بعقابات تعادل عقابات جهنم، لكنها زمنية ومحدودة. وانه يغلق أبواب جنته دون نفوس عزيزة عليه ومحبوبة عنده الى أن تكفر تكفيراً تاماً عن أقل خطاياها. ثم انه تعالى يبغضـــها الى حد أنه قد عاقبها مراراً بعقابات هائلة حتى في هذه الحياة. فموســـى الكليم بســـبب قليل من عدم ثقته بالله حُرم الدخول الى أرض الميعاد التي استحق الدخول اليها بخدمته لله ومقاساته مشقات وافرة في البرية مدة أربعين ســـنة. وأحد الأنبياء لتأخره عن الرجوع من المكان الذي أرســـله اليه الرب أمر أن يخرج ســـبع من الغابة ويفترســـه (3 ملوك 13 : 22 و24) تفاخر داود فأمر أن يُحصـــى شـــعبه فعاقب الله افتخاره ((وبعث وباءً في اســـرائيل (2 ملوك 24 : 15). فيا ما أكره الخطيئة العرضـــية عند الرب القدوس! كم يجب علينا أن نبكي عليها لأنها تهينه تعالى اهانة لا توصـــف! وكم يجب في كل مرة نعترف أن نندم عليها ندامة شـــديدة صـــادقة ونقصـــد قصداً ثابتاً أن نتوب عنها ونصلح سيرتنا! فهل سلكنا بموجب ذلك؟

القسم الثاني

في كم يجب علينا أن نبكي على الخطيئة المميتة لكونها إهانة لله

عظيمة جداً

اذا تـأملنـا عقـابـات جهنم الهـائلـة واعتبرنـا أن الـذين يقـاســـونهـا كـانوا أولاد الله الأعزاء ولأجلهم ســـفك ابنه الحبيب دمه كله، وافتكرنا في أن خطيئة واحدة مميتة من شـــأنها أن تحوّل تلك المحبة الشـديدة الإلهية الى هذا السـخط المخيف يأخذنا الدهش والحيرة فنهتف : ما أكثر ما تغيظك الخطيئة المميتة وما أشد قصاصك لها يا الهنا!

ثم اذا ارتقينا من جهنم الى الســماء وشـــاهدنا هناك الكراســـي الفارغة التي كانت معدة لأولئك الملائكـة المتلألئين جمـالاً وبهـاءً وكمـالاً وســـنـاءً وعرفنـا أنهم لمـا قبلوا فكر الكبريـاء والعجرفة انقضَّـت عليهم حالاً صـــواعق غضـــب الله وســقطوا من الســماء وأدركهم الهلاك، المؤبد، فهمنـا فظـاعـة الخطيئة المميتة التي هي تمرّد على الله. فيا قداســـة الله العظيمة ما أكثر بغضـك للخطيئة وما أشـد قسـاوتك عليها! كم يجب علي أن أخاف غضـبك، يا الهي، أنا أحقر عبيدك وآخرهم، أمـا المرتكب ألوفاً من الخيانـات والخـاطئ ليس خطيئـة واحدة فكريـة فقط بل ملايين من الخطايا قد اجترمتها بكل حواسي وكل أعضـاء جسدي وكل قوى نفسي وخالفت بها أكثر أوامرك.

3 ثم اننا اذا قصدنا الفردوس الأرضي حيثما كان أبوانا الأولان نرى آدم يأكل من الثمرة المحرمـة خلافاً لأمر الله فيتعرى من حلـة النعمـة الإلهيـة ويخســـر برارتـه الأولى ويُحكم عليـه بالأشغال الشاقة والموت. وقد شمل العقاب ذريته كلها الى منتهى الأجيال، فحُكم عليها الى آخر الدهر بويلات لا تحصـــى. آه يا الهي كم من قصـــاصـــات هائلة وكم من مصـــائب وعذابات ومشـــقات أنزلتها بالذي ارتكب خطيئة واحدة! هل في وســـعي أن أبكيها كما يجب وأندم عليها ندامة صحيحة؟

4 أرى أن عظيم سـخطك على الخطيئة ومزيد بغضـك لها لم يتضـح أكثر مما اتضـح لي لما كان ابنك الحبيب معلقاً على الصـــليب. ففي تصـــوري اياه على هذه الحالة وهو الاله الذي أخذ على عـاتقـه التكفير عن الخطيئـة أراك أيها الآب الســـماوي تفرغ عليه كل ثقل غضـــبك وتصـب عليه كل سـخطك. واذ حمل خطايا البشـر أسـلمته الى أشـد الاهانات وأهول العذابات والصـــلب والموت على الصـــليب. فلتكن اذن ملعونة الخطيئة التي أدخلتها الى قلبي! فذلك هو أقوى الأسباب لكي نبكي بكاءً مراً على الخطيئة التي ارتكبناها ونتوب عنها توبة صادقة.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 338).

الجمعة الرابعة من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في العبادة لجروح المخلص الخمسة التي تقدمها الكنيسة لتقوانا في هذا اليوم. فنرى : 1 أنه لا أعدل من هذه العبادة. 2 أنها مجلبة لأغزر النعم.

ونقصد 1 أن نضع الصليب تجاهنا حين شغلنا وأن ننظر اليه بمحبة خصوصاً في وقت التجارب والمتاعب ونقبل جراحاته المكرمة وخصوصاً جرح قلبه الأقدس 2 أن نمارس بعض اماتات اكراماً لجروحه الخمسة.

العاطفة الروحية هي آية اشعيا النبي : ((جُرح لأجل معاصينا)) (53 : 5).

التأمل للصباح

لنجثُ عند قدمي يسوع المصلوب ونؤدّ فروض سجودنا وشكرنا وحبنا لجراح يديه ورجليه ولا سيما قلبه الأقدس. فلنحترم هذه الجروح المقدسة ونكرمها ونبجلها ونحبها. ولنقدم لأجل ذلك عواطف أمنا مريم العذراء ويوحنا الحبيب الواقفين أمام الصليب ونشترك معهما في هذه العواطف.

القسم الأول

في أنه لا أعدل من العبادة لجروح يسوع الخمسة

ان الابن الذي ينظر الى جروح أبيه ويعرف أنه كابدها لكي ينجيه من أكبر البلايا وينيله أعظم الخيرات، ومع ذلك لا تأخذه عليه أدنى شفقة أو شكر أو محبة بل لا يكترث له ولا يبالي به لا يُعد من البشر بل من الوحوش الشرسة القاسية لا لب له ولا قلب. فمثله بل شراً منه يكون المسيحي الذي يرى جروح يسوع الخمسة ولا يتأثر قلبه لذلك، وهو عارف أنه كابدها لينقذنا من جهنم ويفتح لنا أبواب السماء ويدر علينا ينابيع النعم والخلاص فنستقي منها القوة والتعزية. ((أيتها النفس المسيحية كيف لا تبتهجين لدى تذكرك جروح فاديك، وكيف لا تسرعين الى الدخول فيها؟ أما أنا فأرغب السكنى هناك وأريد أن أبني فيها ثلاثة مساكن : أولها في قدمي مخصصي ثانيها في يديه وثالثها في قلبه، حيث أستريح وأسهر وأقرأ وأتكلم. فيا أيتها الجروح المحبوبة ان عيني قلبي شاخصتان اليك النهار كله كلما أرقت ليلاً. اني أمكث خصوصاً عند جرح جنبه المفتوح بالحربة لأناجي قلبه واستمد منه كل ما أتمنى)). لا نكون أبناء القديسين اذا كنا لا نقتفي آثارهم في العبادة الحارة لجروح مخلصنا الخمسة.

القسم الثاني

في أن العبادة لجروح يسوع الخمسة تجلب لنا أغزر النعم

ان النفس المسيحية المغرمة بيسوع تجد في جروحه كل ما يلزمها للخلاص. قال القديس أوغسطينس : ((اني لم أجد دواءً شافياً لأمراض النفس كالتعبد لجروح المخلص)). وقال القديس برنردس : ((مهما اشتدت الأمراض الروحية فإن التأمل المتواصل بجروح الفادي يشفيها ويعافيها، لأن الله قال على لسان زكريا : فينظرون اليّ أنا الذي طعنوه ويشفون ويتوبون (12 : 10) فقلب يسوع يشبه بحراً طافحاً وجرحه تشبه أقنية تجري منها سيول النعم والرحمات)) فبالحق اذن ان هذه الجراح تقوّي الايمان وتشدد الرجاء وتضرم المحبة، وان القلب المتأمل فيها يشتعل بنيران محبة الله ولا يعود يسعه أن يعيش الا حبًّا له. ولذا فالقديس أوغسطينس يسمي هذه الجراح ملجأ الخاطئ في ضيقاته، وملاذه في شدائده، ودواءه في أمراض نفسه. قال كتاب الاقتداء بالمسيح : ((ان كنت لا تعرف أن تتأمل في الأمور العالية والسماوية فاسترح في آلام المسيح واستقر بمسرة في جراحه المقدسة. لأنك اذا التجأت بعبادة الى جروح يسوع وسماته الكريمة شعرت بقوة عظيمة في الشدائد)) (سفر 2 : 1 : 4) فهل ضارعنا هؤلاء الآباء بالعبادة لجروح الفادي؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 341).

السبت الرابع من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

سنستعمل تأمل الغد : لنفحص كيف قضينا النصف الأول الذي مضى الآن من الصوم، ولنرى ماذا يجب أن نتخذ من الوسائل لنقضي ما تبقى من هذا الزمان المقدس بنوع أفضل.

فنقصد 1 أن نعكف على جمع الحواس وروح الصلاة باستعمالنا مراراً النوافذ الروحية 2 أن نعمل بموجب التعاليم التي نسمعها بالمواعظ والارشادات أو بالقراءات الروحية.

العاطفة الروحية هي عبارة القديس أوغسطينس : ((خف أن تخسر هذه النعمة المارة بك)).

التأمل للصباح

لنسجد ليسوع الذي انفرد في البرية أربعين يوماً صائماً قانتاً، يدعونا بذلك أن نعيش عيشة أفضل في هذه الأيام الخلاصية التي نقيم فيها تذكار صيامه المقدس. فنخجل لأننا حتى اليوم لم نجب الى دعوته المنطوية على تقديس نفوسنا. ولنستمد منه النعمة لكي نستفيد منها في مدة النصف الثاني من الصوم المبارك.

حسبنا للوقوف على ذلك أن نفتكر في ما كان يجب علينا عمله وفي ما عملناه حتى الآن. فبشأن ما يجب علينا عمله اننا نرتكب غلطاً كبيراً ان افتكرنا في أنه يكفي لخلاصنا أن لا نقترف اثماً كبيراً. لأن ذاك الشاب الذي قد حفظ كل الوصايا كما ذكره الانجيل (متى 19 : 20) أبى أن يسلك طريق الكمال أي الزهد في خيرات الدنيا وبيعها وتوزيعها على المساكين. مما جعل الفادي يقول لتلاميذه متحسراً : ((الحق أقول لكم أنه يعسر على الغني دخول ملكوت السماوات)). وكل ذلك دليل على هلاك هذا الرجل المتشبث بخيرات الدنيا – بل ان الرسل

أنفســـهم قد وقعت بينهم مجادلة في أيهم يُحســـب الأكبر (لو 22 : 24) وهذه محبة ذات لا تتجاوز الخطيئة العرضـية فمع ذلك قال لهم يسـوع : ((ان لم ترجعوا وتصـيروا مثل الصـبيان فلن تدخلوا ملكوت الله)) (متى 18 : 3) – ثم ان أسقف أفسس قد استحق أن يمدحه المخلص على تعبه وغيرته في التبشير لكنه لو تغافل عن تحسين سيرته بطلبه الكمال لما فاز بالخلاص كما ورد عنه في سـفر الرؤيا : ((فاذكر من أين سـقطت وتب واعمل الأعمال الأولى والأفاني آتيك وأزيل منارتك من موضـــعها ان لم تتب)) (2 : 5) أي اني أزيل عنك أنوار نعمتي – فهذه الأمثال تصـرّح لنا بأننا نخدع نفسـنا اذا افتكرنا في أن امتناعنا عن اقتراف الذنوب الكبيرة يكفينا وحده للخلاص. ومن ثم يحرضـنا هامة الرسـل بقوله : ((أيها الأخوة فاجتهدوا بالأحرى أن تجعلوا دعوتكم وانتخابكم ثابتين بالأعمال الصـالحة فإنكم اذا فعلتم ذلك لا تزلُّون أبداً)) (2 بطرس 1 : 10).

فيترتب علينا اذن لكي نخلص نفوسـنا أن نتوق دائماً الى السـيرة الكاملة ونسـعى وراءها كل أيام حياتنا ونســلك بحســبها، لأن ((كل من أعطي كثيراً يُطلب منه كثير ومن أُودع كثيراً يطالب بأكثر)) (لو 12 : 48) فهكذا كان يلزمنا أن نتصـرف مدة نصـف الصـوم الماضـية. فهل قمنا بهذا الفرض؟ هل سـعينا في أمر خلاصـنا وكمالنا؟ هل فهمنا كلام يسـوع : ((كونوا كاملين كما أن أباكم السماوي هو كامل))؟ هل اتخذنا ذلك كنصـيحة أو وصية تلزمنا أن نسعى وراء الكمـال قدر طـاقتنـا وقدر النعمـة التي يمنحنا اياها الرب؟ هل اجتهدنا أن نصـــنع أعمالنا أحسـن من الأمس؟ وأي ثمرة جنيناها من وسـائل الخلاص التي عُرضـت علينا في هذا الصـوم المبارك ســواء كان بالإرشـــادات أو بالمواعظ أو بالقراءات الروحية أو النصـــائح أو الأمثال الصــالحة أو الخواطر الحسـنة أو الحركات التقوية أو النعم السـماوية باطناً و ظاهراً؟ أجل اننا مقصـرون في ذلك. فلنبك اذن على توانينا لأننا حتى الآن لم نعمل ما كان يجب علينا من السير في سبيل التقوى الراهنة.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 343).

الأحد الخامس من الصوم الكبير

الانجيل من القديس يوحنا (6 : 1 -15)

((بعد ذلك انطلق يسـوع الى عبر الجليل وهو بحر طبرية. وتبعه جمع كثير لأنهم كانوا يعاينون الآيات التي يصـنعها في المرضـى. فصـعد يسـوع الى الجبل وجلس هناك مع تلاميذه. وكان الفصـح عيد اليهود قد قرب. فرفع يسـوع عينيه فرأى جمعاً كثيراً مُقبلاً اليه فقال لفيلبس : من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء؟ وانما قال هذا ليجربه لعلمه بما سـيصـنع : فأجابه فيلبس : انه لا يكفيهم خبز بمئتي دينار حتى ينال كل واحد منهم شـيئاً يسـيراً. فقال له واحد من تلاميذه وهو اندراوس أخو سـمعان بطرس : ان ههنا غلاماً معه خمسـة أرغفة من الشـعير وسـمكتان. ولكن ما هذه لهذا العدد من الناس؟ فقال يسـوع : مُروا الناس بأن يتكئوا. وكان في الموضـع عشـب كثير. فاتكأ الرجال وكان عددهم نحو خمسـة آلاف. وأخذ يسـوع الأرغفة وشـكر وقسـم على المتكئين وكذلك السـمكتين على قدر ما شـاءوا. فلما شـبعوا قال لتلاميذه : اجمعوا ما فضـل من الكسـر لئلا يضـيع شـيء منها. فجمعوا فملأوا اثنتي عشـرة قفة من الكسـر التي فضـلت عن الآكلين من خمسـة أرغفة الشـعير. فلما عاين الناس الآية التي عملها يسـوع قالوا : في الحقيقة هذا هو النبي الآتي الى العالم. واذ علم يسـوع أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ويقيموه ملكاً انصرف الى الجبل وحده.

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً : 1 في جودة يسـوع بتكثيره الخبز المادي المغذي الأجسـاد. 2 في جودته العظمى بتكثيره الخبز الافخارستي المغذي النفوس.

فنقصـد 1 أن نتناول كل أكلاتنا بعاطفة شـكر عظيمة للعناية الالهية التي تمن علينا بهذه الأطعمة. 2 أن نكرم سر الافخارستيا بتناولات حارة ومتواترة وبزيارات للقربان الأقدس معينة في أوقاتها وخشوعية تقوية.

العاطفة الروحية هي عبارة المرنم : ((صـالح الله لإسـرائيل للأطهار القلوب)) (مز 72 : 1).

التأمل للصباح

لنسجد ليسوع المسيح المتحنن على الشعب الذي كان يتبعه في البرية. فإن قلبه المملوء حناناً وشفقة تأثر وسدّ حاجات هذا الشعب بأعجوبة باهرة. ولنؤدّ سجودنا لجودته التي تظهر أعظم جداً بكثير اذ تكرّم علينا بسر الافخارستيا لسدّ حاجات نفوسنا. فكم يستحق لذلك كل اكرامنا ومحبتنا!

القسم الأول

في جودة يسوع المسيح بتكثيره الخبز المادي المغذي الأجساد

ان تكثير يسوع للخمسة الأرغفة والسمكتين حتى جعلها تكفي لتشبع خمسة آلاف نسمة وتفضل منها اثنتا عشرة قفة من الكسر لأعجوبة عظيمة باهرة لا ريب فيها. حتى أن الناس لما عاينوا هذه الآية أرادوا بكل حق وصواب أن ينادوا به ملكاً عليهم ويلازموه كل أيام حياتهم. على أن يسوع ما برح كل الأيام ولن يزال الى منتهى الدهر يجدد مثل هذه الأعجوبة بل أعظم منها جداً اذ أنه يكثر سنوياً الحبوب والثمار لتغذية جميع البشر ولا يهب لهم ما هو ضروري منها فقط بل ما يفيد ويلذ أيضاً. أجل ان الله جل جلاله هو الذي في كل سنة يجعل المزروعات تنبت وتنمو وتنضج وتكفي لسدّ جميع الحاجات في كل أقطار الأرض. وهذه الأعجوبة الباهرة قلما يراها البشر الناكرو الجميل وقلّ من ينتبه اليها أو يعتبرها أو يؤدي الشكر للعزة الصمدية عليها بقلب طيب جذل. لا بل نرى كثيرين من البشر يستعملون هذه الخيرات لأجل اهانته تعالى. ومع ذلك يحبهم الله ويتفضل عليهم فيرسل الندى والحرارة الى حقول الأشرار كما يرسلهما الى حقول الأبرار. فيا لكرمه العميم! ويا لجوده الوافر! ويا لعنايته الأبوية! ما أكثر ما يجب علينا أن نحبه ونباركه ونشكره دائماً!

القسم الثاني

في جودة يسوع العظمى بتكثيره خبز الافخارستيا المغذي نفوسنا

ان في هذا السـر العظيم كثيراً من العجائب الباهرة. فإن يسـوع فيه يكثر وجوده بقدر ما في أماكن العالم المختلفة من هياكل يقدس فيها الكهنة، وبقدر ما يُحفظ في جميع بيوت القربان من البرشـان أو القطع المقدسـة، وبقدر ما في كل من هذه القطع من الأجزاء الصـغيرة الدقيقة. ثم ان يسوع حاضر في جميع الأزمنة والأمكنة فوق المذابح عند اقامة القداس، وبعده أيضاً في كل بيوت القربان ولو تركوه مهملاً، وحيداً، محتقراً، معرضـــاً للازدراء والاهانة والتدنيس، وهو في أثناء ذلك يصـــلي ويقدم ذاته ضـــحية لأجل كل البشـــر الذين يقابلون محبته بمثل هذه الإساءات اليه. ثم يسمح أن يتناوله كل الذين يدنون منه ولو غير مستحقين، وأن يُحمل الى كل المرضـــى الراغبين في تناوله ولو كانوا في أحقر الأكواخ. ثم ان يسـوع في هذا السـر يرحب بكل من يأتي اليه، ويســمع لكل من يخاطبه فيدعو الحزانى ليعزيهم، والضـــعفاء ليقويهم، وهو مســتعد لقبول الجميع ليل نهار، ومســرور بقبول زائريه. ويُعد جميع نعمه لمن يريد أن يقبلها. فهل من حب أعظم من هذا؟ وبإزاء هذه المعجزات العظيمة بماذا ينطق قلبنا بســوى الحب والتمجيد للاله الذي قد أحب البشر هكذا؟ وماذا ينوي سوى أن يقبل يسوع مراراً وبتقوى؟ فإن رغبته هي أن يعطينا ذاته. فلتكن أقصى رغائبنا وأمانينا في أن نعطيه ذاتنا.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 346).

الاثنين الخامس من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نستأنف غداً تأملاتنا في دواعي التوبة ونرى : 1 أضرار الخطيئة العرضية. 2 أضرار الخطيئة المميتة.

ونقصد 1 أن نكره أقل الخطايا ونتضع أمام الله لكثرة ما اقترفنا في حياتنا الماضية من الآثام 2 أن نهرب من أحقر الأسباب للخطيئة هربنا من الطاعون. وأن نحذر من ذواتنا ونسهر ونصلي لئلا نسقط فيما بعد.

العاطفة الروحية هي قول العشار : ((اللهم ارحمني أنا الخاطئ)) (لو 18 : 13).

التأمل للصباح

لنسجد ليسوع المسيح مثخناً بالجراح ومعلقاً على الصليب لأجل خطايانا. فذنوبنا هي التي عذبته وأماتته، ونحن القتلة. فيا أيها الاله الذبيح، اني أسجد لك وأحبك وأبكي على كبريائي التي كللتك بالشوك، وعلى رخاوتي التي مزقت كل أعضائك، وعلى محبة استقلالي الذي سمرك على الصليب. فيا أيها المصلوب الالهي، ضع في قلبي بغضاً شديداً للخطيئة التي لم يتم اصلاحها إلا بموتك، وهب لي أن أفهم تفاقم الشرور التي تسببها لي.

القسم الأول

في أضرار الخطيئة العرضية

يتعذر علينا وصف الشرور و الأضرار التي تسببها لنا الخطيئة العرضية. فإنها في الحياة الأخرى، ان لم نكفر عنها، تبعد عنا أفراح الفردوس مدة ربما تكون أعواماً كثيرة وتجرّ الينا بدلها عقابات مخيفة. ثم انها بعد التكفير عنها تحرمنا مدى الأبدية درجة من المجد والسعادة كنا قد حصلنا عليها لو كنا فعلنا عوضها فعل الفضيلة المضاد لها. ثم انها في هذه الحياة الدنيا تجعل صداقتنا مع الله فاترة وتقلل نعمه الضرورية لإنعاشنا، وتضعف فينا روح الايمان وشواعر الحقائق الدينية، وتنزع من نفسنا لذة التقوى وأفراح الروح القدس وعذوبة البرارة. فتفشل ارادتنا وتميل الى الشر أكثر فأكثر ويزول نخس الضمير ويتبدد الانتباه فنسقط من ثم في خطايا أكبر تكون دائماً نتيجة ذاك التراخي. ومتى أمست عادةً في آخر الأمر جعلت النفس في حالة من الشقاء تفوق شقاء الموت، وهي الفتور الذي هو شر عظيم، ومن صفاته الجوهرية ارتكاب الخطأ العرضي على سبيل العادة. فيا الهي ما أعظم الأضرار التي تجرّها علينا الخطيئة العرضية! ومع ذلك قلما احذرها وأرتكبها بسهولة. فيا ربي هب لي أن أمقتها وأكرهها الى الأبد.

القسم الثاني

في أضرار الخطيئة المميتة

1 ان الخطيئة المميتة تخسرنا صداقة الله وتسخطه علينا. فقبل سقوطنا فيها نكون أولاداً له أعزاء وهياكل لسكناه وسبباً لسروره، ونرفع الى السماء ألحاظاً مملوءة ثقة ورجاءً لأننا نشاهد فيها أباً رحيماً عطوفاً ينظر الينا بعين المحبة، لكننا بعد اقترافنا هذا الإثم الفظيع نتغير ونتبدل فنقع في مهواة الشقاء ونستعبد للشيطان ونمسي أبناء الغضب والنقمة واللعنة. ولا يعود لنا في السماء سوى قاضٍ عنيف يهددنا بصواعق سخطه المرعبة. فيا ليتنا افتكرنا قليلاً في شقانا هذا.

2 ان الخطيئة المميتة تحرمنا سلامة الضمير وراحة القلب وتزعجنا بالتوبيخ الباطني. فإننا لما كنا أبراراً كنا سعداء، متمتعين في الداخل بسلام تام، كان يظهر في الخارج بالبهجة الطيبة المحبوبة الدالة على سعادة القلب النقي. لكننا لما ارتكبنا الخطيئة المميتة خسرنا السلام واستحوذ علينا القلق والاضطراب وتبكيت الضمير والغم والانزعاج أينما كان. فيا الهي انك قد خلقتنا لأجلك، وخارجاً عنك لا نجد سلاماً ولا سعادة.

ان الخطيئة المميتة تسلبنا كل استحقاقاتنا وتلقينا عراة في فقر مدقع وتجعلنا ما دمنا متشبثين بها غير قادرين أن نكسب استحقاقاً جديداً.

4 ان الخطيئة المميتة تنزع منا السماء وتجلب علينا عقاب جهنم. فما دام الانسان موثقاً بسلاسل الخطيئة فلا سبيل له أن يجلس في السماء مع الملائكة والقديسين ومريم العذراء والسيد المسيح، ولا أن يتمتع بالله سبحانه. بل تكون جهنم مسكنه الوحيد وتتهيأ الابالسة لتقبض على نفسه حين حلول الأجل وتلقيها في دركات الهلاك. فيا لها من حالة مرعبة يا الهي! فها قد بلغت الى حافة جهنم! ها هوذا صوت الغضب يناديني كالصاعقة! ويلي. يا لجسارتي وقحتي! ويا لحماقتي وسخافتي! رحمة وعفواً يا الهي! ارثِ لحالي واشفق علي! اني أبكي على خطيئتي وأبغضها بكل نفسي.

العاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (348).

الثلاثاء الخامسة من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في القصـد الثابت الذي هو جزء جوهري من الندامة فنرى : 1 ما هو القصـد الثابت وضرورته. 2 صفاته.

ونقصـد 1 أن نحيد بكل وسـعنا عن كل سـبب داع الى الخطيئة 2 أن لا نهمل ولا وسـيلة لنحسن سيرتنا مهما كلفنا الأمر من التضحيات أو المشقات.

العـاطفـة الروحيـة هي عبـارة المرنم : ((أقســـمت وســـأنجز أن أحفظ أحكام عدلك)) (مز 118 : 106).

التأمل للصباح

لنسـجد لروح الله القدوس الذي ألهم القديسـين في العهدين القديم والجديد أن ينشـئوا قصـداً فعَّالاً وثابتاً لكي يبلغوا الى حياة كاملة. فداود هتف : ((أقســـمت أن أبغض الخطيئة وســـأنجز وعـدي بحفظ أحكـام الله لأني أبغضـــت الأثمـة وأحببت شـــريعتك)) (مز 118 : 113) وبطرس الرسـول بكى بكاءً مراً على خطيئته وكفَّر عنها بحياة مفعمة قداسـة وغيرة. والمجدلية بدلت نيران شـهواتها بنيران محبة يسوع. والشـهداء أيّدوا أنهم لن يعدلوا عن مقاصدهم الصـالحة مهمـا كلفتهم خدمة الله من العذابات. فلنمدح الروح القدس الملهم هذه المقاصـــد الســـامية لهذه النفوس العظيمة. ولنؤدّ له لأجل ذلك فروض شكرنا واكرامنا وعبادتنا.

القسم الأول

في ما هو القصد الثابت وضرورته

ان القصـــد الثابت يختلف عن التمنيات الفارغة التي ملأت جهنم، وعن الرغبات العقيمة التي لا تغير حالة الانسـان الأثيم. فإنه عزم قوي فعال يتناول اصـلاح السـيرة إصـلاحاً راهناً مهما كلف ذلك من المشـــقة. ويتطلب من صـــاحبه أن يزداد فضـــيلة مهما لاقى من الأتعاب والعذاب ومعاكســة الطبيعة. فالنفس حين تقصــد قصــداً ثابتاً تقول بثبات وطيد : اني أريد بكل قلبي وأقصـد العمل بكل نشـاط، وأفضـل خسـارة كل شـيء ومكابدة كل إهانة على الرجوع الى الخطيئة. فالقصد هذا والندامة الحقيقية مرتبطان متلازمان لا يمكن أن يكون هو بدونها ولا هي بدونه، فلا يمكن أن ينفصـلا. لأن التوجع الثابت على ما سلف يشـمل حتماً الإرادة الفعالة بعمل ما يضـاد ذاك السـالف. وأسباب الندامة هي أسباب هذا القصد عينها. بحيث انه بدون هذا القصد لا يمكن أن تكون ندامة حقيقية ولا سر توبة ولا تبرير. فالله لا يغفر الخطيئة للإنسان إلا بشرط أن يقصـد أن لا يعود اليها. ليت شـعري كم من مرة اعترفنا بغير أن نقصـد القصـد الوطيد بعدم الرجوع الى الخطيئة وبإصلاح ذواتنا. هذا هو السبب لعدم تقدمنا في الفضيلة.

القسم الثاني

في صفات القصد الثابت

ان القصـــد الوطيد يجب أن يكون كالتوبة : أولاً عمومياً أي شـــاملاً جميع الخطايا بلا اسـتثناء. لأن الله في مثل هذا الأمر لا يقبل تقسـماً وتجزئة. قال يعقوب الرسـول : ((من حفظ الناموس كله وعثر في أمر واحد فقد صـار مجزماً في الكل)) (2 : 10). ويجب ان يشـمل القصـد الثابت خصـوصـاً الخطايا العادية التي يتشـبث بها القلب أكثر من غيرها ويسـتسـهل اقترافها بلا مقاومـة، بل قد يســتفرص الفرص لارتكابها. فإلى هذه الجهـة يجب أن نوجـه خصوصاً للقصد الثابت.

ثانياً : يجب أن يكون القصـد سـامياً أي فائقاً كل تعلق أرضـي وأقوى من كل صـعوبة، بحيث يجعلنا نقطع العلاقات ونذلل الصـعوبات خدمة لله لأن له سـبحانه وتعالى أن يفضَّـل على كل ما سواه : ذلك حق له مقدس.

ثالثاً : يجب أن يكون القصـد الثابت فعَّالاً أي أن يشـتمل على الوسـائل للبلوغ الى الغاية المبتغاة. والوسـيلة الأولى هي الصـلاة لأنها مجرى النعم وبدونها لا يمكننا أن نصـنع شـيئاً.

الوسيلة الثانية هي الانتباه والسهر على ما نقوله وما نفعله وما نسمعه وما نراه وعلى أفكارنا ونياتنا وهفواتنا الاعتيادية ولاسيما على ملكاتنا الردية الوسيلة الثالثة هي الإماتة التي تستطيع وحدها أن تردّ طبيعتنا الرديئة الى السبيل القويم وتقمع طيشها وتقتل الشهوة بحبسها عما تطلبه.

رابعاً : يجب ان يكون القصد ثابتاً اذ لا يفيدنا أن نقصد الخير الى وقت. بل يجب ان نقصده على الدوام. فمن منع عن الله تعالى دقيقة واحدة من حياته لا يمكنه أن يرضيه. فلنفحص ضميرنا لنرى هل انطوى قصدنا على العلامات الأربع المذكورة.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 351).

الأربعاء الخامسة من الصوم الكبير

نتأمل غداً في الاعتراف أو الاقرار بالخطايا. ونرى أنه يجب أن يكون : 1 متضعاً. 2 صادقاً. 3 كاملاً.

فنقصد أن تكون اعترافاتنا كلها متصفة بالاتضاع والصدق والكمال.

العاطفة الروحية هي عبارة الحكيم : ((لا تستحي أن تعترف بخطاياك)) (سيراخ 4 : 31)

التأمل للصباح

لنسجد لسيدنا يسوع المسيح الذي حملته محبته السامية أن يرسم لنا سر التوبة. ولنشكره على هذا السر الثمين فإنه مغسلٌ مقدس يطهرنا من ادران الخطيئة، وقناة الهية تجري بها الينا النعم السماوية، ومدرسة نسمع فيها نصائح الحكمة ونتشجع على عمل الخير، وأقوى وسيلة لإصلاح نقائصنا وتقدمنا في طريق الفضيلة. فعسى أن نحسن استعمال هذا الاختراع الفريد الذي أبدعه لأجلنا الحب الالهي العظيم.

القسم الأول

في أنه يجب أن يكون اعترافنا متضعاً

يلزم كلاً منا أن يتقدم الى الكاهن وهو غارق في بحار الاحترام والخجل : كخاطئ أمام ملاك الله وأمام يسوع المسيح. أو كمريض موعب حروقاً أمام طبيب قدير على شفائه ان كشفت له كلها كما هي. أو كمجرم الى الغرة الالهية ومستوجب السجن الجهنمي أمام رب عزيز جبار وقاضٍ عادل قهار بيده علينا حكم الحياة والموت الأبدي. واذ كنا لا نستطيع أن ننال شيئاً من باب العدل بل من باب الرحمة والرأفة فقط وجب علينا أن لا ندنو من منبر التوبة إلا بأعمق الاتضاع في الباطن والظاهر، مقرين بخطايانا بتذلل وقلب كسير غير معتذرين كمن يتملص من الذنب والخجل التابع له، بل مشتكين على نفسنا ببساطة من غير محاولة أن نخفف من جرمنا ونجعل السامع يظن أن اثمنا أقل مما هو أمام الله. ويجب أن نعترف أخيراً بحشمة ونحيب وانسحاق على آثامنا، خائفين من أحكام الله العادلة أكثر من أحكام البشر. فهل اعترفنا باتضاع هكذا؟

القسم الثاني

في أن اعترافنا يجب أن يكون صادقاً

يراد بالاعتراف الصادق الإقرار بالخطايا بكل سذاجة وبساطة كما نعرفها ونتذكرها. ولا نضطرب ان نسينا شيئاً منها لأن هذا النسيان لا يُعد ذنباً عند الله. وينبغي أن لا نبالغ فيها أو نزيدها بحجة أن اقرارنا بأكثر مما نحن عليه من الذنوب أفضل من الإقرار بالأقل. فليس من الحكمة أن يبالغ المريض في وصف علته للطبيب. وأقبح من ذلك أن نستر خطايانا حاجبين اياها بشكايات طفيفة ليس فيها كبير انزعاج لنا ومسرعين بخفة في الشكايات التي تزعجنا بالأكثر بقصد أن لا ينتبه اليها المعرف أو لا يسمعها، ثم اننا ولو قلنا خطايانا كما هي يقبح بنا أن نعتذر عنها أو نخففها بإلقاء تبعتها على الغير، فهذا ينافي الصدق والاستقامة. أما غاية القبح والشر في ذلك فهو اخفاء الخطيئة بسبب خجل رديء. فهذا يحوّل سر الرحمة الى نقمة هائلة،

وعمل الخلاص الى عمل هلاك، والحكم بالحياة الى حكم بالموت. فعدم الاعتراف أولى بألف مرة من الاعتراف على هذه الصورة، لأنه من المستحيل أن يُخدع الله كما يُخدع الانسان لأنه تعالى فاحص القلوب والكلى. فهل اعترفنا بخطايانا بدون كتم شيء منها ولا اعتذار ولا تصنع بل ببساطة وسذاجة وصدق؟ هل اعترفنا بالأشياء على جليتها كما نعرفها بدون زيادة ولا نقصان وبطريقة واضحة يفهمها معلم الاعتراف جيداً؟

القسم الثالث

في أن اعترافنا يجب أن يكون كاملاً

لا يكفينا لذلك أن نعترف بالخطايا المميتة. بل يجب : 1 أن نصرح بعددها، ونبيّن ظروفها التي تزيدها شراً أو تغير نوعها، وأن نوضح نتائجها أو عواقبها السيئة : مثلاً هل صدر عنها شكوك. لأن ظروفاً كهذه يفتقر الى الوقوف عليها معلم الاعتراف كي يعرف ضمير المعترف ويحكم عليه بما يجب ويصف له الدواء الملائم.

ينبغي 1 أن نقر بخطايانا العرضية ولو لم يكن ذلك من باب وصية ثقيلة، الا أنه يهمنا جداً أن نفعله : أولاً لأن عدم الإقرار بخطيئة نشك في كونها مميتة أو عرضية انما هو خطيئة نفاق تنتهك القدسيات. وكثيراً ما يحدث مثل هذا الشك. وثانياً لأن معرفنا، ان لم يطلع تماماً على أحوال نفسنا، لا يمكنه أن يرشدنا كما يجب ويصف لنا الأدوية الملائمة لإصلاحنا ويدرّبنا في طريق الحياة المسيحية واستئصال النقائص واكتساب الفضائل. وثالثاً لأن الاعتراف بالخطايا العرضية يجعلنا ننتبه اليها أكثر ونجتهد في الاقلاع عنها فنتوصل بمساعدة النعمة وقوة السر ونصائح المعرف والخجل من الإقرار بها الى اصلاح نفسنا. فهل أتممنا كل ذلك في اعترافاتنا؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 354).

الخميس الخامس من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في الشــرط الثالث للاعتراف وهو الوفاء. فنرى : 1 أهمية الوفاء. 2 امتداده. 3 كيفية تتميمه.

ونقصـــد : 1 أن نوفي قانون الاعتراف دائماً في أســـرع ما يكون بعد الاعتراف 2 أن نحتمل بصبر جميع المحن التي يرسلها الله الينا ونضيف اليها بعض إماتات اختيارية.

العاطفة الروحية هي قول المجمع التريدنتيني : ((كل الحياة المســـيحية يجب أن تكون وفاء متواصلاً)).

التأمل للصباح

لنسـجد ليسـوع المسـيح مكفراً عن خطايانا وعائشـاً لذلك عيشـة كلها آلام : فإنه ولد في أقصـى فقر وعاش بتعب متواصـل ومات بأمرّ العذاب. فيا للمثل العظيم الذي يقدمه لنا يسـوع للتكفير عن آثامنا. فسبيلنا أن نقتدي به مجتهدين أن نكفر للعدل الالهي عما فرط منا من الخطايا والمعاصي ونعوض عنها بحياة ممتلئة فضلاً ووفاءً كاملاً.

القسم الأول

في أهمية الوفاء عن الخطايا حتى بعد مغفرتها

ان كل خطيئة تسـتوجب قصـاصـاً وكل إهانة تتطلب تعويضـاً. فالخطيئة التي تسـتوجب العقاب الأبدي قد تبدل عقابها بعقاب زمني بواسـطة سـر التوبة. وهذا أمر عادل لأنه ليس من العدل ان الاله المتأنس يكابد أهول آلام الموت تعويضـاً عن الخطيئة وهو عين البرارة ويحصل المذنب على فوائد موته واستحقاقه بغير أن يشترك في هذا الوفاء أو التكفير. والكنيسة المقدسة

تعلمنا ذلك اذ تسمي التوبة معمودية متعبة لا تبرر النفس الا بشرط أن يصحبها كثير من البكاء والاحتمال. فعلى هذه الصورة يغفر لنا الله الخطيئة بجوده السامي ولكنه بعدله يطالبنا بالتعويض عنها. وهذا التعويض غير كافٍ ان أصدره الانسان وحده ولكنه يضحي كافياً مقبولاً اذا اتحد باستحقاقات الفادي وتعويضه. فبهذا الاتحاد يرتضي العدل والرحمة بالوفاء ويقبلان التعويض من الانسان لاشتراكه في تعويض السيد المسيح الاله والانسان معاً. فلنبارك اذن الحكمة الالهية التي وفَّقت بين العدل والرحمة.

القسم الثاني

في امتداد الوفاء الواجب عن الخطايا المغفورة

ان معلم الاعتراف اذا فرض عادة على التائب قانوناً خفيفاً فما ذاك الا لخوفه من أن التائب يفشل ويضعف ويستثقل القانون القاسي الذي يستحقه. أما ما يقتضيه العدل والصواب من التكفير فهو أكثر من ذلك بكثير. قال المجمع التريدنتيني : ان حياة المسيحي يجب أن تكون كلها بمثابة تكفير متواصل. والآباء القديسون كانوا يخصصون حياتهم كلها بالتوبة والصبر والوفاء بعد حصولهم على غفران خطاياهم. ثم ان النفوس المطهرية مع حصولها على المغفرة مدة الحياة، تكابد في المطهر عذابات هائلة لا تقابلها في شيء عذابات هذه الدنيا مهما تفاقمت، ذلك لتكفر عما تبقى عليها من فروض التعويض. فيا له عدلاً قاسياً يستعمل القصاص بكل حق وصواب. فلنؤدّ اليوم ما يترتب علينا من التعويض ان كنا نحب خير نفسنا، والا تعذر علينا أن نتملص منه في الحياة الآتية.

القسم الثالث

في كيفية تتميم الوفاء لله عن الخطايا

1 يجب أن نكمل القانون الذي يفرضه علينا معلم الاعتراف بكل تدقيق. وبما أنه جزء مكمل لهذا السر العظيم نكتسب نعماً خصوصية منوطة بهذا الوفاء. فإذا أهملناه قطعنا جزءاً

من السر وجرحنا بذلك مخلصنا. وان أجَّلناه أجَّلنا اكتساب مفاعيله واستحقاقاته التي تساعدنا على اصلاح سلوكنا واستسهلنا ارتكاب الخطايا العرضية التي تتخلل الاعتراف ووفاء الكفارة المفروضة. وأخيراً نخسر الغاية التي لأجلها نقبل سر التوبة : وهي إما وقايتنا من الرجوع الى الخطيئة، أو الدواء الشافي لمرضنا، أو استعمال الوسائل لتقديس بعض الأعياد.

2 يجب أن نقبل القانون باتضاع واحترام وطاعة كأنه مفروض من يسوع المسيح نفسه في شخص الكاهن نائبه، ونعتبره كأنه لا يساوي ما نستحقه من العقاب، ونتمه بكل عبادة وخشوع قاصدين إصلاح السيرة الماضية.

3 ينبغي أن نضيف الى هذا القانون السري قانوناً آخر وهو احتمال مشقات الحياة والأمراض وتقلبات الفصول المزعجة وكل ما يعترضنا من المعاكسات ونقائص القريب متقبلين ذلك بروح التوبة.

4 يلزمنا أن نكفر بملذات الجسد والشهوات والمسرات المخطرة والرغبات العالمية والإرادة الذاتية وذلك بروح التوبة والتكفير عن الخطايا. وأن نبتهج بإتمام فروضنا ولا نكترث لشيء آخر ونعدل عن الأطايب ونتركها للنفوس البارة التقية. فهل مارسنا هذه الأنواع الأربعة من التكفير للعدل الالهي؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 357).

الجمعة الخامسة من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في عيد دم يسوع الثمين الذي تحتفل به الكنيسة الرومانية فنرى : 1 وجوب الشكر ليسوع على سفكه دمه الثمين حباً لخلاصنا. 2 النتائج الخلاصية الفعالة الناتجة لنا من هذه الموهبة العظيمة.

ونقصد : 1 أن نزداد حباً ليسوع الذي أحبنا الى الغاية ونخدمه بأكثر نشاط وتضحية 2 أن نتكل على استحقاقات دمه ولا ندع نفسنا في الفشل والقنوط والتراخي.

العاطفة الروحية هي عبارة يوحنا الحبيب : ((أحبنا وغســـلنا بدمه من خطايانا)) (رؤيا 1 : 5).

التأمل للصباح

لنسجد للسيد المسيح سافكاً لأجلنا دمه كله الى آخر قطرة. ولنشكر له هذه الموهبة الفائقة. ولنحبه لأجل حبه هذا لنا. ونتوسل اليه أن يهب لنا نعمة لكي نستفيد من ذلك أعظم فائدة.

القسم الأول

في وجوب الشكر ليسوع على سفكه دمه لأجلنا

من قدم ثروته كلها لأحد البشر كان عمله هذا عظيماً خصوصاً اذا كانت الثروة مهمة. فما قولنا في عطية ابن الله الذي قدم لنا دمه وســـفكه كله لأجلنا. أجل ان الحب يتجلى ههنا بأسمى درجاته وأقصـــى حدوده. فلنتأمل 1 في ثمن هذا الدم : فإنه يفوق كل شـــيء وقيمته لا تقدر البتة. وهذا الدم يقدمه الله ذاته في كل ذبيحة تقرب للعزة الربانية. وان جلاله هذا الكاهن الاله المقرب دم الاله الذبيح تولي ذلك الدم ثمناً جديداً لا نهاية له – 2 ان هذا الدم هو ذو مفاعيل عجيبة عظيمة : فانه يطفئ نار الغضـــب الالهي المشـــتعلة بســـبب خطايانا، فهو هو الضحية الوفائية، وهو ثمن افتدائنا، وهو المطهر المنقي الضمير، وهو ختم السلام بين السماء والأرض ((ليصالح به الجميع لنفسه مسالماً بدم صليبه ما على الأرض وما في السماوات)) (كولسي 1 : 20)، وهو يفتح لنا باب السماء ويغلق تجاهنا باب الجحيم، وهو الذي لا يطالب بالانتقام كدم هابيل بل يريد الرحمة 3 ان هذا الدم الذي يفوق كل ثمن قد وُهب لنا بكرم لا نظير له : فاذ كانت قطرة واحدة منه كافية لتمحو خطايا ألوف من العوالم قد سفك يسوع لأجلنا دمه كله ووهبه لمن سبق فعرف أنهم لن يقدروا عطيته ولن يستفيدوا منها. سفكه وقت ختانته، ثم حين نزاعه في بســـتان الزيتون حيث عرق دماً، ولما جُلد وكُلّل بالشـــوك وصُـــلب وطُعن بالحربة. ولا يزال يقدم هذا الدم كل يوم في الذبيحة المقدســـة التي تقام من أقصـــى الأرض الى أقصـــاها. ويمنحنا هذا الدم بواســـطة التناول المقدس. ويصـــونه لنا في كل بيوت القربان. ولا

ينقطع هناك عن أن يشــفع فينا ويطلب لنا الرحمة. أخيراً يمنحنا اســتحقاقات هذا الدم في جميع الأســرار التي انما هي نظير الأقنية حيث يجري هذا الدم الالهي الى نفوســنا. فلنؤدّ اذن حميم الشكر الى يسوع على سخائه ومنحه ايانا دمه الثمين نحن الخطأة الأذلاء.

القسم الثاني

في النتائج الخلاصية الناجمة لنا من هذا الدم الالهي

1 انه يدفعنا الى خدمة يسـوع بسـخاء. فعندما نرى الله ذاته يمنحنا دمه هل نُعذَر نحن اذا أبينا عليه ذبيحة ارادتنا وأعمالنا ومسراتنا؟ وحينما نحمل في صـدرونا دم يسـوع المسـيح يتحتم علينا أن يكون فينا كرم هذا الدم وروحه السخي وعواطفه السامية التي أوضـحها لنا في ذبيحته – 2 يدعونا الى اكرامه بحضــورنا القداس مراراً بعبادة وبقبولنا الأســرار وبمطاوعتنا النعم الباطنيـة والخـارجيـة التي إنما هي ثمرة هذا الدم الزكي. وبتقدمتنا مراراً أعمالنا وقلبنا شــكراً ليسوع الذي منحنا هذا الدم الالهي – 3 يحملنا على أن نثق ثقة لا حدّ لها باستحقاقاته. ان الذين يجهلون قيمة دم الفادي يضــطربون ولا يثقون. أما نحن العارفين من الايمان أن يســوع منحنا استحقاقات دمه كلها وخوّلنا أن نكتسبها بالصـلاة وقبول الأسرار وحضـور القداس فلا عذر لنا ان لم نثق ونشـدد رجانا بهذا الدم الخلاصـي، فيجب أن لا نخاف ولا نهلع أبداً والصـليب بيدنا. فليكن هـذا الـدم عليَّ ليرحض ذنوبي ويحفظني من ابليس. فليكن لي هـذا الـدم بمثـابـة دم ذاك الحمل الفصـحي الذي صـان ابكار شـعب الله من الملاك المهلك. ليت شعري هل جنيت مثل هذه الثمار من دم المسيح الفادي؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 360).

السبت الخامس من الصوم الكبير

الخلاصة للعشية

نتـأمل غداً في الارشـــاد الذي هو جزء متمم لفوائد ســـر الاعتراف. فنرى : 1 وجوب استرشاد المعرّف. 2 كيفية هذا الاسترشاد.

ونقصـد 1 أن نسـتشـير معلم الاعتراف في اتخاذ قاعدة لحياتنا وتنظيم أوقاتنا وفي كيفية اصـلاح نقائصنا وممارسة الفضائل وأنواع المبرات والأعمال الصالحة التي توافق حالتنا 2 أن نستشير المعرّف في ما يحدث لنا من المشاكل والإرتيابات.

العـاطفـة الروحيـة هي نصـــيحـة الروح القدس : ((التمس مشـــورة الحكيم دائمـاً)) (طوبيا 4 : 19).

التأمل للصباح

لنســجد للســيد المســيح في تصــرفه مع بولس الرســول بعد اهتدائه. فإنه بدل أن ينيره ويرشده بذاته، أو يتركه وشأنه غائصـاً بالنور السماوي الفائق الطبيعة، أرسله الى مرشد حكيم هو القديس حنانيا. فلنشكر ليسوع تعليمه هذا السامي الذي يرشدنا به صـريحاً أن لا نتكل على فطنتنا بل نستشير دائماً رجلاً حكيماً.

القسم الأول

في وجوب استرشاد المعرّف

قال القديس برنردس : ((ما من أحد يكون لنفسـه قائداً. لأن عقلنا يخدعنا ويغشـنا. بل ان أحكم الحكماء اذا وثق بنفسه ولم يستشر غيره ضلّ سواء السبيل)). فمن اعتبر المعرّف معرّفاً فقط وليس كمرشـد يهديه الطريق القويم في هذه الحياة عرَّض ذاته لخطر الضـلال نظير سـفينة بغير ربان، وضرير بلا دليل، ومريض بلا طبيب.

ولذا قد عوّل الآباء القديســون على اتخاذ مشــورة غيرهم كأنها أفعل وســيلة لحفظهم في طريق الفضيلة. فموسى مثلاً استشار الشيوخ. وداود خضع لمشورة ناتان وجاد النبيين. وبولس

الرسـول أرسـله الى حننيا السـيد المسـيح الذي كان قادراً أن يرشـده ويعلمه. وقد رتبت العناية الالهية أن يستفيد البشر بعضهم من بعض ويتعلق هذا بذاك في الادارة والسلوك.

ثم ان العقل يؤيد ذلك، فكثيراً ما نُخدع في ما يعود الى فروضـــنا وفضـــائلنا وزلاتنا واسـتحقاقنا واقتدارنا. ومن ثم فالجميع يحتاجون الى مرشـد حكيم ليطلع على حالة نفوسـهم بما عنده من نعم وظيفته الكهنوتية ويهديهم ســـواء الســـبيل بنزاهة واخلاص. فلنفحص ذواتنا هل نجري عمليًّا بحسب هذه المبادئ السديدة.

القسم الثاني

في كيفية استرشاد المعرّف

1 يجب أن نعتبر مرشـدنا لا كإنسـان أو حكيم بل كملاك متشـح بحكمة الله وكأنه شـخص يسـوع المسـيح أو كأنه الله ذاته. ولهذا يجب أن نفاوضــه ببســاطة تامة وثقة ثابتة كثقتنا بطبيب محب وصــديق أمين أوفده الله ليقودنا ويهذبنا. وينبغي ان نكشــف له ســرائرنا وكل ما فينا من خير أو شــرّ ونُطلعه على أميالنا ومقاصــدنا وتجاربنا كلها بلا اســتثناء ولا مواربة ولا حيلة نحاول بها أن نســتميل ارادة المرشــد الى رغبتنا وهوانا. ولندع جانباً كل خجل وحياء وكره، وكذلك كل عاطفة فضول أو عجرفة.

2 ينبغي أن نســمع نصــائح المرشــد باحترام وثقة، ونعمل بموجبها بأمانة وتدقيق مهما شعرنا أنها مضادة لفكرنا وطبعنا وارادتنا.

3 ينبغي أن نسـتودع ذاتنا الى تدبيره في كل ما ينوط بخلاصـنا، فنطلق له الحرية التامة ليصـرّح لنا بما يراه، ولا نجادله ولا نماحكه بخصـوص آرائه ونصـائحه بل نقبلها كأنها أفضـل ما يكون لنا. واذا أرتبنا في بعض مسائل فلنعرض عليه هذه الارتيابات بنزاهة وتجرُّد عظيمين حتى اننا سواء كانت فتواه مطابقة أم مخالفة لنا نتبعها على السواء باحترام وخضوع. فهل هذه هي استعداداتنا؟ وهل نسير بموجبها دائماً؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 362).

تأملات

لأعياد القديسين

من شهر تشرين الثاني الى آخر آذار

تأمل أول

لعيد تقدمة العذراء مريم

(في 21 تشرين الثاني)

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في تقدمة العذراء الى الهيكل. فنتعلم منها أن نقدّم لله ذاتنا : 1 بلا تأخير. 2 ولا استثناء. 3 ولا استرجاع.

ونقصد 1 أن نخصص لله غداً ذاتنا كلها لنحبه ونخدمه أكثر مما سلف 2 أن نضحي لما بما يشغلنا عنه بالأكثر.

العاطفة الروحية هي عبارة المرنم : ((يا الهي، لك أنا فخلصـــني)) (مز 118 : 94).

التأمل للصباح

لنسجد للروح القدس ملهماً مريم وهي طفلة بعد أن تترك أهلها وكل ما في بيت أبيها من اللذات العيلية وتعتزل في الهيكل لتعيش عيشـــة كلها لله، وحباً له. فلنهنئ هذه العذراء الطاهرة على مطاوعتها لحركات النعمة. ولنسـرّ معها مبتهجين لدى مشـاهدتنا إياها قديسـة عظيمة مع كونها لا تزال صغيرة السن جداً.

القسم الأول

في أن مريم تعلمنا أن نقدم ذاتنا لله بلا تأخير

كان في هيكل أورشليم أماكن انفراد واعتكاف للأولاد من كلا الجنسين الذين يخصصهم أهلهم لخدمة الرب في هذا الهيكل. وكان يعطي كل من الجنســين ما يوافقه من الأشــغال وما يلائمه من الوظائف كتزيين الهيكل وتنظيف الأواني المقدســة والاعتناء بها. وكان يقام كهنة إجلاء لإدارة شـؤون البنين، ونســاء فضـيلات حكيمات للاهتمام بالبنات. فكانت هذه العيشــة صـورة لعيشـة الرهبان والراهبات في الأديار عندنا حيث تتلألأ أنوار البرارة والقداسـة. فمريم لما كانت في السـنة الثالثة فقط من عمرها طلبت الى والديها أن تعتزل في هذا الهيكل المقدس. فأجابا الى طلبها وأذنا لها في الذهاب الى الهيكل. فبادرت اليه حالاً منقادة لصـــوت العروس السماوي الذي كان يدعوها قائلاً : ((اسمعي يا بنت وانظري وأميلي أذنك. انسي شعبك وبيت أبيك)) (مز 44 : 11). فدخلت اليه مسرورة. فلما شـاهد الملائك هذا المنظر دهشـوا وهتفوا : ((ما اجمل خطواتك يا بنت الأمير)) (نشيد 7 : 1). فقد عاهدت الله عهداً صـريحاً ثابتاً أن تكون كلها له وحده.

في هذا العمل الســني دروس بديعة أولاً للوالدين لكي يربوا أولادهم على التقوى منذ صغرهم، ولا يعارضوهم متى رغبوا في الانضمام الى الاكليرس أو الرهبانية. ثم يجد الأحداث والشـبان في مثال مريم هذا دروسـاً لهم. فإنها تعلمهم أن يخصـصـوا لله تعالى باكورة حياتهم الأرضـية. وكل مسيحي أيضـاً ينبغي له أن يتخذ من مثال مريم العذراء قدوة لكي لا يؤجل الى ما بعد أن يعيش عيشة أفضل. فالقديسون لم يصلوا الى السماء بمثل هذا التواني. ليت شعري هل وعدنا الموت أن يُبقي علينا وينتظرنا الى ((فيما بعد))؟ وهل تصـــير ارادتنا أحســـن استعداداً لعمل الخير بعد ما تكون قد رسخت فيها عادة الشر مدة طويلة؟ وهل نظن أن نعمة الله يتزايد دفقها علينا بقدر ما نســيء اســتعمالها قبلاً؟ فيا للوهم والضــلال المبين! فلنبدأ منذ اليوم بالعيشــة التي نرغب أن نكون فيها عند ســاعة الموت. لأننا حتى الآن يا الهي قد تأخرنا كثيراً لنحبك أيها الجمال الذي لا يزال قديماً وجديداً.

القسم الثاني

في ان مريم بدخولها الى الهيكل تعلمنا أن نقدّم لله

ذاتنا كلها بلا استثناء

لنشاهد اليوم هذه الابنة الصغيرة القديسة الداخلة الى الهيكل. فإنها قد هجرت الدنيا وما فيها وأهلها وما كانت تجد بينهم من الأفراح والمسرات وسائر تنعمات هذه الحياة، لكي تعيش في الهيكل العيشة المشتركة القشفة الضنكة. وتخلت عن ارادتها لكي لا تحيا الا بالطاعة وضحت بحواسها وجسدها لله بنذرها العفة له تعالى. وزهدت في كل ما ليس هو الله لكي تكون كلها لله وحده. وبالجملة انها قد ضحت بكل ما لها، وكل ما فيها، وكل ما تستعطيه. فلنتعلم منها أن نقدم لله ذواتنا كلها بلا استثناء ولا تقسيم. لأننا كلنا خاصة الله وملكه اذ قد خلقنا ثم فدانا بثمن دمه الكريم، وهو لا يريد قلوباً منقسمة بينه وبين غيره. فإذا احتفظنا بشيء منها ولو زهيداً فإنه لا يرضى بها، لأنه يبغض الاختلاس في المحرقة (اشعيا 61 : 8). ما أقل الذين يفهمون هذا التعليم! وما أقل فهمهم له! نقدم لله ذواتنا أجمالاً ونسترجعها بالتفصيل! نقدم له جزءًا ولكن بشرط أن نستبقي لنا جزءًا آخر! نبذل ذاتنا لله لأجل مبرة أو عمل صالح ولكن بشرط أن نحتفظ ببخلنا ومحبتنا الذاتية وارادتنا وطبعنا ورغباتنا الشخصية!!

القسم الثالث

في ان مريم بدخولها الى الهيكل تعلمنا أن نقدّم لله

ذاتنا بلا استرجاع شيء منها

ان مريم بعد ما قدمت نفسها لله ثبتت في تقدمتها هذه كل حياتها ولم ترجع عنها البتة. فلم تحي الا لله ولأجل الله وحده. فيا ما أبعدنا عن التشبه بها وعن نهج منهاجها! اذ أننا وقت الحرارة وفي العبادة نكون كلنا لله، أما وقت الشدة واليبوسة والملل فنتخلى عنه ونصير كلنا لنفسنا. واذا خشينا ((ماذا يقال عنا)) أهملنا ما ابتدأنا به من الخير : فننتقل من القنوت و

العبادة الى التشتت، ومن الحرارة الى الفتور، ومن محبة الله الى حب الذات. فتنقضي حياتنا كلها في التقلب المتواصل ما بين الخير والشر والفضيلة والرذيلة والتوبة والرجوع الى الخطيئة. فنعد ولا نوفي، ونقصد ولا نعمل بموجب قصدنا. فهيهات أن يبلغنا عملنا هذا الى الفضيلة أو الخلاص. لأن

الخلاصة يتطلب منا ارادة راسخة ثابتة بأن نسير دائماً في طريق الواجب ولو غمنا. ففي هذا نجد الخلاص لا في سواه البتة. فلنفحص نفوسنا هل لنا مثل هذه الاستعدادات؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 365).

تأمل ثانٍ

لعيد تقدمة العذراء

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في عيشة مريم في الهيكل فنرى : 1 كيف كانت حياتها مع الله. 2 مع القريب. 3 مع ذاتها.

ونقصد 1 أن نصنع أعمالنا الروحية التقوية بأشد حرارة وأن تكون حياتنا كلها أكثر خشوعاً وتقى 2 أن نعامل القريب بمحبة أفضل من قبل.

العاطفة الروحية هي عبارة القديس امبروسيوس : ((ان حياة مريم كانت كاملة جداً حتى أنها تصلح أن تكون دستوراً للجميع)).

التأمل للصباح

لننتقل بالروح الى هيكل أورشليم حيث نرى مريم بعدما خصصت ذاتها للرب قد عوّلت على المكث في الهيكل لتعيش عيشة سماوية. فلنمجد الروح الالهي الذي قدسها هناك. ولنسأله أن يفهمنا شيئاً من ذا المثال السامي، ويهب لنا النعمة لنتشبه به بعض التشبه.

القسم الأول

كيف عاشت مريم في الهيكل مع الله

نقصر في واجباتنا لله بأمرين: النسيان وقلة الاحترام. أما مريم في الهيكل فكانت بخلاف ذلك : لأن الله وحده هناك شغل كل أفكارها وملأ قلبها وعواطفها، حتى ان العالم كله أصبح لديها كلا شيء، بل أضحى بالحري كدرجات ترتقي بها الى الله سبحانه. فكانت تكرم الله في شخص رؤسائها، وتحبه في شخص صواحبها، وتباركه وتسبحه عند تأملها في السماء وفي نضارة النبات وفي جمال الزهور. وفي الجملة جعلت محور أعمالها وأقوالها يدور على ما يخص الله، سواء اشتغلت أم قرأت أم سارت أم تنزهت أم أكلت ام استراحت. ويتعذّر علينا ان نصف عظيم احترامها لله ووفور حشمتها وأدبها الجمّ في جميع حركاتها. ففي صلاتها كانت تمثل باتضاع عميق أمام العظمة الالهية : ((ها أنا أمة الرب)) (لو 1 : 38). وعند ما كانت تحضر تقدمة الذبائح في الهيكل كانت تتأمل في معانيها السرية التي تشير الى أن لله سبحانه السلطان المطلق على حياتنا وموتنا، وان جلاله السامي لا تستحق خليقة ما أن تقف وتحيا أمامه، وان فيه كل خير مشتهى بحيث لا يحتاج الى شيء من تقادمنا. فبمثل هذه الخواطر المقدسة كانت تشغل عقلها وذهنها وقلبها ساجدة خاشعة أمام العزة الربانية. وعند مشاهدتها الذبائح الموسوية غير القادرة أن تكرم الله بقدر ما يستحق كانت تفتكر في المخلص المزمع أن يأتي ليكون ضحية كافية للوفاء والتعويض ولتأدية الاحترام الواجب لله. فسبقت وقدمت للآب السماوي هذه الذبيحة بشواعر سامية من السجود والمديح والحب. تلك كانت عيشة مريم في الهيكل بالنظر الى الله. فلنستفد من مثلها ونتبع آثارها.

القسم الثاني

كيف عاشت مريم في الهيكل مع القريب

ما أجمل معاطاة مريم مع رؤسائها ورفيقاتها! فإنها أدّت الى رؤسائها احتراماً وخضوعاً وطاعة تامة لأوامرهم ومشـــوراتهم ورغائبهم. وأظهرت لرفيقاتها كل حب ولطف ووداعة والتفات. فكانت تحتمل ولا تدع أحداً يتشـــكى منها. كانت تغذر نقائص القريب وتغمض عن العيوب وتغفر الذنوب ولم تتفوه بكلمة مرّة أو ثقيلة. لم تذّم ولم تعاتب ولم تدِن أحداً. بل استأثرت بالوفق والرفق وخضوع الرأي. ولم تعامل أحداً بجفاء وخشونة بل عاشرت الجميع ببساطة وسلامة طوية وبوجه باش وثغر باسم. وأفرغت جهدها في اصطناع المعروف عند الجميع وتقديم الخدمة لهم لا بجودة غريزية بل بمحبة أخوية قلبية حباً لله الذي كانت تحبه وتخدمه في شخص القريب. فأمثالها الطيبة أصبحت كأريج عبق بالهيكل وساكنيه فالتذّوا به وضـــاهوها في تخصـــيص قلوبهم لله. فتصـــرف مريم هذا يعلمنا كيف يجب أن نعامل القريب ونحبه.

القسم الثالث

كيف عاشت مريم نظراً الى ذاتها

قضـــت مريم حياتها في الهيكل بقهر الذات والتواضـــع. فقهرت ذاتها بمقاومتها كل تأنق وترفه ورخاوة ذاتية وكل ارادة خصـــوصـــية وكل حركة طبع منحرفة. وتواضـــعت بشـــهرها الحرب على كل عُجب بالذات وعلى كل ســـرعة تأخر واغتمام وعلى كل ادعاء. فلم تطلب قط هذه الابنة القديسة شيئاً مما يرضيها، بل ما يسر الله ويرضيه، ناسية ذاتها حباً لله والقريب، ومذللة نفســـها اكراماً واحتراماً للقريب كأنها خادمة حقيرة للجميع. فأحبت الجلوس في المكان الأخير، وفضـــلت مصـــلحة القريب على مصـــلحتها، واعتبرت ذاتها غير مســـتحقة لشـــيء، متغاضية عن كل ما يجلب اليها النظر والاجلال والاكرام منصرفة الى الخلوة والزهد. واضعة كل فرحها ومجدها وفخرها في الله وحده. فلنسأل الله جلت جودته أن يمنّ علينا بشيء من قهر الذات والتواضع اللذين زين بهما مريم بنوع سام.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 369).

تأمل

لعيد القديس اندراوس الرسول

(في 30 تشرين الثاني)

الخلاصة للعشية

نعتبر غداً القديس اندراوس : 1 كتلميذ للصـليب. 2 كمبشـر بالصـليب. 3 كشـهيد عن الصليب.

فنقصـد 1 أن نقبل بطيبة نفس جميع الصـلبان التي تأذن العناية الالهية أن تحل بنا 2 أن نصـلب ذاتنا بإماتة ارادتنا بالطاعة، وطبعنا بممارسـة الوداعة، وفضـولنا وشـهواتنا بكبحها وقمعها.

العاطفة الروحية هي عبارة القديس اندراوس عينه : ((أيها الصـليب الكريم فليقبلني بك من فداني بك)).

التأمل للصباح

لنسـجد للسـيد المسـيح داعياً القديس اندراوس الى الرسـالة قبل جميع الرسـل. ولنشـكر للمخلص دعوته هذا السول أولاً. ولنهنئ الرسول نفسه لكونه قد لبَّى هذه الدعوة الالهية بسرعة ومروءة، حتى أضحى للصليب تلميذاً ومبشراً وشهيداً.

القسم الأول

في أن القديس اندراوس تلميذ للصليب

ان صياد السمك هذا المسكين سمع يسوع يعلن قائلاً : من لا يحمل صليبه ولا يكفر بنفسه فلا يستطيع أن يكون لي تلميذاً. فترك حالاً أفكار العالم في ما يخص الضراء والسراء والتعس والسعادة وأحب الصليب واعتنقه ورغب في أن يموت لأجل معلمه. ثم ان يسوع المسيح أنذره بالعذاب والاحتمال والتعب والاضطهاد والسجن والموت صلباً. فهذا الإنذار الذي يخيف كثيرين غيره قد ضاعف فيه الشوق الى قبول كل تلك العذابات لأجله. ولما عوّل الرسل فيما بعد على الانطلاق الى البلاد البعيدة للتبشير اختار بلاداً ينال فيها إكليل الاستشهاد. فحكم عليه هناك بالصلب وسيق الى منقع العذاب. وما كاد يرى الصليب حتى تهلل، كجندي بعد ما خاض شديد المعارك زمناً طويلاً ينظر الى مركبة الانتصار بابتهاج، ثم هتف : ((أيها الصليب الكريم، قد اشتقت اليك منذ امد مديد أحببتك بغرام وطلبتك بإلحاح متواصل. فلقد تمت اليوم رغبتي بمشاهدتي اياك. فأمضي اليك بثقة وابتهاج)). أيها الصليب الجليل الظافر، المضرج بدم إلهي وسيدي، اقبلني بين ذراعيك وضعني بين يدي يسوع الذي فداني بك. ان عبارات كهذه تدلنا على تلميذ حار للصليب قد درس أسراره وتلذَّذ بتعاليمه. فهل لنا نحن مثل هذه العواطف؟ هل أحببنا الصليب نظير هذا القديس؟ وهل رضينا أقل ما يكون بالصلبان الطفيفة التي يمتحننا بها الرب في كل يوم من أيامنا ورَّحبنا بها كالقديس اندراوس قائلين : أيها الصليب الكريم أهلاً بك!

القسم الثاني

في أن القديس اندراوس مبشر بالصليب

لما عُلق هذا القديس على الصليب وتزاحمت حواليه أولئك الجماهير الغفيرة ليشاهدوه في هذه الحال رأى ذاته فوقهم كأنه على أجمل منبر في العالم، واعتبر ان أوقع تبشير بالصليب هو من فوق الصليب، وان أحسن مبشر بيسوع المصلوب هو الذي يكون هو ذاته معلقاً على الصليب. فرفع صوته حينئذ بقوة وعظمة أخذ يبشر الحاضرين مدة يومين كاملين من فوق ذلك المنبر حتى أن أغلبهم قد تأثروا تأثراً شديداً، وبعد ما أتوا وثنيين عادوا مسيحيين. والسبب في

ذلك أن التبشـير يأتي دائماً بثمر اذا كان المبشـر به رسـولاً مصـلوباً حقيقة يجعل سـعادته في العذاب، وكنزه في الفقر، وراحته في العمل. لكنه يكون عقيماً بلا فائدة اذا كان الكاهن المبشـر راغباً في حب الذات والترُّفه لا يعرف أن يحتمل شيئاً أو يزعج ذاته أو يميتها أو يكفر بها.

القسم الثالث

في أن القديس اندراوس شهيد الصليب

من بين هذا الشـعب المحتشـد المتأثر والمهتدي الآن الى الإيمان الحقيقي يرتفع صـراخ يطلب نجاة الرسـول القديس من عذابه. لكن القديس جعل يتضـرّع الى الله قائلاً : ((لا تأذن يا الهي أن يفصلوني عن صليبي العزيز)). فاستجابه الله واضطر الشعب أن يخضع لقوة الجند الروماني ذارفاً الدموع مدراراً. فمات القديس وفقاً لرغبته على سرير الشرف، كقائد جدير أن يقود جنود السيد المسيح الى ساحات القتال والانتصار، وكشهيد كامل يشهد بمودته لصليب الفادي، ويعلّم الناس بذلك أن يحبوا الصبر والعذاب والكفر بالذات. فيا للتعاليم الخلاصية التي يعلمنا اياها هذا القديس المحب للصـليب! ما أبعدنا عن التشـبه به! لأننا نهرب من أي ضـيقة وشدة، ونرغب أينما كنَّا في الراحة واللذات الحسية والملاهي، مما ندل به على أن حياتنا كلها هي كاحتجاج متواصل على صليب مخلصنا!

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 372).

تأمل

لعيد القديس فرنسيس كسفاريوس

(في 3 كانون الأول)

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في حياة هذا القديس فنرى : 1 غيرته التي ضـــاهت غيرة الرســل العظام. 2 فضائله التي حاكت فضائل أكبر النساك.

ونقصد 1 أن نزيد ضراماً غيرتنا على خلاص النفوس وخلاص نفسنا 2 أن نمارس في أثناء النهار بعض أفعال معينة للاتضاع والإماتة.

العاطفة الروحية هي عبارة القديس ذاته : ((أيها الثالوث الأقدس! يا يسوع حبيبي!)).

التأمل للصباح

لنسـجد للسـيد المسـيح مُبدع كل قداسـة. ولنشـكر له كونه وهب لكنيسـته قديسـاً عظيماً كالقديس فرنسيس كسفاريوس ورسولاً جمع في شخصه، بدرجة سامية جداً، حياة ذات عمل مدهش في الخارج، وذات قداســة فائقة في الداخل. ولنســتمد منه أن يشــركنا في نعم هاتين الحياتين التي تفضل بها على هذا القديس الجليل.

القسم الأول

في أن غيرة القديس فرنسيس كسفاريوس ضاهت غيرة الرسل العظام

ان هذا القديس لما عينه رئيســه لرســالة الهند توَّجه إليها حالاً. ومنذ وصــوله الى مدينة جاوى شرع يبشر الأولاد والمرضى في المستشفيات والمسجونين، حتى اهتدى هؤلاء وتبعهم كل أهل المدينة. ثم انتقل الى أماكن أخرى وهدى أهلها كذلك. ثم طاف في الهند يســتأصــل العبادة الوثنية ويهذّب الأخلاق ويجتذب الى الإيمان الملوك والأمم. يجتاز البحار المملوءة من المهالك والعواصف، ويبلغ الى الجزائر المقفرة والأراضي المستوحشة حيث ينتظره الجوع والعطش والعري والاضطهاد والأخطار والموت. حتى انه في مدة عشر سنوات بشَّر في أكثر من ثلاثة آلاف ميل من البلاد، وردَّ الى الإيمان اثنتين وخمســين مملكة، وعمَّد من الوثنيين ما

ينيف على مليون نسمة. ويقصر اللسان عن وصف غيرته على مجد الله وخلاص النفوس. فكان يتفقد المرضى ويضمد قروحهم ويقبلها، ويرّحب بالخطأة بلطف ورقة محتملاً عنادهم بكل صبر عالماً أن النفوس لا تكتسب إلا باللطف والمحبة. أما نفسه فعاملها بجفاء وقساوة لمعرفته أن هذه العيشة الشظفة هي التي تليّن وتهدي القلوب الأشد تصلباً. وبقدر ما كان يوسع ملك السيد المسيح كان قلبه الكبير يتسع أيضاً ويضطرم غيرة ولا يقول ابداً : ((كفى)). فهل من رسول كان أعظم منه غيرة؟ ما أبعدنا نحن عنه! هل لنا شرارة واحدة من هذه النار العظيمة التي كانت تتقد فيه وتفنيه؟

القسم الثاني

في أن فضائل القديس فرنسيس كسفاريوس ضارعت فضائل أكبر النساك

كان هذا القديس يهتف ذات المرار قائلاً : ((لا ينفعني شيئاً ان ربحت نفوس العالم كله وخسرت نفسي)). وبناء عليه كان يسعى أولاً في خلاص نفسه. ويباشر هذا العمل العظيم بالاتضاع غائصاً في أعمق عواطف التذلل : فيحسب نفسه عبداً بطالاً وخليقة دنيئة حقيرة وخاطئاً مكروهاً، تعطَّل عمل الله ونجاح التبشير بالإنجيل لسبب إثمه وتوقفت مقاصد الرحمة الالهية على الشعوب بسببه. وكان اذا نجح نسب ذلك الى عناية الله وقدرته معتبراً نفسه آلة ضئيلة في يد الله، وان خاب مسعاه اعتبر ذلك متأتياً على خطاياه.

وبقدر ما كان كسفاريوس متضعاً كان مميتاً ذاته أيضاً : يحب العذاب كما يحب غيرة اللذة، يرغب في الضنك والتقشف والاحتمال خلافاً لأهل الدنيا الميالين الى المسرات. وقد أظهر له الله منذ انضوى الى الرهبنة اليسوعية ما كان مزمعاً أن يكابده من الأتعاب والشدائد والمشقات فكان يقول : زدني يا رب زدني تعباً ومشقة. فكان يمشي على الرمل الحار حافياً ويتوسد الحضيض ويحسب خدمة النفوس والفقراء والمرضى أهنأ نزهة له. وكان يقتات بخبز الاستعطاء مع امكانه أن يجلس الى موائد الأغنياء والأمراء. وكانت كسوته حقيرة – واذ كانت إماتته الباطنية أشد وأعظم كنت دائماً ترى روحه في هدوء تام، وطبعه في حالة واحدة متساوية لا يمكن تكديرها، وعشرته في بهجة وبشاشة تجعلانها لذيذة لكل من يقترب منه. ويجد سعادته في هذه الإماتة.

وكيف نصـــف عظمة إيمان هذا الرســـول القديس وحرارة ومحبته؟ فإذ كان ممتلئاً من الشجاعة السامية الفائقة مضى وحده الى البلاد الشاسعة المجهولة بين البرارة مقتحماً ألوفاً من المخاطر والمصـــاعب، ودخل حتى في قصـــور الملوك المقتدرين وأقدم فيها على التبشـــير بالحقيقة وعلى ذم الرذيلة. وقد كتب قائلاً : ((بقدر ما تنقصني المساعدات البشرية ازداد ثقة بإســـعاف الباري تعالى. وليس من خطر يخيفني. بل أفيض فرحاً في أشـــد الأخطار عليَّ، ولا شـــيء أحلى لديّ في هذه الدنيا من أن تهددني على الدوام مخاطر الموت لأجل تمجيد يســـوع وفائدة النفوس)).

وكان كسفاريوس محباً ليسوع المسيح الى حد أنه كان مراراً بسبب نيران المحبة المتقدة في قلبه يهتف صارخاً : ((كفى يا سيد كفى)) وكان وجهه كله مشرقاً بلهيب المحبة وصدره كله مضطرماً ومن قلبه تخرج هذه الكلمات كالشرار من نار محبته الداخلية : ((يا أيها الثالوث الأقدس، يا يســوع حبيبي)). وينظر احياناً الى المصــلوب فيبكي بكاءً غزيراً وينتحب شــديداً ويذوب حباً ويضطرم شوقاً الى بذل حياته في سبيل يسوع كما بذل يسوع حياته لأجله. وتارة في الليالي الصاحية بين الصمت والسكون والنجوم متألقة في كبد السماء يضع يديه على صدره بهيئة صليب ويرتقي الى أسمى التأملات، وطوراً يقضي جزءًا من الليالي أمام القربان الأقدس غارقاً في المحبة. أخيراً كان دائماً جامعاً حواسه وموّجهاً قواه الى الله سبحانه مع كل مشاغله الرســـولية الكثيرة. أجل ان حياة هذا القديس توعبنا خجلاً لمزيد فتورنا في خدمة الله ومحبته. فلنقتدِ بمثله ونشرع في حياة أفضل من حياتنا السالفة.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 375).

تأمل أول

لعيد الحبل بالعذراء بلا خطيئة أصلية

(في 8 كانون الأول)

الخلاصة للعشية

نتـأمل غداً : 1 في أن مريم العذراء لزم أن يُحبل بهـا بلا خطيئـة لأنهـا كانت مزمعة أن تكون أماً لله. 2 أن حبلها الطاهر كان مصدر فضائلها بأسرها.

فنقصـــد : 1 أن نشـــكر الله على منحه هذا الامتياز لمريم وأن نهنئها بهذه المنحة مقدمين لذلك مراراً أحر العواطف القلبية 2 أن ننعت مريم بالعذراء الطاهرة ونســتغيث بها بهذا الاســم في ضيقاتنا وبلايانا.

العـاطفـة الروحيـة هي الطلبـة العموميـة المشـــهورة أعني : ((يـا مريم التي حبل بها بلا خطيئة أصلية صلي لأجلنا نحن الملتجئين اليك)).

التأمل للصباح

لنبـارك الثـالوث الأقدس على مـا خص به مريم من الطهارة والبرارة منذ الدقيقة الأولى من حياتها في أحشـــاء أمها. ولنهنئها على ذلك بالتحية التي قالها الروح القدس : ((كلك جميلة يا خليلتي ولا عيب فيك)) (نشيد 4 : 7).

القسم الأول

في أن مريم لزم أن يحبل بها بلا خطيئة لأنها كانت مزمعة أن تكون أماً لله

ان ابن الله عزَّ شـأنه، لما عوّل على التجسد في أحشاء عذراء، لم يمكنه أن يتخذ لذلك الا ابنـة كلهـا نقـاوة وطهـارة منـذ أول وجودهـا، اذ لا يمكن الـدم المزمع أن يجري في عروق الله المتـأنس أن يكون ملطخـاً من ينبوعـه، ولا يمكن الكلمـة أن يـدع لإبليس عـدوه بـاكورة هيكلـه ويأخذ هو الباقي، ولا يليق بمن أزمعت أن تسحق رأس التنين الجهنمي أن تضحي تحت حوزته ولو دقيقة واحدة. بل مجرد تصـورنا خليقةً تصـير أمَّ الله يقتضـي أن تكون هذه الخليقة طاهرة نقية على الدوام، وأن تكون من أول وجودها في هذه الدنيا مزدانة بقداسة مساوية لرفيع مقامها.

فيجب للآب السماوي، لكي يشركها في ولادة الكلمة المتأنس ويجعلها أم هذا الاله نفسه الذي هو أبوه، أن تكون مريم منزهة عن كل دنس على الدوام، بل مجمَّلة أيضاً من بدء وجودها بأكثر نقاوة وبرارة مما يوجد منهما في السماء بين الملائكة.

ويجب للكلمة الأزلي أن تكون طهارة كاملة أصلية في الخليقة التي أُعدَّت منذ الأزل لتكون أماً له. فينبغي من ثم أن يزينها بالطهارة من أول دقيقة من حياتها، ويكون مخلصها ليس بمحو خطيئة أصلية لصقت بها بل بصيانتها من كل خطيئة وكل عيب.

أخيراً يجب لله الروح القدس لكي يكوّن في أحشاء عذراء انساناً هو الله ويرفعها هكذا الى رتبة عروسة له أن تكون هذه العذراء كاملة في القداسة دائماً. وليس بكثير أن تزَّين بكل النعم التي يمكن الله أن يزين بها خليقةً. وبناء عليه قررت أحكام الله تعالى منذ الأزل أن تكون مريم كلها طاهرة منذ الدقيقة الأولى من وجودها، ومجمَّلة بكل نعم وامتيازات البرارة الأصلية، وبقداسة تفوق جداً قداسة جميع الملائكة والقديسين معاً. فنرى من ثم ان رتبة أم الله ميزت مريم بشرف الحبل بها بلا خطيئة. فلنهنئ مريم بهذا الامتياز السامي. ولنكرر لها قول الروح القدس : كلك جميلة ولا عيب فيك.

القسم الثاني

في أن الحبل الطاهر بمريم كان مصدر فضائلها بأسرها

مهما كانت عليه مريم من عظيم القداسة منذ أول وجودها في هذا العالم لم ترَ في هذا الامتياز إلا باعثاً أقوى لتتقدم وترتقي في كل دقيقة من فضيلة الى فضيلة. بحيث ان هذا الكوكب الفائق لمعان برارته عند بزوغه كان يرتفع بلا انقطاع ويزداد ضياء قداسته على الدوام أمام الله والناس. ففي مريم التي حبل بها بلا خطيئة أصلية لم تصادف النعمة أدنى مانع بل وجدت بالعكس كل أقنية نفسها مفتوحة لقبولها، ففاضت عليها بغزارة وتدفقت فيها من كل جهة وأَنمت فيها كل الفضائل : و أولها هذه الطهارة البديعة السامية، طهارة الضمير والروح والقلب والجسد التي جعلت مريم عند أهل السماء زنبقة ناصعة البياض رائعة الجمال. ثم هذا التواضع الذي حبَّب الى ابنة الملوك مسكنة الأكواخ. وهذا الصبر غير المغلوب في جميع المحن والأعذبة. وهذه الوداعة التي لا تتغير ولا تتكدر عند المقاومة. ورباطة الجأش وهدوء

النفس عند الخطر. والإيمان الحي الذي لا ينقل الجبال فقط بل يُنزل من السـماء الكلمة الأزلي. والرجاء العظيم الفائق الذي هو أسمى من رجاء ابراهيم بعد ما مات ودُفن ابنها الوحيد، اسحاق الحقيقي. والمحبة .... يا محبة مريم، الأتون المتقد والحريق المتسع، وسيول اللهيب الالهي! فيا قداسة مريم لقد سبيتِ فؤادي. وتم فيك قول المرنم : ((لقد قدَّس العلي مسكنه)) (مز 45 : 5) فمريم لا تسرّ بكونها سلطانة السماء وملكة الأرض بل تفرح بالحري بكونها حُبل بها بلا خطيئة أصلية. وبناء عليه فإنها لما سألتها فتاة لورد في ايامنا عن اسمها قالت لها : ((أنا التي حُبل بها بلا خطيئة أصلية)). فلنتعلم من ذلك أولاً أن نسير في طريق الفضيلة دائماً الى الأمام ولا نقول أبداً. كفى. ثانياً : أن نجعل فرحنا في ارضاء الله قبل كل اعتبار أو اهتمام.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 378)

تأمل ثانٍ

لعيد الحبل بالعذراء بلا خطيئة أصلية

الخلاصة للعشية

بعد ما تأملنا في النعم التي فازت بها مريم بحبلها الطاهر نتأمل غداً في ما يجب أن نستفيده نحن من هذا الحبل. فنرى : 1 انه كنز للنعم. 2 درس جزيل الفائدة.

ونقصد : 1 أن ندعو مراراً وبثقة تامة مريم التي حبل بها بلا خطيئة أصلية 2 أن نحسن استعدادنا للتناول ونحترس على حواسنا وأفكارنا لنحفظ ذاتنا دائماً أنقياء أطهاراً 3 أن نجتهد على الدوام في اتقان العمل الحاضر أكثر من الذي سبقه.

العاطفة الروحية هي آية عروس النشيد : ((كلكِ جميلة يا خليلتي ولا عيب فيك)) (4 : 7).

التأمل للصباح

لنســجد لله تعالى الذي وهب للبشــر مريم البريئة من الخطيئة الأصــلية لتكون رجاءهم وواســطة لخلاصــهم. ولنقدم لهذه الأم النقية مديح الكنيســة بقولها لها : ((الســلام عليك يا أم الرحمة، يا حياتنا وعذوبتنا ورجاءنا. اليك نصـرخ ونحوك نتنهد نحن الخطأة المنفيين باكين في وادي الدموع هذا راجين الخلاص بنظرك الرؤوف)).

القسم الأول

في أن الحبل بلا خطيئة كنز النعم

كما أن الطبيعة جعلت قلب الأمهات أميل الى الحنو والحب من ســائر القلوب وبه ينال الأولاد ما يرغبون فيه، كذلك نرى قلب مريم مفعماً حنوًّا وحبًّا أكثر من قلوب جميع الأمهات نحو من يكرمها ويســتغيث بها ويدعوها الأم الطاهرة التي حبل بها بلا خطيئة أصــلية. وقد خلصــت مريم بهذه الواســطة نفوســاً شــتى وأنقذتهم من تجارب قوية وأزاحت عنهم القلق والضعف وأولتهم الراحة والقوة. وملأت أيقونة مريم التي حُبل بها بلا خطيئة أصلية العالم من العجائب والمعجزات. فخففت المصــائب وأجزلت المواهب وهدت الخطأة. ذلك كله يدلنا على أن الكنيسة مهما دهمها فيما بعد من الأخطار والمصاعب ستحوز الغلبة بمريم التي حبل بها بلا خطيئة. هل نريد أكثر من ذلك لنتحقق أن الحبل بلا خطيئة هو كنز للنعم والبركات، واليه يجب أن نلجأ بثقة تامة في تجاربنا ومضايقنا؟

القسم الثاني

في أن الحبل بلا خطيئة درس جزيل الفائدة

ان الحبل بلا خطيئة يعلمنا طهارة الضــمير الواجبة للتناول. فكما أن مريم قبلت يســوع المخلص في مســتودعها وهو خال من كل خطيئة، هكذا يتحتم علينا أن نتناول القربان الأقدس بقلوب طاهرة خالية من كل دنس وظل خطيئة لأن يسـوع الذي تجسـد في أحشـاء مريم هو هو

عينه يأتي بذاته الى قلبنا في ســـر محبته هذا. فيجب من ثم أن تكون نفوســـنا مزدانة بالطهارة والبرارة لنقبل يسوع في قلوبنا لا مرة واحدة كمريم بل مراراً عديدة.

2 ان الحبل بلا خطيئة يعلمنا السهر على حواسنا وتصوراتنا وأرواحنا وعقولنا وقلوبنا. لأننا اذا كانت مريم قد سهرت لأجل صيانة فضيلتها ذاك السهر الشديد، مع أن كل شيء فيها كان مستقيماً نقيًّا باراً فكم يلزمنا نحن الضعفاء والميالين الى الشر والسريعي الانخداع والزلل ان نسهر ونحذر من نفوسنا؟

3 ان الحبل بلا خطيئة يعلمنا أن نرتقي دائماً في ســـلم الكمال. لأننا اذا كانت مريم مع حصولها على أكمل الفضائل تتوق كل حياتها إلا الارتقاء في القداسة ولا تألوا جهداً لأجل ذلك في مطاوعة النعمة، فكيف يســـوغ لنا نحن المملوئين نقائص أن نضـــع حداً لكمالنا ونبقى دائماً في هذه النقائص عينها؟ أَلا يدل هذا على تأخرنا بحسب مبدأ القديسين القائل : ((عدم التقدم في الكمال هو التأخر))؟ وكيف نقبل دائماً نعم الله تعالى ونتركها بلا ثمرة اذ نرفض أن نقطع علاقاتنا وأن نتقدم حيثما يدعونا فادينا؟ فلنحفظ في قلبنا تعليم الحبل بلا خطيئة لنطابق عليه حياتنا.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 381).

تأمل

لعيد القديس توما الرسول

(في 21 كانون الأول)

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً : 1 في تأثير جروح المخلص بقلب القديس توما. 2 في ما يجب أن تفعله فينا هذه الجروح من التأثير.

فنقصـــد : 1 أن نتفرس في المصـــلوب ونقبله بمحبة 2 أن نحث ذاتنا بهذا المنظر على الغيرة المتقدة في سبيل كمالنا.

العاطفة الروحية هي عبارة الرسول توما : ((ربي والهي)) (يو 20 : 28).

التأمل للصباح

لنتعجب من جودة الفادي غير المتناهية ولنباركها. فإنه شاء سبحانه أن يتراءى خصوصاً هذا الرســـول ويظهر له جروحه الخمســـة. فيا ما أعظم محبة الله لخلاص خاطئ واحد! وكم تستحق هذه المحبة أن نسجد لها ونحبها!

القسم الأول

في تأثير جروح المخلص بقلب القديس توما

1 ان هذه الجروح شـــفت عدم إيمانه : اذ كان قد أعلن أنه لن يؤمن بقيامة معلمه ما لم يعاين أثر المسامير في يديه ويضع اصبعه في موضع المسامير ويضع يده في جنبه. فيسوع الفادي تعطف على ضـعفه وظهر له وهو مجتمع مع الرسـل وأراه جروح يديه ورجليه وجنبه وقال له : هات اصـــبعك يا توما وضـــعها في جنبي. تفرس يا توما في هذا الجنب المفتوح بالحربة وهو ينبوع المواهب ومسكن الحب. فما كان من توما إلا ان انفتحت عيناه فهتف هتاف الحب واعترف جهراً بقيامة الفادي مقراً بلاهوته ونادى بأعلى صوته : ((أنت ربي والهي)).

2 ان جروح الفادي أضرمت في قلب توما نار غيرة متوقدة. فمن قلب المخلص المشتعل حبًّا اقتبس القديس توما حبًّا مضطرماً له ولكنيسته. جعله شديد الغيرة على الأعمال الصالحة العظيمة التي زينت رسالته. فنراه ينطلق بشجاعة غريبة بين جميع المخاطر فيبشر شعوباً عديدة حتى الهنود البعيدين جداً. فقد كدّ وجدّ كثيراً بينهم، وخصـــوصـــاً كان لهم مثالاً في كل عمل صـــالح، مما دلّ على أنه رجل الله حتى انه قد ردّ هؤلاء الذئاب الى حملان ودعاء وأخضعهم للإنجيل.

3 ان جروح معلمه جعلت في فؤاده عطشــاً مذيباً للاســتشــهاد. فاذ كان عارفاً ما كابده معلمه من الآلام حباً لخلاص البشر قد ابتهج بأن يُسجن ويُطرح في حفرة عميقة وتُمزَّق لحمانه بالسـياط ويُرجم. وتهلل بأن يقاســي الجوع والعطش والعري والضـنك ومشـقة الأسـفار. وكان يتوق الى احتمال ما احتمله مخلصــه من العذاب وســفك الدم حباً له. وما عتم ان فاز ببغيته في مدينة ســلامينا بالهند حيث حكم عليه ملكها مطعوناً بالحراب، فابتهج بذلك قلبه لأنه قد حمل في جسمه سمات الرب يسوع. فيا ما أعظم رسالة هذا القديس وما أفيد تلك الجروح التي أفاضت عليه نعماً جمة! فهل استفدنا مثله من هذه الجروح؟ فلتكن استفادتنا منها أعظم في المستقبل.

القسم الثاني

في ما يجب أن تفعله فينا جروح المخلص من التأثير

قد شاء المخلص أن تبقى الجروح في جسمه حتى في السماء ليزيد فينا الايمان والرجاء والمحبة. فلنتأمل في هذه الجراح المقدسة المعبودة ولنتفرس فيها ونلصق بها شفاهنا، فنشعر بإيماننا يصير أقوى ورجانا أوطد وحبنا أشد اضطراماً – فجروح رجليه تعلمنا أن نمشي في جادة الصلاح بشجاعة وبغير أن نخشى التعب، وأن نسارع اذا دعتنا فروض وظيفتنا لتعزية الحزانى واســعاف الفقراء وردّ الخطأة أو لأي عمل صــالح كان – وجروح يديه تطلب لنا الرحمة والنعمة – أما جرح جنب يســوع هيكل المحبة والنعمة والبركة فيعلمنا أن نقصــد ذلك المكان الخفي الســرّي الذي ترتاح اليه اليمامة لتفلت من مخالب الصــقر. أي أن نجد في قلب يســوع حصــناً حصــيناً ننجو به من براثن أعدائنا الثلاثة أعني بهم ابليس والعالم و الجســد المتمرّد، ونحتمي ونستقر فيه بسلام وأمان. وفيه يمكننا أن نصلي بحرارة ونحب بشدة ونتقدس ونخلص. أيتها الجراح الكريمة المعبودة ما أحبك اليَّ! هب لي يا مخلصــي أن أســتعمل يديَّ ورجلي وقلبي وجميع أعضائي استعمالاً حسناً مرضياً لك في كل شيء وكل حين.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 384)

تأمل

لعيد القديس أنطونيوس الكبير أبي الرهبان

(في 17 كانون الثاني)

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في ســـيرة القديس أنطونيوس الكبير أبي الرهبان فنعتبره : 1 مثل قاعدة تامة للكمال المسيحي 2 كمعلم ماهر في علم القديسين.

ونقصد : 1 أن لا نحب معاشرة العالم متذكرين أن الله أظهره للقديس أنطونيوس مملوءاً فخاخاً حيث تهلك نفوس كثيرة 2 أن نحب الانفراد لأنه يلائم الخشوع والصلاة.

العاطفة الروحية هي تقرير القديسين القائلين : ((في الانفراد يكون الهواء النقي والسماء مفتوحة أكثر والله أقرب للمفاوضة وللمناجاة)).

التأمل للصباح

لنســـجد لله تعالى الذي أقام القديس أنطونيوس في العالم مثالاً عظيماً لأســـمى الفضـــائل وناهجاً الطريق للحياة النسكية، التي أكسبت الكنيسة السماوية قديسين عظاماً وأولت الكنيسة الأرضـية أمثلة صـالحة في البرارة والقداسـة. فلنكرم هذا القديس الجليل كأول مؤسـس للحياة الرهبانية، وأباً للنساك المتوحدين والرهبان وكوكباً للبرية.

القسم الأول

في أن القديس أنطونيوس قاعدة تامة للكمال الروحي

لم يكن للقديس أنطونيوس سوى ثماني عشرة سنة من العمر لما دخل الى الكنيسة وسمع من المنبر كلمات الانجيل تدعوه الى حياة الكمال. فما كان منه الا أن ذهب وباع كل ما له ووزع ثمنه على المساكين ليبتاع ذاك الكنز في السماء. ثم ذهب الى البرية وانزوى في مغارة حيث لا شغل له ولا همّ الا بلوغ الكمال. فكان يتقشف في طعامه ومأواه، ويثابر على التأملات كل ليله ناظراً الى السماء. لكن ابليس الرجيم لما رأى كل هذه القداسة في أنطونيوس الشاب طفق يمتحنه بتجارب مختلفة. فقاومه القديس وغلبه بالتواضع والصلاة. ثم عاد ابليس الكرة، فشكا القديس حاله الى يسوع فأجابه يسوع : كنتُ هنا يا أنطونيوس أشاهدك تصارع وأبتهج بانتصاراتك. واني سأذيع اسمك في الأرض كلها مكافأة لجهادك الحسن)). فما لبثت قداسة هذا الناسك النبيل ان اجتذبت اليه كثيراً من التلاميذ. فلم يجدوا مرشداً أفضل منه ليقودهم الى السماء. ومما يدعو الى العجب والانذهال انه كلما كان يعتبره الناس ويحترمونه كان يستحقر نفسه ويعدّ ذاته آخر واحد بينهم، ثم يلاحظ في كل من اخوته جميع الخير الذي فيه يجتهد في الاقتداء به في ذلك. وعلى هذا الأسلوب قد أحرز فضائل الجميع وصار قاعدة لهم وإماماً. فهل نتصرف نحن هكذا؟

القسم الثاني

في أن القديس انطونيوس معلم ماهر في علم القديسين

ان القديس أنطونيوس أضحى نبراساً للكنيسة ليس بالدرس والمطالعة بل بمناجاة الله والتأمل فقط. فأدهش بمحادثاته أكبر الفلاسفة. وقد خرج يوماً من صومعته ليدافع عن الايمان ويدحض مزاعم الهراطقة فأفحم أعداء الدين بأقوال حكمته القاطعة وبراهين خطبه الدامغة وبشهادات عقلية واضحة. ولما سُئل يوماً عن الكمال المسيحي اجاب : ((للبلوغ سريعاً الى الكمال المسيحي افتكر في أنك تبدأ اليوم بخدمة الله. وافتكر في أن هذا اليوم قد يكون الأخير من حياتك. اذا جربك العدو فتذكر أن الشيطان لا يقدر البتة أن ينتصر على الصلاة والصوم وعلى محبة يسوع الحارة. ان فضيلة التمييز أو الفطنة هي سيدة جميع الفضائل. وان الاتضاع هو أعجب العجائب. ومن لا يجل إلا الله لا يفقد السلام وفرح الروح. ومن وثق به وخضع خضوعاً تاماً لعنايته يصير قديراً. فالعالم عند الذين لا يرون فيه الا الله كتاب كبير يجعلهم سريعاً علماء في علم القديسين)). فلنجعل بعض هذه التعاليم راسخاً فينا فتجتني منها نفسنا ثماراً شهية عظيمة.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 387)

تأمل

لعيد القديس سلبيس

(في 19 ك 2)

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في حياة هذا الحبر الذي أقامته العناية الالهية أســـقفاً على مدينة بورج ســـنة 624 وشيدت على اسمه كنيسة مهمة في باريس. فنرى أنه عاش كله 1 لله و 2 للقريب لأجل الله.

ونقصـــد : 1 أن لا نعيش الا لله وحده وأن نوجه اليه كل أعمالنا وأن لا نبتغي ســـواه وسوى محبته 2 أن نجتهد في أن نسر القريب بكل شيء ونجتنب كل ما يمكن أن يغمه.

العاطفة الروحية هي ما قاله الروح القدس عن موســـى الكليم ويجب أن يطلق على كل مسيحي وهو : ((كان محبوباً عند الله والناس ومبارك الذكر)) (سيراخ 45 : 1)

التأمل للصباح

لنسجد للعناية الالهية الساهرة على مصالح الكنيسة والمنتخبة لها في كل عصر رجالاً أفاضـــل قديرين على رعايتها وتهذيب شـــعبها وتنويرهم بالعلوم الالهية والأمثال الصـــالحة والفضـــائل الراهنة. وقد اصـــطفت القديس ســـلبيس الملقب بالتقي أو الحليم ليكون في النصـــف

الأول من القرن السابع نوراً ومثالاً صالحاً لذاك العصر. فلنشكر لله تعالى هذه الهبة السنية ولنستمنحه النعم اللازمة لنا للاقتداء بهذا الحبر القديس.

القسم الأول

في أن القديس سلبيس عاش كله لله

ان هذا القديس الجليل وجه نظره منذ نعومة أظفاره نحو الله ربه وتاق منذ ذاك الوقت الى اكتساب الفضيلة، فترعرعت ونمت فيه نموّه في العمر. ولما بلغ عنفوان الصبا أدرك أن الانسان ليس فاضلاً بطبيعته وانما يضحي فاضلاً بإصلاح نقائصه. وهذا الإصلاح لا يمكن أن يتم إلا بمساعدة النعمة. والنعمة تكتسب بالصلاة. ولهذا قد سنّ على نفسه لكل يوم بعض ممارسات تقوية حافظ عليها دائماً. وأضاف اليها عادة جمع الحواس والاتحاد بالله.

ثم وضعه والداه في بلاط تيري الثاني فحفظ هناك كل ما كان له في سنيه الأولى من نقاوة القلب وصفاء النية وظهر تقياً كناسك ومحتشماً كراهب وفوق ذلك أديباً لطيفاً كأحسن الشرفاء.

ودعاه أسقفه الى قبول الكهنوت. فلما صار كاهناً قدم ذاته محرقة لله، وجعل يأتي الى الهيكل مشتعلاً كل يوم بحرارة أعظم. واذ فُوضت اليه ادارة دير قريب من مدينة بورج جعل يخاطب نفسه قائلاً : بما اني صرت رئيس قديسين وجب عليّ أن أكون قدوة لهم. فكان في مقدمة رهبانه كأنطونيوس أو هيلاريون. ثم انتخب لرئاسة الشمامسة واضطر أن يعود الى العالم فعاش فيه كأنه ملازم ديره فلم يغير شيئاً من عيشته البسيطة المحتشمة. ولم تكن أشغاله الكثيرة لتشتته، ولا ارتفاعه ليجعله متكبراً، ولا ضوضاء العالم واضطرابه ليحيداه عن اتحاده بالله.

ولما تعين لخدمة الملك الروحية ظهر في البلاط بسناء قداسة أكسبته اياه ممارسته الطويلة للفضائل وأيدته له موهبة صنعه العجائب. وبلغ زهده في المال الى أنه كان يوزع على الفقراء ما كان يحصل عليه من المرتبات مكتفياً منها لنفسه بما لا بد منه فقط.

وأخيراً لما اصطفاه الله لأسقفية بورج جدد في تلك المدينة فضائل الرسل الأولين. فعاش بالقشف واكتفى لبيته بأثاث بسيط ولم يحوِ فيه ذهباً ولا فضة. وكان يرقد على فراش من قش ويكتسي بمسح وثوب بسيط طبقاً لما يتطلبه الفقر المسيحي. فغدا صورة حية ليسوع المسيح على الأرض. وذلك كله كان ثمرة صلواته الحارة المتواترة. فكان يصلي في النهار بقدر ما تمكنه من ذلك واجباته الرعائية. ويصلي في جزء من الليالي اذ ينطلق الى الكنائس المهملة بالأكثر حيث يسود الصمت والهدوء لكي ينقطع فيها الى التأملات بحرية أوفر. أفلا يحق أن يقال عنه أنه عاش كله لله؟ فهل اقتدينا نحن بعيشته؟ وأين نحن منها؟

القسم الثاني

في أن القديس سلبيس عاش كله للقريب لأجل الله

ان هذا القديس الفاضل لم يكتفِ بأعمال التقوى والعبادة بل أضاف اليها الاعتناء بأمر القريب أيضاً، متخذاً لذلك أنجع الوسائل لاصطناع الخير والمعروف. فكان وهو فتى بعد من فتيان الأشراف يتعهد الفقراء ليسليهم في كربتهم وضيقتهم ويساعدهم في حاجتهم، ويزور الجهال ليعلمهم والمسجونين ليسري عنهم غمومهم ويستنهضهم لإصلاح أفكارهم وعواطفهم. ثم خصص نفسه فيما بعد للأعمال الخيرية فابتنى جملة من الكنائس والمستشفيات والأديار بسعيه وأمره. ولم يفتر عن الوعظ والإرشاد. وعلم الاكليرس الرسوم والقوانين واللاهوت فثقفهم وزينهم بالمعارف الحقة والمزايا الحسنة حتى نبغ منهم كهنة وأساقفة قديسون. وبذل المساعي الطيبة في تهذيب الجنود فاستفادوا منه وأفادوا الكنيسة والدولة معاً. واتصف بأمانته لله ووطنه غير خائف من ملامة أحد. وبعد ذلك لما ارتقى الى أسقفية مدينة بورج عقد مجامع اقليمية وطاف في بلاد أبرشيته وبشرهم بالإنجيل واهتدى على يده خلق كثير من اليهود. وأنشأ رهبنات ومدارس اكليريكية على نفقته قد انضم اليها أناس عديدون امتازوا بالعلوم والفضيلة. فانقطع نفر منهم الى الخلوة ونفرٌ ازدانوا بعمل الخير والصلاح. واعتنى بالأيتام والأرامل والفقراء. فأنقذهم من المشقة والضيقة. وبالإجمال نقول ان حياته كلها كانت مخصصة لمساعدة القريب واغاثته وتسهيل الوسائل له للبلوغ به الى السعادة. فيا لأمثال هذا الحبر القديس! فإنها تعلمنا أن محبة القريب لا تتقوى وتتعزز إلا بمحبة الله المحضة. فهل شابهناه نحن في سيرتنا؟ فسبيلنا أن نخجل من نقائصنا في ذلك ونصلح حالنا.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 389)

تأمل

لعيد اهتداء القديس بولس

(في 25 ك 2)

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في اهتداء القديس بولس الرسول : 1 انه تأييد سنيّ للإيمان المسيحي. 2 انه مثال للاهتداء الصادق.

فنقصد : 1 أن نتوب أخيراً عن سالف عيشتنا المتراخية التي نحن فيها من زمن طويل ونشرع حالاً في عيشة أفضل 2 أن نتبع في كل تفاصيل أعمالنا مرضاة الله سبحانه ونتخذها كدفة تقودنا الى ميناء الخلاص والقداسة.

العاطفة الروحية هي عبارة بولس الرسول عينه : ((يا رب ماذا تريد أن أصنع؟)) (أعمال 9 : 6).

التأمل للصباح

لنسجد للسيد المسيح ظاهراً للقديس بولس في طريق دمشق. ولنتأمله منحدراً من السماوات ليهدي هذا الرسول الذي كان مزمعاً أن يهدي الكثيرين الى الدين المسيحي. ولنسبح يسوع على هذه الأعجوبة التي هي بالحقيقة من أعظم عجائبه ونسأله أن يهدينا اليه.

القسم الأول

في أن اهتداء القديس بولس هو تأييد سني للإيمان المسيحي

ذكر لنا كتاب أعمال الرسل كيف هذا الرسول الذي كان يدعى ((شاول)) انطلق من أورشليم الى دمشق مملوءًا بغضة وغضباً على المسيحيين الذين فيها، وناوياً أن يقبض عليهم ويميتهم. فلما قرب من هذه المدينة ظهر له عند نصف النهار نور من السماء يفوق لمعان الشمس وسمع صوتاً يكلمه ويقول : ((شاول شاول لم تضطهدني؟)) فقال شاول : ((من أنت يا رب؟)) أجابه الصوت : ((أنا هو يسوع الذي أنت تضطهده)). فغشي للحال على بصره ولم يعد يرى شيئاً. لكنّ بصيرته قد انفتحت ورأت الحقيقة وقلبه قد تغير. فاقتادوه بيده وأدخلوه الى دمشق. وبعد ثلاثة أيام زاره حننيا ووضع يديه عليه وصلى من أجله فعاد بصره فقام واعتمد وأضحى من تلك الساعة رسولاً باسلاً للدين المسيحي.

يا الهي ان الذي يرى في ذلك كله يدك القوية لا يصعب عليه فهم هذا التغيير السريع والعجيب، لأنك تأمر العواصف فتسكن، والقلوب القاسية فتلين وتنقاد لك. فقد كان مستحيلاً ومخالفاً الطبيعة أن يترك شاول مستقبله البديع الجميل عند اليهود ذويه، ليقدم ذاته للاضطهادات والإهانات ولعيشة ضنك مرة للغاية – يضاد العقل والطبيعة أن يضحي شاول هكذا بكل مصالحه وتقليدات واعتقادات ملته وشعبه ليتبع رجلاً مصلوباً وديانة لا يدل شيء على نجاحها – ثم يستحيل ويخالف الطبيعة أن يكون في ما ذكره هو نفسه مراراً في سفر الأعمال عن قصة اهتدائه قد قصد أن يغش أو يخدع سامعيه، لأن شرف طبعه وأخلاقه ثم فضائله وعجائبه وكتاباته وتقليدات تربيته وأهم مصالحه لا تقبل البتة هذا الغش أو الخداع – ومن المستحيل ومضاد الطبيعة ايضاً ان يكون شاول نفسه مخدوعاً واهماً قد ساقته الى الغرور مخيلته المتهيجة أو الجامحة، لأن الحوادث التي أفضت الى اهتدائه قد وقعت في منتصف النهار، في جادة كبيرة مطروقة، أمام شهود كثيرين، ودام عماه ثلاثة أيام، ورأى كثيرون القشور التي سقطت من عينيه حين شفائه. فحياته كلها وعجائبه التي صنعها تشهد وتوضح صدق هذه الحادثة الغريبة. فبالحقيقة يا الهي ان اهتداء بولس الى الإيمان جهراً أمام الجميع لهو تأييد سني متين للإيمان الصحيح. فزدني يا ربي إيماناً وثبتني في هذا الإيمان الراهن الحق، واجعلني في كل أفعالي وعواطفي من رجاله وأبنائه ومريديه حتى الممات.

القسم الثاني

في أن اهتداء بولس الرسول هو مثال للاهتداء الصادق الى الله تعالى

أولاً : ان الاهتداء أو الرجوع الحقيقي الى الله يتطلب ثقة وطيدة بالرحمة الالهية التي تجعل الغفران مضموناً فتقوّي القلب وتشجع على تحسين السيرة وتهيئ النفس للمحبة. فلم نر الرحمة الالهية ظاهرة بأكثر جودة ولمعان من ظهورها في الأعجوبة الكبيرة باهتداء القديس بولس.

ثانياً : يتطلب هذا الرجوع تسليم الذات تماماً لمشيئة الله وتدابيره. وذلك نراه جلياً في القديس بولس حين اهتدائه اذ سلم ذاته كلها لله قائلاً : ((يا رب ماذا تريد أن أصنع؟)) فهذه العبارة تشتمل على الحياة الكاملة المرضية لله تعالى.

ثالثاً : يتطلب هذا الرجوع زهداً تاماً في الأرضيات وتشبثاً متيناً بالسماويات وبما يقود اليها. فهذا ما يعلمنا اياه بولس الرسول بعدم نظره النور والأشياء المادية مدة ثلاثة أيام اذ تلقن أن يغمض بصره وقلبه عن الدنيا وأباطيلها ويفتحهما للأشياء السماوية وحدها.

رابعاً : يتطلب الرجوع اليه تعالى خضوعاً تاماً للأوامر الربانية لأن كل من يثق بذاته، على ما قال القديس برنردس، إنما يثق بمجنون أحمق. فخضوع بولس الرسول للأوامر الالهية هو مثال حي لنا.

خامساً : وأخيراً يتطلب الرجوع الى الله غيرة عظيمة على مجده تعالى وخير القريب. وغني عن الوصف أو القول كيف قد امتاز هذا الرسول بذلك وفاق بها الجميع. أما نحن فكيف نتمم هذه الشروط للتوبة الحقيقية الى الله؟ فلنفحص ذواتنا ولنحكم على أنفسنا قبل أن يحكم الله علينا حكماً شديداً بصرامة.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 392)

تأمل

لعيد القديس فرنسيس السالسي

(في 29 ك 2)

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في حياة القديس فرنسيس السالسي فنرى : 1 انه لم يبلغ القداسة إلا باستمراره على الكفر بذاته. 2 انه بهذا الكفر بالذات قد وجد السعادة مع القداسة.

ونقصـــد : 1 أن نغتنم كل الفرص لنميت رغائبنا ومشـيئاتنا وتعلقاتنا 2 أن نفرض علينا إماتات اختيارية كالامتناع عن بعض أشياء أو التضحية ببعض أمور مما لا يضر بالجسد لكنه يفيد النفس كثيراً.

العاطفة الروحية هي عبارة المخلص : ((من أراد أن يتبعني فليكفر بنفســـه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني)) (لو 9 : 23).

التأمل للصباح

لنسجد للسيد المسيح فارضاً على كل تابعيه شريعة الكفر بالذات قائلاً : ((من أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه)). ولنسجد له تابعاً هو نفسه

هذه الشريعة كما قال الرسول بولس : ((ان المسيح لم يرضِ نفسه)) (رومة 15 : 3) ومعطياً ايانا ذاته قدوة ومثالاً في ذلك، وملهماً وملقناً مثل هذه الاســـتعدادات لجميع قديســـيه ولاسيما القديس فرنسيس السالسي. ولنستمد منه هذه النعمة وهي أن نكفر حق الكفران بذواتنا.

القسم الأول

في أن القديس فرنسيس السالسي لم يبلغ القداسة إلا باستمراره على الكفر بذاته

ان القديس فرنسيس لم يضحِ قديساً بسهولة بل كابد صعوبات ومشقات وعذابات أيضاً. فقد كان أسوة بأبناء آدم معرضاً للخطيئة ونتائجها ولحدة الطبع الذي يتأثر حالاً من أي مضادة أو إهانة، ويسعى وراء التمتع باللذات وطلب المجد والشرف، ويهرب من التعب والاحتقار. لكن هذا القديس العظيم لم يكتسب الفضيلة إلا باستمراره على إماتة أهوائه. وتمكن بعد هذه المحاربة العنيفة الطويلة أن يقهرها قهراً تاماً حتى صارت تخضع له خضوع العبد لمولاه. وقد امتاز بردعه نزوات الغضب، مع أنه كان يشعر بالشتيمة شعوراً عظيماً جداً ويغلي غيظاً وسخطاً في داخله فكان يحاذر أن يخسر في دقيقة واحدة كل ما اجتهد في جمعه من الوداعة باستمراره على قهر ذاته مدة أربع وعشرين سنة ؟)) وقال يوماً لشخص كان يشتمه : اذا قلعت عيني الواحدة نظرت اليك بالأخرى بكل محبة)). وكان يغتصب ذاته اغتصاباً شديداً متواصلاً لاكتساب الصبر والحلم والوداعة حتى توصل الى أن يملك ذاته تماماً بحيث لم يره احد ولا مرة قد أبطره الفرح، أو أقلقه الحزن، أو استفزه التلهوج، أو ساءته وغاظته المضادة.

وتوصل ايضاً الى أن يضبط نفسه دائماً كل الضبط، فمهما طرأ عليه أو حدث له ما كان ليبلبل أو يسجس سلام نفسه. بل كان على حالة واحدة دائمة من الهدو ودماثة الأخلاق في روحه وقلبه ووجهه وتصرفه وجميع أحواله الباطنة والخارجية حتى أضحى صورة حية لسيدنا يسوع المسيح. وكان في جلوسه وقعوده ونهوضه ونومه وجميع حركاته خاشعاً ورعاً كأنه ما بين الملائكة وجميع القديسين)). فيا لخجلنا نحن الذين لا نزعج ذاتنا إلا قليلاً جداً، ونلتمس دائماً ما يسرنا ويلذ لنا، ونستسلم للاحتداد والرخاوة والراحة وحب الذات ومشيئاتنا الخاصة!

القسم الثاني

في أن القديس فرنسيس السالسي بهذا الكفر بالذات

قد وجد السعادة مع القداسة

ان كل سر السعادة الحقيقية في هذه الدنيا قائم بالتجرد عن كل شهوة ورغبة خارجة عن الله. فإن الرغبات والشهوات يعاكس بعضها بعضاً فتولد في القلب قلقاً ومرارة وحزناً، ومتى تغلبنا عليها أصبحنا في هدوء وطمأنينة متواصلة. فالقديس فرنسيس بتجرده عن ذاته كبح تلك الشهوات والرغائب ولم يدع لها مجالاً لتستولي على قلبه. واتخذ لذاته قاعدة عزيزة عنده وهي : اني لا أشتهي ولا أطلب ولا أرفض شيئاً. وكان يقول : قليل ما أشتهي. واشتهائي له قليل جداً. ولو وُلدتُ من جديد لما أردتُ أن تكون لي رغبة واحدة. لأني لا أبتغي إلا الله سبحانه، والله الذي ابتغيته هو لي كل شيء. وكل ما سوى الله هو عندي كلا شيء. فأي شيء في السماء أو على الأرض أتعلق به غير الله وحده ومرتضاه تعالى؟)) وبحسب هذا الاستعداد القلبي المقدس كان يتخذ ما يقع له من الحوادث صغيرة أم كبيرة كأنها صادرة عن الله وبأمره. ولم تكن الزوابع والاضطرابات والشدائد والمصائب لتزعزع قلبه وتفصله عن محبة الله وعن راحة الضمير، معتبراً أن مطابقة إرادته مع إرادة الله تدعله في حالة الرضى والبهجة الدائمة في كل حال. فيا لهذه الحال السعيدة التي أحرزها هذا القديس النبيل بتعب وعناء جزيل! وأي حال أسعد منها في هذه الدنيا؟ فعلينا أن نجري على مثاله...

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 395).

تأمل لعيد دخول المسيح الى الهيكل

(في ثاني شباط)

اطلب تأمل الأربعاء الرابعة بعد الغطاس (ص 191)

تأمل لعيد القديس متيًا الرسول

(في 24 شباط)

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً : 1 في ما فعله الله لأجل متيا الرسـول حين انتخابه للتبشـير. 2 في ما فعله لله القديس متيا والرسل الذين انتخبوه.

فنقصـد : 1 أن نشـكر لله منحه ونقابلها على مثال هذا الرسـول بحياة مقدسـة 2 أن نوجه نياتنا وأعمالنا الى رضى الله.

العاطفة الروحية هي آية بولس الرســـول القائل : تبارك الله ... الذي اختارنا من قبل انشاء العالم لنكون قديسين وبغير عيب أمامه بالمحبة)) (أفسس 1 : 3 و 4).

التأمل للصباح

لنسجد لله تعالى داعياً متيا الى الرسالة المقدسة بدلاً من يهوذا الخائن. ولنباركه على هذا الانتخاب الذي شرّف الكنيسة. ولنؤدِ اليه لذلك فروض الإكرام والشكر.

القسم الأول

في ما فعله الله لأجل متيا الرسول حين انتخابه للتبشير

لمَّا رام الرسل أن يختاروا رسولاً بدلاً من يهوذا قدموا اثنين من التلاميذ وهما : يوسف الملقب بالبار ومتيا. وصـلوا وألقوا القرعة فوقعت القرعة على متيا فأحصـي مع الرسـل الاحد العشر. فمع ما كان ليوسف من الصيت الحسن الذائع قد تكلم الله بالقرعة واختار متيا للرسالة. فأتى ذلك برهاناً جليًّا محسوساً على أن أفكار الله غير أفكار البشر، وأنه لا ينتخب إلا من يشاء بغير أن يلتفت أحياناً الى الاسـتحقاق، كقول الرسـول بولس : ((ليس الأمر اذن لمن يشـاء ولا لمن يســـعى بل الله الذي يرحم)) (رومة 9 : 16). فنظراً الى حريته هذه المطلقة قد اختار

القديس متيا وأضـافه الى الرسـل الاثني عشـر. فتباركت مراحم الله المسـتحقة كل مجد وإكرام ومحبة.

ان السيد المسيح كان في وسعه أن يختار هذا القديس للرسالة قبل صعوده. لكنه قد ترك هذا الانتخاب لوكلائه على الأرض وألهمهم أن يلقوا القرعة : أولاً ليوضح جلياً عنايته الصمدية التي تدبر كل شـيء من علو سـمائها، ثانياً ليظهر صـريحاً سـلطة كنيسـته الفائقة الطبيعة ويعلن أنه هو مدبرها ورأسـها الغير المنظور الذي يسوسها ويديرها بعناية خاصة، ثالثاً لكي يحفظ في الاتضـــاع المنتخبين والمنتخب والرؤســـاء النائبين منابه والمرؤوســـين الخاضـــعين لهم. لأن التواضع ضروري للأولين لكي يأمروا ويسوسوا بالحلم والمجاملة، وهو ضروري للمرؤوسين أيضـاً لكي يخضـعوا بمحبة، وضـروري للفريقين لكي يقتدوا بالذي اذ هو أكبر من الجميع صار أصـغر الكل ليشركهم في عظمائه. فلنتأمل ونسبح كرمه علينا اذ يهب لنا نعمة قبل كل استحقاق منا، وما ذلك إلا رحمة وتكرماً منه.

القسم الثاني

في ما فعله لله القديس متيا والرسل الذين انتخبوه

1 ان الرسـل في انتخابهم القديس متيًا لم يقصـدوا إلا مجد الله فقط. ولم يسـتندوا إلا الى رحمته. فسـألوه بصـلوات خشـوعية حارة أن يظهر لهم مَن من الشـخصـين يُنتخب لهذه الرتبة المقدسة فيا للدرس السامي الذي يصرح لنا بأن لا نعتبر في الأشياء كلها سوى إرادة الله لا غير وأن لا نحابي أحداً ولا نلتفت الى الغايات الدنيوية البشرية.

2 ان القديس متيًا قام بفروض درجته السامية خير قيام وذلك بغيرته الرسولية. فإنه بشر بالإنجيل في بلاد اليهودية واشتهر بما صنع فيها من أعمال الصلاح والبرارة واكتسب كثيرين وأنارهم بأنوار الإيمان الحق. ثم ارتحل الى بلاد الحبشـــة وكافح الضـــلالات وقاوم الجهل والغواية حتى نهض عليه أعداء الدين وقتلوه وكللوا رسـالته بإكليل الاسـتشـهاد. فلنتعلم من هذا القديس إتمام فروض درجتنا طبقاً لمشـــيئته تعالى، ســـواء كانت حقيرة أم شـــريفة، ونكللها بالأعمال الصالحة التي تمن بها علينا العناية الالهية.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 398)

تأمل أول

لعيد القديس يوسف (في 19 آذار)

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في صفتين أساسيتين في إكرامنا للقديس يوسف : 1 كان أباً ليسوع. 2 كان زوجاً لمريم.

فنقصد : 1 أن نجدّد في هذا العيد عبادتنا للقديس يوسف 2 أن نلتجئ اليه مراراً بثقة ورجاء وطيد.

العاطفة الروحية هي العبارة التي قالها فرعون عن يوسف بن يعقوب أبي الآباء : ((اذهبوا الى يوسف)).

التأمل للصباح

فلنرفع عقولنا الى أعالي السماء حيث نشاهد عرش القديس يوسف الرفيع. ولنشكر لله تعالى النعم والامتيازات التي خصه بها. ونقدم لهذا الشيخ الجليل عواطف مدحنا وشكرنا وحبنا.

القسم الأول

في أن القديس يوسف كان أباً ليسوع

ما اكبر الفرق بين أحكام الله الغامضة وأحكام البشر! لأنه لو استشير أهل العالم في انتخاب شخص جدير بتربية يسوع الكلمة المتجسد لأشاروا بلا ريب الى أحد الملوك العظماء. ولكن ما هي عظائم الأرض كلها بالنسبة الى عظمة الله القدير الضابط الكل؟ أو لعل البشر يختارون رجلاً غنياً موسراً قادراً على تربية يسوع بالرغد والرفاهية. ولكن ما الثروة وما الرفاهية إزاء رب الثروات؟ أو لعل البشر كان يتعذر عليهم وجود شخص لائق بهذا المقام المنيف فكانوا يرفعون ألحاظهم إلى العلاء ويطلبون أحد الملائكة ليُقبِل الى الأرض ويقوم بخدمة يسوع وتربتيه. لكن الله جلَّت أحكامه لم ينظر الى الملائكة ولا إلى عظماء العالم بل الى يوسف الصديق الفاضل الوضيع المعتَبر عنده والمحبوب اليه بنوع خاص فاصطفاه ليكون مربياً لابنه الوحيد المتجسِّد، وأباً لهُ على الأرض، يحمل على يديه حامل المسكونة، ويسكن مع من لا تسعه العوالم ولا السماوات على رحبها.

فاستناداً إلى هذا الانتخاب قد قام يوسف مقام الله تعالى على الأرض وتولَّى تربية يسوع وتبنَّاه وأَمره طبقاً للحقوق الأبوية. ومن ثم فالكلمة الذي به كان كل شيء خضع ليوسف خضوع الابن لأبيه. فيا للمقام الشريف ويا للاعتبار العظيم! ويا ما أشرف وأعظم الخدم التي أداها يوسف الى يسوع على الأرض! فقد أولتهُ مجداً وعزاً وشرفاً عظيماً. فكم يجب أن تحبّب الينا إكرامه وعبادته! وكم يجب أن يجعلنا نثق بشفاعته!

القسم الثاني

في أن القديس يوسف كان زوجاً لمريم

ان القديس يوسف أحرز بهذه الصفة الجليلة فخراً مجيداً لأنه شاطر العذراء أمجادها. فيا لمنزلة يوسف العظيمة! عجباً إن أُم الله سلطانة السماء والأرض تدعو يوسف سيدها وتطيعه في كل شيء. مريم التي يتشرف الملائكة بإتمام أوامرها تخضع لأوامر يوسف زوجها الذي أصبح كملاك حارس لها. فرافقها في أسفارها وعزَّاها في ضيقاتها ومشقَاتها. ودفع عنها سهام الأعداء واعتنى بأمرها مزيد الاعتناء روحياً ومادياً.

وبصفة كونه زوجاً لمريم قد اقتضى أن ينال من القداسة نظير ما نالت منها هذه العذراء المجيدة، لأنه من النظام أن يأتي كل من العروسين بقسم من المال مساوٍ لقسم قرينه لتأليف البيت، فمن يشك في أن السماء التي هي أصل هذا الزواج تكون قد وضعت بعض المساواة بين استحقاق القديس يوسف واستحقاق عروسته الكلية القداسة؟ ومن ثم يكون الله قد جعل حظ القديس يوسف في النعم السماوية قريباً من حظ مريم.

فيا يوسف أَبا يسوع وزوج مريم العذراء ما أَعظمك! ويا ما أَسمى مقامك في السماء! إني وأَنا على الأرض أراك بفرح مرتفعاً في السماء جالساً إلى جانب سلطانة السماوات، لأنك زوجها. فأي احترام وتبجيل يكفيان لنعظمك، ونكرم تماثيلك وصورك، ونحتفل بأعيادك كما يليق، وندعو اسمك ونكرره على الدوام بعذوبة وشوق ومحبة؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 401).

تأمل ثانٍ

في القديس يوسف (20 آذار)

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في وجوب الثقة بالقديس يوسف لأنه جمع في شخصه خلتين لازمتين لذلك وهما : 1 كونه ذا قدرة ونفوذ لينال لنا ما نطلبه منه 2 كونه كريماً ذا قلب طيب يسرّ بالاهتمام بأمورنا ومطالبينا.

فنقصد : 1 أن نستغيث بهذا القديس في كل ضيقاتنا وحاجاتنا 2 أن نتعبد له عبادة خصوصية ونحب هياكله وصوره وأعياده والصلوات المقدمة له ونرغب في ترديد ذكره.

العاطفة الروحية هي عاطفة أمس : ((امضوا الى يوسف)).

التأمل للصباح

لنسجد لجودة الله الذي أقام القديس يوسف في كنيسته المقدسة ليكون رجاءً للمسيحيين، وتعزيةً للحزان، وملجأً لكل الذين هم في حاجة الى النعم. لنؤدِّ الشكر الى يسوع على هذه الجودة. ولنهنئ القديس يوسف بهذا المنصب السامي الذي ارتقى اليه.

القسم الأول

في أن القديس يوسف قادر أن ينال لنا كل ما يسأله

ان القديس يوسف هو أقدر من الملائكة والقديسين قاطبة لأنه يستمد قوته من الله ومن قلبي يسوع ومريم. والله سبحانه لا يمنع عنه شيئاً بعد ما ميَّزه وفضّله على وزراء السماء والأرض معاً وجعله مربّياً للكلمة المتجسد، فتولَّى بدلاً منه تدبير يسوع على الأرض. ومن ثم فالكلمة المتجسد لا يخيب طلب من رباه واشتغل وتعب ليطعمه ويعتني بأمره، وأخلص له المحبة، واهتم بشؤونه، وخدمه بعناء جزيل ومشقة عظيمة. فهل يمكن والحالة هذه أن يرفض شيئاً لمن احبه وأصاخ لأوامره؟ أما يلبي طلبته في السماء؟ وهل تبدلت عواطفه هناك وتغيرت عما كانت عليه في الأرض؟ هل نقصت محبته له وهل قلل احسانه وشكره لمربيه. كلا ثم كلا. ان هذا الأمر لا يمكن تصوره والإفتكار فيه.

ومن جهة أخرى نرى للقديس يوسف قوةً واعتباراً لدى العذراء مريم قرينته. ومن ثم فطلباته عندها لا تخيب البتة بل تعرضها على ابنها وتلحّ عليه في الإجابة اليها. فلا حرج اذا قلنا انه متى كان يوسف ومريم معنا لا يتسنى لأحد أن يؤذينا أو يضرنا. ولا بأس أن نوجه الى يوسف تلك العبارة التي وجهها الآباء القديسون الى مريم، وهي أن صلواتها قديرة على كل شيء تؤثر في قلب ابنها وتلجئه أن يجيب إلى بغيتها.

القسم الثاني

في أن القديس يوسف متأهب لطيب قلبه أن ينجح مطاليبنا

مـا أعظم جودة الذي كونته يد الله ونعمة الروح القدس ليكون أباً ليســـوع وزوجاً لمريم! والذي كثيراً ما قد حمل على ذراعيه واحتضن وضم الى صدره وقلبه المحبة الالهية المتجسدة! فكم فاضـت حينئذ المحبة من قلب يسـوع بغزارة على قلب يوسـف وجرت اليه بلا قياس! ثم إن القديس يوسف عاش سنين طويلة العيشة العيلية الحميمة بعشرة يسوع ومريم! فكم باقترابه من هذين الينبوعين للجودة قد استقى من الحب والحنو وعرفان الجميل وحسن الاستعداد لتأدية كل خدمة ولقبول جميع الطلبات ونيل ما تلتمســـه. ومن ذلك كله نســـتنتج كم عظيمة جودة القديس يوســـف. فإنها نظير اقتداره كما يؤيد ذلك الاختبار، اذ قالت القديســـة تريزيا : ((لا أذكر اني طلبت شـيئاً من الله بشـفاعة القديس يوسـف ولم أنله. ولا أعرف أحداً من الذين كانوا يلتجئون اليه بتواتر إلا تقدّم تقدماً كبيراً في الفضـــيلة)). وعليه كم يلزمنا نحن أن نحبه ونتعبد له عبادة خصوصية ونستغيث به بكل ثقة!

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 403)

تأمل ثالث في القديس يوسف

(21 آذار)

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في النعم الأربع الخاصـــة المتعلقة بالعبادة للقديس يوســف : الأولى نعمة محبة يســـوع ومريم. الثـانيـة نعمة الطهارة والبرارة. الثالثة نعمة الحياة الداخلية. الرابعة نعمة الميتة الصالحة.

فنقصـــد 1 أن نلتمس مراراً بواســـطة القديس يوســـف هذه النعم الأربع 2 أن نجتهد في مماثلة هذا القديس بالمحبة ليسوع ومريم وممارسة الطهارة والحياة الداخلية.

العاطفة الروحية هي أيضاً : ((اذهبوا الى يوسف)).

التأمل للصباح

لنسجد لروح الله القدوس واهباً للقديس يوسف نعماً ممتازة جداً تليق بدعوته السامية. ولنهنئ هذا القديس العظيم بالمواهب الثمينة التي نالها من الله، وبأمانته العظيمة في مطاوعة هذه المواهب. ولنكرم هذا القديس بحسب كونه خليل الله الخاص وحبيبه المقرَّب اليه.

القسم الأول

في ان محبة يسوع ومريم هي أول نعمة متعلقة بالعبادة للقديس يوسف

ان الكنيسة المقدسة تعتقد اعتقاداً تقوياً بأن للقديسين في السماء قدرة خاصة على أن ينالوا لمكرميهم تلك النعم التي امتازوا بها في حياتهم على الأرض. فماذا تكون اذن قدرة القديس يوسف لينال لنا محبة يسوع ومريم، وهو قد سبق فأحبهما حبًّا جماً مفرطاً؟ فالقديس يوسف قد شارك يسوع ومريم في الحب والتعب وأصبح لهما كملاك حارس. وخدمهما بإخلاص في جميع أطوار الحياة حتى وفاته. فيا ما أعظم حبك ليسوع ومريم أيها القديس يوسف! ويا ما أقوى شفاعتك لتنيلنا هذه المحبة لهما! فنسألك من أقصى الفؤاد أن تستمد لنا أيضاً هذه النعمة.

القسم الثاني

في ان موهبة الطهارة والبرارة هي نعمة ثانية منوطة بالعبادة للقديس يوسف

ماذا يمكننا أن نتصور أقدس وأطهر من هذا القديس العفيف؟ فإنه لو لم يكن ملاك طهارة هل كانت العذراء ترتضي أن تعيش معه وتلازمه وتشاركه في الحياة وتبادله أفكارها

وعواطفها وتدعه يحمل بين ذراعيه يسوع قدوس القديسين وإله القداسة؟ فكم كان إذن القديس يوسف عفيفاً ومتصوّناً وشديد الحشمة في أفكاره وعواطفه، في ألحاظه وجميع حواسه، لكي يستحق أن يعيش بصحبة التي هي أطهر وأبر من جميع الملائكة والقديسين معاً وأن يقام حارساً لطهارتها وشريكاً لحياتها وفي الاعتناء بالطفل الالهي! ومن ثم يجب أن نستنتج أن يوسف هو شفيع الطهارة الحقيقي، وأن من أراد أن يحيا بالجسد حياة ملائكية وجب أن يضع ذاته تحت حمايته. فهل نحن أمناء في اتخاذ القديس يوسف شفيعاً ومحامياً لعفتنا وبرارتنا، وفي الاستغاثة به عند التجارب، وفي أن نتخذه مثالاً وقدوة لنا في حفظ هذه الفضيلة المقدسة، وضبط حواسنا وروحنا ومخيلتنا؟

القسم الثالث

في أن الحياة الداخلية هي ثالث نعمة منوطة بالعبادة للقديس يوسف

أي قديس قد امتاز ومهر في الحياة الداخلية اكثر من القديس يوسف؟ فليس في حياته ما يدهش ويذهل في الخارج، لأن كل جماله وكل مجده إنما هو في الداخل. فقد زهد هذا القديس في الدنيا وملذاتها وأباطيلها ومات عن كل ذلك وجعل شغله الشاغل العبادة والسجود لله مخلصه ضمن بيته واعتبر سعادته كلها ومجده المحبة ليسوع ومريم ومحادثته اياهما فقط معتقداً أن كل ما عداهما باطل. فكم يقدر اذن هذا القديس أن يستميح لمكرميه الأخطاء نعمة الحياة الداخلية! فهل سألناه هذه النعمة مراراً؟ وهل رغبنا عن الدنيا ولذاتها وأفراحها والتمسنا الحياة الداخلية اقتداءً بهذا القديس؟

القسم الرابع

في أن موهبة الميتة الصالحة هي رابع منوطة بالتعبد لهذا القديس

لقد مات القديس يوسف بين يدي يسوع ومريم. فما أشهى هذه الميتة وأسعدها! إنها ولا شك تولي القديس قدرة كبيرة لينال لأخصائه نعمة الميتة الصالحة. ومن شأن ذلك ان يبعث فينا

كبير التعزية والحرارة والثبات في التعبد للقديس يوســف. لأن نعمة الميتة الصـــالحة إنما هي أكبر النعم، بل نعمة النعم، وبدونها لا نفع لنا من شـــيء في الأرض والســماء. وبناءً عليه إنها النعمة التي يجب أن نشـتهيها ونطلبها بالأكثر في كل يوم من أيامنا وبأشـد إلحاح وحرارة. فإن لم يكن لنـا غير هذا الســـبب، فهو وحده كـافٍ ليجعل قلوبنـا تتعلق مدى الحياة بالعبادة للقديس يوسف لكونه شفيع الميتة الصالحة.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 406).

تأمل رابع

في القديس يوسف (22 آذار)

الخلاصة للعشية

لا يكفي أن نكرم القديس يوسف ونستغيث به بل يجب ان نقتدي به. ولذلك سندرس مزايا حياته المقدســة. فنرى غداً الميزة الأولى منها وهي : ان حياته كانت خفية 1 في الانفراد 2 في الصمت 3 في الاختفاء ونسيان العالم.

ونقصـد : 1 أن لا نخالط العالم إلا عند الضـرورة 2 أن لا نمدح أنفسـنا أبداً 3 أن نبتعد عن الظهور العالمي وعن حبّ الاجتماعات الباطلة.

العـاطفـة الروحيـة هي عبـارة كتـاب الاقتداء بالمســـيح : ((أرغب في أن تكون مجهولاً ومحسوباً كلا شيء)) (سفر 1 ف 2 : 3).

التأمل للصباح

لنسجد للروح القدس معرفاً ايانا حياة القديس يوسف بكلمة، اذ قال : ((كان رجلاً صديقاً)) (متى 1 : 19) أي كاملاً وممتازاً بالقداسة حتى انه قُدّس كيوحنا المعمدان وهو في مستودع أمه، كما ذهب الى ذلك كثير من الملافنة القديسين. ولطلب الى هذا القديس أن يشركنا في نعمته وخصوصاً في اتضاعه لأن التواضع أساس الفضائل كلها، وهو الذي حبب اليه الحياة الخفية.

القسم الأول

في أن القديس يوسف عاش عيشة خفية في الانفراد

لم يكن هذا القديس الجليل يخالط البشر إلا عند الضرورة. فذهب الى بيت لحم حين اضطره على ذلك أمر أغسطس قيصر، وسار الى مصر طاعة لأمر الله وقصد الهيكل إنجازاً لفريضة الناموس الموسوي، وماعدا ذلك لم يشاهد في مكان آخر : ولا في المدينة بين الأحاديث والأفراح العالمية لأن أفراحه ومسراته كانت في منزله على خلوة مبتعداً عن الضوضاء. وكانت لذته مقصورة على توجيه أفكاره الى الله، وهذا ما حمله على أن يحب يسوع ويواظب على صناعته منفرداً ومتمتعاً بمناجاة ربه ومهتماً بتقديس أيامه. فلنتعلم منه حب الابتعاد عن العالم والضوضاء وعما يقلق القلب. فقد قال البابا لاون الكبير : ((ان غبار العالم لا بد من أن يؤثر في قلوب الأتقياء الذين يخالطونه))

القسم الثاني

في أن القديس يوسف عاش عيشة خفية في الصمت

يتسلسل هذا القديس على خط مستقيم من اكبر ملوك يهوذا ومن أشهر الآباء في العهد القديم. وبما أن الله أقامه وكيلاً ومربياً لابنه المتجسد آوى في بيته يسوع الهه وابنه. ومع ذلك كله كان يخفي بصمته منزلته الكبرى وأصله الملكي وعظمته ومجده. فلو كان غيره قد حصل على مثل هذا الشرف لتبادر الى ظنه أنه يضطر الى إعلانه كي يُقبل البشر ويكرموا يسوع

ويذيعوا اسمه في العالم ويسارعوا للسجود له. بيد أن أفكار القديس يوسف كانت بخلاف ذلك. لأن تواضعه جعله يفضل الصمت ولا ينبس بكلمة تعود الى مدحه، معتبراً أن الله تعالى قادر أن يشهر مجد ابنه يسوع متى شاء وكيف شاء. فلم يكشف يوسف سره لأحد، لا لجاره ولا لصديقه ولا لقريبه. ولما بلغ يسوع الثلاثين من العمر لم يكن الناس يعرفونه إلا باسم ابن يوسف النجار. فما أعجبك يا يوسف في صمتك وسكوتك، فإن في بيتك الحقير من يدهش البشر ويدعوهم الى الانذهال. في بيتك الاله المتجسد وأنت صامت لا تقول عنه شيئاً. أي أب كان يصمت عن اظهار ابن كيسوع ويصون سره حتى موته؟ فإن القديس يوسف علمنا بذلك كله أن لا نمدح ذاتنا وصفاتنا، ولا نشهر أعمالنا الحسنة، ولا نحادث أحداً عن أمجادنا واقتدارنا.

القسم الثالث

في أن القديس يوسف عاش عيشة خفية في الاحتجاب ونسيان العالم

ان هذا القديس المعظم لدى الله كان مجهولاً خامل الذكر لدى البشر، ولم يتعرف به سوى نفر من المجاورين له كانوا يدعونه نجاراً فقيراً حقيراً. فيوسف المستحق الجلوس على أفخر عرش في الدنيا نراه يسكن بيتاً حقيراً. يوسف القادر أن يطلب من الله ما شاء من المجد والعظمة قد فضل الاحتجاب والانزواء عن البشر. وذلك لأنه شاهد كل يوم إزاء عينيه باتضاع يسوع، ذلك الاله الذي تعبده السماوات والأرض. فلدى مشاهدتي إياه وديعاً متواضعاً خاضعاً ضعيفاً، أعتقد أن مجد الدنيا وزهوها وشهرتها وعظمتها ليست إلا جنوناً وحماقة. وأعتبر الحياة المنفردة عن البشر ثمينة شهية. وفضل بيته الحقير على قصور الملوك، وطعامه وأثوابه الرثة على الموائد الفاخرة والأرجوان الملكي ليست كذلك أفكار أهل العالم وعواطفهم. على أن المسيحي الحقيقي، الذي يعرف يسوع المتجسد ويفتكر قليلاً في اتضاعه وذله ويطلع على زوال الدنيا وعلى السعادة المهيأة للأبرار والصديقين، لا بد له من أن يحتقر كيوسف كل جاه أرضي محتسباً نفسه دنيئاً حقيراً ويستحقر العالم الباطل الزائل ويرغب في ما هو سماوي وأبدي والسعادة الحقيقية الخالدة ويصرف كل جهده ليبلغ إليها. فهل حاكينا القديس يوسف في مثل هذه الخواطر والعواطف التي تتطلب الاتضاع والزهد في المجد الباطل والفخر الدنيوي؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 408).

تأمل خامس

في القديس يوسف (23 آذار)

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في صفة ثانية من حياة القديس يوسف وهي حياة امتحان لفضائله.

فنرى : 1 مريم تمتحن محبته 2 ويســـوع إيمانه 3 والله الآب طاعته 4 والعناية الإلهية صبره.

ونقصـد : 1 أن نقبل بلايا الدنيا بهدوّ وسـكينة وأن نخضـع للمشـيئة الإلهية بلا تذمر ولا قلق ولا جزع 2 أن نبتعد عن كل دينونـة بـاطلـة بحق القريـب وعن كـل ريـب في مـا يتعلق بالإيمان بالله أو بالديانة.

العاطفة الروحية هي عبارة الرســول بولس : ((إني أحســب ان آلام هذا الدهر لا تقاس بالمجد المزمع أن يتجلى فينا)) (رومة 8 : 18).

التأمل للصباح

لنســـجد لأحكام الله الغامضـــة اذ يمتحن أغزّ خلانه. إننا ما دمنا في هذا الجســـد البالي نسـتصـعب فهم هذه الحقيقة وادراك تدابير العناية الربانية في هذا الشـأن من اننا : ((بمضـايق كثيرة ينبغي لنا أن ندخل ملكوت الله (أعمال 14 : 21). لكننا سـنفهم ذلك فيما بعد. فعلينا هنا ونحن في هذه الدنيا أن نبارك الله ونســـجد لأحكامه بغير أن نفهمها لأنه يحبنا ويحب خيرنا ((ولقد أحسن في كل ما صنع)) (مرقس 7 : 37).

القسم الأول

في ان مريم العذراء امتحنت محبة يوسف

بعد تجسد الكلمة لم يعد في إمكان العذراء مريم أن تكتم حبلها عن يوسف ولا أن تُعلمه بالسر لأن ذلك يؤول الى مدحها. فظلت ساكتة. فما أَعظم هذا الامتحان لمحبة القديس يوسف! لأنه من جهة لم يرد أن يدين مريم أو يظن بها سوءًا، لأن المحبة لا تظن السوء ولا تدين أحداً. ومن جهة أخرى كان يسأل ذاته ما هذا السر؟ فعوَّل على أن يفارقها وفقاً لأوامر الشريعة، ولكنه يفارقها سراً طبقاً لمشورة المحبة. واذا بملاك الرب قد أتاه وكشف له السر وحوَّل اضطراب نفسه الى شواعر لذيذة من التعجب والمديح والاحترام والمحبة. هل حاكينا هذا القديس في حكمنا على القريب وفي تصرفنا معه؟ هل أسأنا به الظن؟ أَلم نضف الى ذلك إعلان هذه الأفكار الخبيثة والظنون الشريرة للغير وألحقنا بالقريب الأضرار؟ هل حرصنا على كتم سره وسر عيوبه والمدافعة عنه وفقاً لما تفرضه علينا المحبة؟

القسم الثاني

في أن الكلمة المتجسد امتحن إيمان يوسف

ان يسوع الفادي لم يُبدِ في حبله وميلاده علائم تدل على ألوهيته لأنه ظهر كسائر الأطفال صغيراً نحيفاً، ضعيف الأعضاء جداً، تسيل الدموع من عينيه ويرتفع صوته بالبكاء، فكيف يتأتَّى ليوسف ان يعرف فيه ابن الله؟ كان يسوع في السنين الثلاث الأخيرة من حياته يُظهر شيئاً من ألوهيته بمعجزات وعجائب باهرة. أما في عهد طفولته فلم يُبدِ ما يدل على قدرته بل ظهر فيه الضعف البشري كله. فما أقوى هذا الامتحان لإيمان يوسف! لكنه قد خرج منه منصوراً. لأنه لم يطلب مثل اليهود الغير المؤمنين عجائب باهرة ليؤمن بيسوع هذا الطفل الالهي بل آمن واعترف بأنه الهه وربه. وسجد، تحت ظواهر العجز، للقدرة المطلقة المتسلطة على كل شيء. وكلما كان يرى من تلاشي الكلمة المتجسد كان يزداد في محبته والإيمان به. ذلك كله يعلمنا ان نعتبر سر الافخارستيا اعتبار يوسف للطفل.

القسم الثالث

في ان الله الآب امتحن طاعة يوسف

ان الله جلَّت أحكامه أصدر أمره الى يوسف بواسطة الملك الوثني أن يسير الى بيت لحم، ثم أمره بواسطة الملاك أن يهرب الى مصر، ثم أن يرجع الى أرض اسرائيل. ولكن يا الهي كم كان ليوسف من الاعتراضات على كل هذه الأوامر؟ كيف يذهب الى بيت لحم، مع مريم التي قرُب زمن ولادتها؟ كيف يذهب الى مصر في تلك الليلة عينها؟ أما كان في وسعه أن يسافر في الصباح وهو يخشى غدر البشر؟ كيف ينهزم الى أرض بعيدة وبأي وسائل يسافر، وأنَّى له أن يقوم بحاجات يسوع ومريم ولوازم السفر وهو يجهل الناس؟ بيدَ أن يوسف لم يتوقف عند هذه المشاكل ولم يعترض البتة على الأوامر بل نهض لساعته وأطاع خاضعاً بكل سذاجة ولا احتجّ ولا تذمر البتة. فيا ما أقدس وأكمل وأسرع هذه الطاعة العظيمة والبسيطة! وما أجدرنا أن نعمل بموجبها.

القسم الرابع

في أن العناية الالهية امتحنت صبر يوسف

لم يُذكر عن يوسف أنه حصل في شدة قبل ميلاد يسوع لأنه كان ولا شك عائشاً تلك العيشة الفقيرة والبسيطة التي يجد صاحبها السعادة اذا حصل على ما يكفيه. غير أنه بعد ميلاد الفادي تبدّلت الحال، فتقلَّب بامتحانات متواصلة وعاش عيشة استشهاد متواصل. كان قبل مجيء يسوع لا ينقصه بيت يسكن فيه، أما بعد مجيئه فاحتاج الى اسطبل ليأوي اليه. كان الى ذلك الحين مستريحاً في عيشته وفاقته، وعندما ولد يسوع حصل له اضطهاد ألجأه الى هجر بلاده وطلب بلاد أخرى غريبة يجهلها. كان الى ذلك العهد ناجياً من الشدائد والمحن. لكنه بعد الميلاد ابتلى بالرزايا وأحزان شتى خصوصاً لما سمع سمعان الشيخ يقول له ولمريم انه سيجوز سيف في قلبك. لم يخسر ولم يفقد شيئاً قبل الميلاد، لكنه بعد ولادة يسوع أضاع ابنه هذا العزيز ذلك الكنز الثمين يوم تخلَّف عنه وعن مريم في أورشليم فذاق غصص الموت وكابد

آلاماً شديدة. ولمَّا حضره الأجل بعد ذلك وأبعده عن حبيب قلبه يسوع ظلّ ينتظره بذات الصبر في اليمبُس الى حين قيامته من بين الأموات. وفي تلك الأحزان كلها التي أصابته ظل صابراً، متمسكاً بالسكينة والتسليم للمشيئة الالهية، عارفاً ان النوائب التي يرسلها الله هي بمثابة بودقة تمتحن ذهب فضيلته وصفاء قلبه وشدة محبته وتنقيها من كل درن. واستعذب كل عذاب في سبيل يسوع. فهل ضارعنا هذا القديس في ذلك؟ أما تقلَّبنا في لذات الدنيا والتمسنا الراحة والرفاهية؟ أما كرهنا المصائب والمحن والصبر والأحزان والنوائب؟ فلنفحص ضميرنا ونصلح نقائصنا المضادة للصبر والاحتمال والإماتة وحمل الصليب.

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 411).

تأمل

لعيد بشارة العذراء مريم (25 آذار)

الانجيل من القديس لوقا (1 : 26 – 38)

((وفي الشهر السادس أُرسل الملاك جبرائيل من قبَل الله الى مدينة في الجليل تسمى ناصرة. الى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود واسم العذراء مريم. فلما دخل اليها الملاك قال : السلام عليك يا ممتلئة نعمة الرب معكِ. مباركة أنتِ في النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكَّرت ما عسى أن يكون هذا السلام. فقال لها الملاك : لا تخافي يا مريم. فإنكِ قد نلتِ نعمة عند الله. وها أنتِ تحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. وهذا سيكون عظيماً وابن العلي يُدعى. وسيعطيه الرب الاله عرش داود أبيه، ويملك على آل يعقوب الى الأبد، ولا يكون لملكه انقضاء. فقالت مريم للملاك : كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلاً؟ فأجاب الملاك وقال لها : إن الروح القدس يحلّ عليك وقوّة العلي تظلّلك. ولذلك فالقدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله. وها ان أليصابات نسيبتك قد حبلت هي أيضاً بابن في شيخوختها. وهذا الشهر هو السادس لتلك المدعوَّة عاقراً. لأنه ليس أمر غير ممكن لدى الله. فقالت مريم : ها أنا أمة الرب، فليكن لي بحسب قولك. وانصرف الملاك من عندها)).

الخلاصة للعشية

نتأمل غداً في سر التجسد فنرى : 1 أنه سر محبة 2 أنه سر اتضاع.

ونقصد : 1 أن نجدّد محبتنا للكلمة المتجسد ونتقن تلاوة ((ملاك الرب)) لأنها تذكرنا هذا السر العظيم 2 أن نكون متواضعين في أحاديثنا ضاربين صفحاً عما يؤول الى مدحنا وفخرنا محتملين ما يعرض لنا من الذلّ والإهانة ومتواضعين في كسوتنا وسيرتنا وأحوالنا الخارجية.

العاطفة الروحية هي عبارة يوحنا الحبيب : ((والكلمة صار جسداً)) (1 : 14).

التأمل للصباح

لننتقل بالروح الى منزل مريم العذراء في الناصرة حيث كانت تصلي. ونشاهد رئيس الملائكة جبرائيل منحدراً من أعالي السماء ليبشرها بالحبل الالهي. ولما عرفت منه مريم مشيئة الله قالت له باحترام واتضاع : ((فليكن لي بحسب قولك)). وجوابها هذا كان حافلاً بالفوائد والفضائل، ولاسيما الطاعة والخضوع، وكان فعله عظيماً جداً. فبواسطته قد تصالحت السماء والأرض، اذ ما كادت مريم تلفظه حتى تجسَّد الكلمة بفعل الروح القدس في مستودعها الطاهر وصارت هي أماً لله. فلنسجد لهذه الأسرار السامية بغاية التعجب والحب.

القسم الأول

في ان سرّ التجسد هو سر محبة

اننا ادراكاً لهذه الحقيقة نتأمل 1 في من هو الآتي من السماء ليخلصنا. هو ابن الله الحق والحياة الأبدية والبداءة والنهاية. وهو ضياء الآب الأزلي وصورة جوهره. فيه ملء اللاهوت لا ينقصه شيء عن أبيه لأنه مساوٍ له ومتحد به بالجوهر والذات.

2 كيف أتى؟ قد أخذ كل ما فينا من الذل والاحتقار وكل ما يستوجب الخجل والقصاص وتأنَّس وتجسد نظيرنا. فخلقه العالم وهو فعل محبة عظيم، وذلك حفظه اياه وحفظنا نحن في الحياة هو فعل محبة أعظم. ولكن في سر التجسد تظهر المحبة بنوع أسمى وأجلى. لأنه تعالى في تكوينه العالم قد اكتفى بكلمة واحدة وفي حفظه تكفي إرادته. أما في سر التجسد فقد اقتضى أن ينحدر الله الكلمة من علو سمائه وعرشه وينزل الى العالم الحافل بالذل والأوجاع. فيا للحب الفائق الوصف!

3 ولأجل من أتى المخلص؟ إنما أتى لأجل الانسان الخسيس الحقير الضعيف الضئيل الساقط من منزلته الأصلية، المسكين العريان الخالي من كل شيء. وافى الكلمة حباً للإنسان الذي صار عدواً لله ومتمرداً عاتياً. مستحقاً الهلاك لو لم تعترض الرحمة وتدافع عنه لدى العدل. أتى لأجل من كان مزمعاً أن يهينه بعد أن يجوز الخلاص بواسطته ويضحي جاحد المعروف، مصراً على خطيئته وعلى احتقار ربه لا يستفيد من عمل الفداء ومن الوسائل المقدمة لخلاصه.

4 متى أتى؟ أتى وقتما كان البشر متشبثين بالفساد والضلال وأنواع الشرور ومتدنسين بعبادة الأوثان. وهذا الانسان البالغ إلى هذه الدرجة من الذل والانحطاط قد أحبه الله حباً مفرطاً حتى بذل لأجله ابنه الوحيد. وبناءً عليه قد ارتفعت الطبيعة البشرية بسر التجسد إلى درجة أعلى من درجة الملائكة اذ يسوغ لنا القول أن الانسان صار إلهاً لأن الاله صار انساناً. وسر التجسد هذا قد أعتقنا من عبودية إبليس وصيّرنا أبناءً لله وأخوة ليسوع وورثة في السماء معه. وبهذا السرّ تُغفر خطايانا وتُعطى لنا استحقاقات غير متناهية وأنوار حقيقية وأسرار خلاصية وأمثلة تقوية تقودا الى الخير والنعمة والخلاص. أَفلا نرى في جميع هذه الخيرات أسرار المجد الخالصة؟ هل نستطيع أن ننكر هذه المحبة ونكفّ عن تأدية الشكر والحب لمن أحبَّنا؟

القسم الثاني

في أن سرّ التجسد هو سرّ اتضاع

ما أعظم اتضاع مريم! فإن الملاك لما دعاها ((ممتلئة نعمة)) ما اعتبرت ذاتها إلا فقيرة مسكينة لا تملك إلا ما منحها الله. ولما سماها مباركة في النساء اعتبرت ذاتها كلا شيء.

ولما قال لها الملاك : ((إنك قد نلتِ نعمةً عند الله)). ودعاها ((أم الله)) أجابت : لســـت إلا أمة الرب وخادمته قال القديس برنردس ان كل هذا الاتضـاع العميق جعلها تصير للحال أم الله. فبالحقيقة ان مياه النعم تهطل بغزارة على النفوس المتضعة هطل الأمطار في الأودية العميقة.

ان الله يســر جداً بالاتضــاع حتى أنه حين نزوله الى الأرض قد اتخذه فضــيلته الممتازة والخاصـة. فانحدر من منزلته السامية جداً وغير المتناهية الى طبيعتنا الدنيئة، وشاء أن يحجب جلاله في هذا التراب والطين البشـري. وفي حياة البشـر اختار أحقر ما يمكن تصـورّه، ونزل أيضـاً حتى انتهى الى اسـطبل ثم الى منزل حقير حيث يقطن نجار مسـكين مع رفيقة له وقرينة له فقيرة مهملة منسـية تعمل بيديها لتعيش. وأبى الا أن يتنازل أيضـاً ويسـتقر في أحشـائها مدة تسـعة أشـهر. فاختار هذا الحبس المظلم ليكون أول منزل له على الأرض. فيا للتواضـع العميق والتنازل الغير المحدود! ليت شـــعري من يريد بعد ذلك مجداً وشـــرفاً وإجلالاً؟ من يبتغي أن يتباهى ويُمدح ويثنى عليه؟ بل مَن لا يحب العيشة الخفية المنسية؟

المقاصد والعاطفة الروحية هي كما في خلاصة العشية (ص 416).